الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

المكتبة المكية

حي المسفلة - مكة المكرمة - السعودية - هاتف وفاكس: ٥٣٤٠٨٢٢

عدة الإنابة في أماكن الإجابة

لمؤلفه

السيد عفيف الدين أبي السيادة عبد الله بن إبراهيم بن حسن بن محمد أمين ميرغني الحسيني المتقي المكي الطائفي الحنفي (الملقب بالمحجوب)
المتوفى ١٢٠٧ - رحمه الله -

(في الدعاء، وفضائله، ومواطن الإجابة المرتجاة من الله تعالى بمكة المكرمة، وآثارها، ونبذة من أحكام الحج)

تحقيق

د. عبد الله نذير أحمد مزي

المكتبة المكية



تقديم بين يدي الكتاب

للدكتور/ عبد اللطيف الصباغ

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تعالى وأثني عليه الخير، كله وأصلي وأسلم على سيدنا محمد معلم الناس الخير، والأمين على وحي ربّه، الذي أرسله رحمة للعالمين، وبعد:

فقد رغب إلي أخي وصديقي وزميلي العزيز الأستاذ الباحث المحقق الدكتور عبد الله نذير أحمد مزي، حفظه الله تعالى، أن أكتب كلمة مختصرة بين يدي هذا الكتاب ـ (كتاب عدة الإنابة في أماكن الإجابة) للعارف الفقيه السيد عبد الله بن إبراهيم مرغني الحسني المكي الحنفي الملقب بالمحجوب (ت ١٢٠٧هـ)، الذي قام بتحقيقه ونشره في هذا الإصدار، إحياء لأثره والتماساً لإرشاد الناس إلى تعظيم شعائر الله سبحانه وتعالى، والدلالة عليها في بلاد الحرمين الشريفين حماهما الله وحرسهما وأعلى منارهما في الخافقين.

والكتاب يعتبر سجلاً حافلاً لمواطن إجابة الدعاء، وتحصيل فضيلة الذكر، وثواب العبادة في هذه المشاعر الشريفة، في الحرم المعظم وما حوله، ويبدو لقارئ الكتاب أن مؤلفه، يرحمه الله تعالى، فقيه حنفي متمكن، ومطلع على مذاهب الفقه الأخرى، لكن مشربه مشرب صوفي منضبط إلى حد ما بهدي السلف الصالح، وقواعد المنهج السلفي المعتدل! وهذا يظهر في بعض تعليقاته وتعقيباته.

ومن المعلوم أن تحديد مواطن إجابة الدعاء أمر توقيفي، لا يصح ولا يقبل إلا بالأدلة الشرعية المعتبرة من: قرآن، وسنة وأثر نبوي صحيح، ولا يجوز أن يترك للظنون، والاجتهادات، والحكايات، والتجارب.

ولقد توسع المؤلف رحمه الله تعالى في سوق كثير من الأحاديث الضعيفة، ميلاً مع القاعدة الحديثية التي ترجح الأخذ بالضعيف من الأحاديث في فضائل الأعمال، كما توسع في الاعتماد على مقصد التبرك، وتحصل البركة والثواب، في ترجيح بعض التعيينات، وتحديد بعض الأماكن والأوقات.

والحق أن مواطن إجابة الدعاء، وأوقاتها، من الأمور الشرعية التي لا يجوز التساهل فيها، والتوسع فيها؛ لأن ذلك يؤدي إلى ركام من الأخبار والممارسات البدعية، التي تشكل حجاباً للدين العتيق، والعبادة المأثورة الخالصة، فلا يجوز إثباتها إلا بنص قرآني، أو حديث نبوي صحيح، أو أثر موقوف صحيح، له حكم الحديث المرفوع، والتساهل في ذلك، ولو عن حسن نية وسلامة قصد، مظنة التزيد في الدين بما لم يأذن به الله تعالى، وتعظيم شعائر الله تعالى يتجلىٰ في الإتباع، وترك الغلو والابتداع، بل إنه «يتنافى مع الغلو في أداء المناسك بل هو نقيض، وهذا الغلو يظهر في التشدد وفي مجاوزة الحد فيها وفي البحث عن غوامضها، والتنطع في تطبيقها»، وكم حمدت لأخي الدكتور عبد الله تعليقاته في الهوامش على بعض البدع والتجاوزات بعلمه الواسع، وصدقه العميق في إتباع الكتاب والسنة، وكم كانت تلك التعليقات سديدة وموفقة، فجزاه الله خيراً وثبته بالقول الثابت على الحق.

على أن الكتاب يبقىٰ ذا فائدة لا شك فيها، ومتعة للباحثين عن المشاعر، والمواطن الشريفة، والآثار النبوية، وآثار الصحابة والتابعين، وأهل العلم والصلاح، وهو يمثل ثقافة الحج الشائعة في عصر المؤلف رحمه الله تعالى،

وهو القرن الثاني عشر الهجري، كما يمثل معارف ذلك العصر وأحواله، وعاداته الإجتماعية.

أما أخي الدكتور عبد الله نذير أحمد مزي، فله مني خالص المحبة والتقدير، وهو لا يزال يحسن الظن بي رغم قصوري وضعفي، غفر الله لي وله، وإني بهذه المناسبة أحب أن أعبر له وللإخوة القراء عن اهتمامي الكبير بأعماله العلمية المتابعة، وإعجابي بهمته القسعاء وإرادته القوية، ومثابرته الصبورة وتواضعه الجمّ مع زهد وشكر لله مولانا المنعم المتفضل الجواد.

العلم رحم بين أهله، وأسأل الله تعالى أن يعيننا جميعاً على وصل هذه الرحم وتقويتها وإعلاء شأنها، كما أسأله سبحانه أن يعين أخي الباحث المحقق الدكتور عبد الله نذير ويديم توفيقه ويسدد فكره وعمله وقلمه، وأن ينفع بعلمه وعمله المسلمين بعامة وطلاب العلم وشُداته بخاصة، والحمد لله أولاً وآخراً.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وإمامنا وقدوتنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفقير إلى رحمة ربه
د. عبد اللطيف الشيخ توفيق الشيرازي الصبّاغ
أستاذ العقيدة والملل والنحل بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب ـ بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فإن الدعاء عبادة لله تعالى، وهو: «استدعاء العبد ربه عز وجل العناية، واستمداده إياه المعونة».

وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل، وإضافة الجود والكرم إليه سبحانه وتعالى.

فشأن الدعاء عظيم، ونفعه كبير لكل إنسان في هذه الحياة، فبالدعاء يستجلب الخير، وبه يدرأ الشر والسوء ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، وبالدعاء يسأل الإنسان مطلبه ومبتغاه من خالقه وبارئه، وبه يبلغ مُناه في الدنيا والآخرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦]، والدعاء ليس قاصراً على الطلب فقط ـ كما هو مفهوم العامة ـ بل إنه يتضمن توحيد الله سبحانه وتعالى وإفراده بالعبودية دون ما سواه، وبذل ما

يستحقه سبحانه وتعالى من الذل والافتقار، والخشوع، والخضوع من مخلوقاته: ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

وبالجُملة فإن الدعاء سبب لجلب كل خير، ودفع كل شرّ في الدنيا والآخرة.

وقد ورد الكثير في فضائل الدعاء وثمراته، وأسراره، فلا أطيل بذكرها ها هنا؛ وقد كتبت فيه المطولات والمختصرات.

والإنسان مجبول بطبعه وفطرته على الطلب والدعاء من الله عز وجل ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥].

كما أن للدعاء شروطاً وآداباً ينبغي توافرها في الداعي لاستجابة دعواته.

وثمة أوقات وأماكن، وأحوال وأوضاع يستجاب فيها الدعاء ـ ذكرها المؤلف باختصار في المقدمة ـ، وكل هذه واردة في الأحاديث والآثار المشتهرة على ألسنة الناس على اختلاف في مراتب الحديث المشهورة.

فموضوع الكتاب مختص بمواطن وأماكن إجابة الدعاء بمكة المكرمة، والمشاعر المقدسة بحسب ورودها في سنة النبي ﷺ وآثار الصحابة والتابعين، وقد ضمّنها المؤلفُ فوائد وملاحق من أحكام وأدعية وآثار ونحوها؛ حيث إن الكتاب في أصله شرح «على منظومة الشيخ عبد الملك العصامي»، كما ذكر المؤلف في المقدمة، والمنظومة كما أوردها السيد البكري في إعانة الطالبين بقوله:

قد ذكر النقاش في المناسك ... وَهْوَ لعمرى عمدة للمناسك
أن الدعا في خمسة وَعَشَرَهْ ... في مكة يقبل ممن ذكره
وهي الطواف مطلقا والملتزم ... بنصف ليل فهو شرط ملتزم
وداخل البيت بوقت العصر ... بين يدي جذعته فاسْتَقْرِ
وتحت ميزاب له وقت السحر ... وهكذا خلف المقام المفتخر
وعند بئر زمزم شرب الفحول ... إذا دنت شمس النهار للأفول
ثم الصفا، ومروة والمسعى ... لوقت عصر فهو وقت يرعى
كذا منى في ليلة البدر إذا ... ينتصف الليل فخذ ما يُحتذى
ثم لدى الجمار، والمزدلفة ... عند طلوع الشمس، ثم عرفة
بموقف عند مغيب الشمس قل ... ثم لدى السدرة ظهراً وكمل
وقد روى هذا الذي قد مرّا ... من غير تقييد بما قد مرّا
بحر العلوم الحسن البصري عن ... خير الورى ذاتا ووصفا وسنن
صلى عليه الله ثم سلما ... وآله والصحب ما غيث هَما

وقوله وقد روى هذا الذي الخ قد نظمه بعضهم كذلك وزاد عليه خمسة مواضع ـ فقال:

دعاء البرايا يستجاب بكعبةٍ ... وملتزم الموقفين كذا الحَجَرْ
طواف وسعى مروتين وزمزم ... مقام وميزاب جمارك تعتبر
منىً ويماني رؤية البيت حِجْره ... لدى سدرةٍ عشرون تمت بها غُرَرْ

وإذا كان الدعاء عبادة توقيفية، فكذلك أماكن إجابتها، ما لم يطلق، والأصل فيه الإطلاق.

ولئن كان الغالب في تلك الأحاديث الضعف، فإن أنّ الأحاديث الضعيفة مقبولة ويُعمل بها في فضائل الأعمال ـ مع شروط ـ كما هو مذهب كثير من أهل العلم ـ ومعلوم أن أهل العلم يتساهلون في قبول أحاديث فضائل الأعمال بما لا يتساهلون به في الأحاديث المتعلقة بالعقيدة والأحكام من حلال وحرام.

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ في قبول ذلك: «إذا روينا عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام والسنن والأحكام تشددنا في الأسانيد، وإذا روينا عن النبي ﷺ في فضائل الأعمال وما لا يضع حكماً ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد».

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في مقدمة كتاب الأذكار: «قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم يجوز ويُستَحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعاً .... ـ ثم قال مقرراً ذلك ـ إنما ذكرت هذا الفصل ... فأردت أن تقرر هذه القاعدة عند مطالع هذا الكتاب ...».

هذا وقد ذكر المؤلف رحمه الله تعالىٰ ـ جميع ما ذكر في السنة والآثار من أماكن إجابة الدعاء بالكعبة المشرفة وما حولها بداخل المسجد الحرام وهكذا في مواطن بمكة المكرمة ثم المشاعر المقدسة، مع ما قيل فيها من الأدعية المأثورة.

بل ذهب ـ رحمه الله ـ في هذا الكتاب مذهب العلماء الأوائل؛ إذ لم يكتف بذكر موضوع الكتاب (مواطن إجابة الدعاء) كما يظهر من عنوان الكتاب، بل استطرد في كل مسألة بذكر الخلاف، وما تعلق بها من فروع بإيجاز، وإن كان

الغالب تمسكه والتزامه فيما ذكره بمذهبه (الحنفي) أصولاً وفروعاً؛ حيث يؤكد في المسائل الفقهية مرة بعد مرة بمثل قوله: «على مذهبنا» «لا على مذهبنا» ونحوها في أماكن كثيرة.

ومن ثَمَّ تقيدت بالتأكيد في الأصول والفروع على أقوال فقهاء الحنفية رحمهم الله، إلا إذا استطرد بذكر أقوال غيرهم.

وكذا عرض المؤلف مسائل كثيرة متعلقة بالموضوع؛ ما أثرىٰ الكتاب وفكر القارئ بأمور مهمة مفيدة، جليلة متممة لأبحاثه، وهو واضح في ثنايا سطوره وكلماته للمتأمل والعابر، وأشار المؤلف ـ رحمه الله ـ إلى شيء من ذلك في مقدمة الكتاب ـ حيث قال أثناء ذكر تسمية الكتاب ـ: «وسميت ما جمعته بالكتاب (عدة الإنابة في أماكن الإجابة)؛ لكوني أذكر في سبيل كل محل بعض ما يناسبه من مسائل فقهية وأدعية مأثورة ومروية، تتميماً للفائدة وتحصيلاً للعوائد»ـ.

لذا نجده ضمّن كتابه الأحكام الفقهية المتعلقة بكل موطن، كما نبّه على ما ابتدعته العامة من الأعمال والتصرفات المنافية للشرع الحنيف في بعض مواطن الإجابة؛ تنبيهاً وتذكيراً للحجاج والزوّار، ولعدم الظن بأنه من الدين، وشدّد النكير على مرتكبي البدع والمنكرات مطالباً من أولياء الأمور حكاماً وعلماء ومحتسبين المنع، ورفع هذه البدع والمنكرات الواقعة في المشاعر المقدسة بما أوتي كلّ من إمكانية زاجرة ورادعة، بل وصف المبتدع بقوله: «فهو جاهل ضال، كيف وقد ترتبت على ذلك من المفاسد الواقعة في السبت المشهور بمنىٰ، ما يتعين على قدرة السعي في إزالته وكف من يغترّ من العامة عن الذهاب إليه ..».

وقال معلقاً على هذه الأحوال: « ... ومعاصي ذلك اليوم عامة في سائر منىٰ، يعرف ذلك من شاهده وعاينه، فنسأل الله العفو والسلامة»، وقال في بدع تقع في المقام: «وأما ما أحدثه بعض الناس من إتيان المقام في وقت كراهة الصلاة والوقوف عنده للدعاء مع استقبال القبلة أو المقام، فلا أصل له في السنة ولا رواية عن فقهاء الأمة من الأئمة الأربعة. كذا قال المُلاّ علي».

وقال أيضاً:« مسح المقام ومسه وتقبيله ليس بسنة إنما أُمِرْنا بالصلاة عنده».

وقال ـ فيما يفعله العامة من زيادة الصعود على الصفا ـ : «وما زاد على ذلك من الصعود من الجدران والالتصاق بدعة قبيحة».

وقال ـ في رفع اليدين عند رؤية البيت ـ :«ويرفع يديه حذو منكبيه بسطاً للدعاء ـ لا كما يفعله الجهلة من معلمي الغرباء وغيرهم».

ونحو هذا الإنكار الشديد على بعض الأعمال من البدع والمنكرات كثير في كتابه، ما يظهر حرصه واهتمامه بإقامة السنة والقضاء على البدع والأمور المخالفة للشرع.

هذا وإنّ المؤلف رحمه الله ـ كما سَطّر شَطْر كتابه في ذكر مواطن الإجابة والفوائد المتممة والعوائد المحصلة، فقد ذكر في الشطر الثاني من الكتاب:

آثار مكة المكرمة مختصرة؛ لكثرتها وحدّد مواقعها بدقة، وللمؤلف تحقيقات وتعليقات جيدة في تحديد المواقع، والردّ والتعقيب على القضايا المختلف فيها.

ويجد القارئ في الكتاب من المعلومات المتميزة ما لا يجده في المطولات.

وذكر الكثير من الأدعية المأثورة أو الموروثة المتعارف عليها بين الناس بغض النظر عن السند (وهو ينقل عن البيئة التي عايشها).

وذكر الأماكن الأثرية ومواقعها بمكة المكرمة محدّدة وموثقة، فالكتاب يُعَدُّ معتبراً ومقدماً على ما ذكر في كتب الآخرين؛ لكون المؤلف ابن مكة المكرمة (ولادة ونشأة)، حيث فتح عينيه وترعرع وهو يرىٰ أهل مكة المشرفة من كبار السن والعلماء وعامة الناس يؤكدون ذلك وتناقله الأصاغر عن الأكابر، حتى وصل إلى المؤلف، وهو بدوره نقله إلينا، وأصبحت متواترة لدىٰ أهل مكة المشرفة.

ولأجل ذلك يُتَقَدَّمُ قولُه وشهادته على بعض ما كُتِبَ ـ من المجاورين لفترة، أو الوافدين للحج والعمرة ـ عن مآثر مكة المعظمة؛ ولهذا السبب نفسه كان المقدم، والمعول عليه في حالة الخلاف الإمام الأزرقي لدىٰ المتقدمين، وشتان بين الشهادتين.

وقد بيّن المؤلف حدود الحرم وأنصابه، ثم استعرض فضائله، وذكر بخاصة بعض الأمور المشكلة والمختلف عليها في الباب لدىٰ العلماء قديماً وحديثاً، مثل: التفريق بين الحرم والمسجد الحرام، وكذا المضاعفة في الحسنات وجريان المضاعفة في السيئات أيضاً، ثم التفصيل في التفضيل بين مكة المشرفة والمدينة المنورة، ونحوها من موضوعات مهمة في الباب.

وباختصار فإن هذا الكتاب ليس كتاباً في ذِكْرِ (مواطن إجابة الدعاء) فحسب بل ذلك عقد يُحاط بفوائد من الدّرر، بحمله التنوع وتعداد المباحث والمقاصد، فالكتاب جامع لموضوعات كثيرة يغني عن كثير من الأسفار الكبار. ويمكننا أن نذكر مزايا الكتاب إجمالاً بما يلي:

أولاً: يذكر مواطن إجابة الدعاء لجميع مواقع مظان الإجابة.

ثانياً: يذكر مناسك الحج، حيث ذكر المؤلف جميع أحكام الحج والعمرة عند ذكره المشاعر، ويذكر ما ينبغي للحاج أن يفعله عند كل مشعر من المشاعر المقدسة.

ثالثاً: يذكر آثار مكة المكرمة ومواقعها، وبعض آثار المدينة المنورة أيضاً.

رابعاً: يذكر آداب زيارة القبور.

خامساً: يذكر خصائص الحرم الشريف.

سادساً: يذكر الأدعية المأثورة.

والمؤلف الفاضل ينقل الكثير من أقوال العلماء في بعض المسائل موثقاً إيّاها من مصادرها، وذاكراً قائلها بأمانة ودقة، ولا يكتفي بسرد الأقوال ونقلها، إنما يعقبها بالنقد والدراسة والتمحيص مؤيداً أو مخالفاً، مقرّاً أو منكراً؛ وبخاصة في البدع والمنكرات التي كانت موجودة في زمنه بالحرم والمشاعر وغيرها.

هذا ومما تجدر الإشارة إليه أنّ المؤلف مع شدة نكيره على بدع العوام فإنه فاته الإنكار على بعض المحدثات التي لم تُعرف عن السلف الصالح من القرون الفاضلة، والتي كانت موجودة في زمنه، مثل بعض مبالغات الصوفية: من اعتقاد قبول الدعاء عند بعض قبور الصالحين.

ونقل المؤلف كلَّ ذلك عن كتب أسلافه من المؤلفين في أخبار مكة، أو واصفاً ما رآه بنفسه عن البيئة التي عايشها في زمنه من غير أن يجد إنكاراً أو تحذيراً من هذه الأعمال.

ولعل عدم الإنكار ـ في أمر أو أمرين مما ذكره ـ راجع إلى الاعتماد

على النقل، أو إلى أن هذه تصرفات غلبت على أهل ذلك الزمن لغلبة العادة والعرف، وتسويغ ذلك بمسوغات يرونها سائغة. والله أعلم..

وهذا لا يقدح في المؤلف وأمثاله، وجدير بأهل العلم وطلبته أن ينظروا في مثل ذلك بعينين:

عين الحق تمحيصاً له، وعين الإنصاف تقديراً للجمّ من الحسنات وكثرة الصواب، وتأويلاً حسناً لما ظاهره خلاف الصواب وإبداء ذلك في ثوب أدب العلماء، ثم إنّ العصمة للأنبياء عليهم السلام فحسب.

وأقول كما قال شاعر النيل:

إذا قِيسَ إحْسانُ امرئٍ بإساءةٍ فأرْبى عليها فالإساءَة تُغْفَرُ

وقد نبهّتُ على هذه القضايا القليلة في مواضعها بإيجاز، مبيناً الحق مستدلاً بالكتاب والسنة وعقيدة السلف الصالح في ذلك.

هذا والكتاب ـ مع صغر حجمه ـ يعد إضافة مختصرة جديدة في فن الأدعية وأماكن إجابتها، وآثار مكة المشرفة كما سبق بيانه.

وقد اعتمدت في إخراج الكتاب على مصورة نسخة خطية وحيدة من مكتبة مكة المكرمة المعروفة والكائنة في (مولد النبي الشريف) بجوار سقيا زمزم برقم (١٠٥٤٢٥).

وكان عملي في الكتاب مقتصراً على ما يأتي:

- إخراج الكتاب ونسخه على أقرب صورة يراها المؤلف بإذن الله تعالىٰ حسب قواعد الإملاء المعروفة.

- تفقير الكتاب، واستعمال العلامات الإملائية في ذلك، وهذا أهم عمل أرىٰ وجوب عمله في إخراج الكتب التراثية، ولا يدرك ذلك إلاّ المتخصصون.
- وضع عناوين جانبية لجميع مسائل الكتاب، وترقيمها كذلك؛ تسهيلاً وتيسيراً لوصول القارئ إلى المقصود.
- إضافة الآيات القرآنية إلى مواضعها في القرآن الكريم، بداخل النص بين معكوفتين [ ]؛ لئلا تكثر الهوامش، كما نسخت الآيات بالرسم العثماني (مباشرة من المصحف الشريف).
- أما الأحاديث النبويّة الشريفة، والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين فهي كثيرة ـ فالمؤلف ـ رحمه الله ـ يخرِّج الأحاديث من كتب السنن والمسانيد ومعالجة الأحاديث غالباً ـ (علماً بأن المؤلف دقيق وأمين في النقل) ـ.

فما كان من الأحاديث مخرجاً من الكتب الستة: ذكرتُ الكتاب ورقم الحديث فقط، وما كان منها مخرجاً في غير الكتب الستة، فاكتفي بذكر رقم الجزء والصفحة فقط، وأحياناً أنقل أقوال المحدثين في التصحيح والتضعيف إن وجدت ذلك، وإلاّ أكتفي بما سبق ذكره فقط.

- تمحيص وتحرير العزو لأكثر الآراء التي ينقلها المصنف، وإرجاعها إلى مصادرها الأصلية بقدر المستطاع.
- كما أنّني أضفت أمراً مهماً في الهامش: وهو تجديد وتحديث المواضع والأماكن بقدر الإمكان كما هو معروف الآن، بالإضافة إلى بعض الصور من شبكة الانترنت.

- وهناك أمور يقتضيها إخراج الكتب التراثية إعانة للقراء ـ سوف يراها القارئ ـ بإذن الله سبحانه وتعالىٰ.
- كما قدمت بين يدي الكتاب ترجمة موجزة للمؤلف رحمه الله تعالىٰ.
- وذيلت الكتاب بفهارس متنوعه:
  - فهرس الآيات الكريمة.
  - فهرس الأحاديث النبوية الشريفة، والآثار.
  - فهرس الأماكن والمواضع.
  - فهرس الموضوعات.

وبعد، فإن أصبت فمن الله عزَّ وجلَّ وتوفيقه، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان ـ وأستغفر الله العظيم ـ وأبرأ إلى الله عزَّ وجل من حولي وقوتي إلى حول الله تعالىٰ وقوته، ورحم الله تعالىٰ امرأ أهدىٰ إليَّ عيوبي وبصّرني بأخطائي وأكرم الله قارئاً فطن لذلك، ثم أقول كما قال الإمام الشافعي رحمه الله:

وعَيْنُ الرّضا عَنْ كلِّ عَيْب كليلةٌ   كما أنّ عَيْن السُّخْط تُبْدِي المساويا

ولا يفوتني أن أشكر إخواني وأساتذتي الذين شجعوني لإخراج هذا الكتاب، وبخاصة أخي الكبير فضيلة الدكتور عبد اللطيف الصبّاغ حفظه الله، الذي أفدت الكثير من علمه الغزير، وإرشاداته القيّمة، والتي كان لها الأثر الكبير في أعمالي العلمية عامة، كما تكرم مشكوراً ـ جزاه الله خيراً ـ بالاطلاع على الكتاب والتقديم له، وكذلك توجيهي بالتصحيح والتعليق لبعض ما ورد

في أصل الكتاب، فلفضيلته مني كل شكر وتقدير وامتنان ودعاء.

كما لا يفوتني أن أشكر الأخ الكريم الحبيب المحسن (والذي يحب أن لا يذكر اسمه) صاحب الأيادي البيضاء على كثير من أعمال الخير والبر والإحسان، حفظه الله ووفقه لمرضاته، والذي تبرع بنفقة طبع ونشر هذا الكتاب وتوزيعه لوجه الله عز وجل على طلبة العلم. فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيه خير الجزاء، وأن يعظم له الأجر والمثوبة، وأن يطيل عمره في صحة وسعادة وتقوى، وأن يديم عليه توفيقه وفضله وإحسانه.

كما أشكر الأخ الفاضل الأستاذ غسان نويلاتي ـ صاحب المكتبة المكية؛ لرعايته المشروع من البداية إلى النهاية، والشكر موصول للأخ العزيز سهيل مولوي ناسخ الكتاب والذي قام بجهود مشكورة لإخراج الكتاب بما يليق ومكانته فلهم جميعاً مني جزيل الشكر والتقدير، ودعائي لهم من الله تعالى بالأجر والمثوبة.

والله سبحانه وتعالىٰ أسأل أن يتقبل مني هذا العمل قبولاً حسناً، وأن يغفر لي ولوالديّ ولمشايخي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب، وصلَّى الله تعالىٰ وسلم وبارك على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان.

كتبه
الفقيرُ إلي عفو ربه
عبد الله بن نذير أحمد بن عبد الرحمن مزي
مكة المكرَّمة ـ بحي الهجرة ـ في ١/١٠/١٤٢٨هـ.

{١} ترجمة مختصرة للمؤلف:

هو عبد الله بن إبراهيم بن حسن، بن محمد أمين بن علي، ميرغني الحسني، المتقي، المكي، الطائفي، الحنفي.

الملقب: بالمحجوب (عفيف الدين، أبو السيادة) عالم، فاضل، فقيه من فقهاء الحنفية، أديب، شاعر، مشارك في أنواع العلوم.

ولد بمكة، ونشأ بها، وأخذ عن المشايخ الأجلاّء.

قال الجبرتي: «حضر دروس الشيخ أحمد النخلي وغيره».

له ميل شديد للتصوف، ألّف فيه المؤلفات العديدة.

وانتقل إلى الطائف، فسكنها في عام ١١٦٦هـ،وصنف كتباً كثيرة في العقيدة، والحديث، والفقه، والآداب الدينية.

إلى أن توفي رحمه الله تعالى في قرية السلامة، سنة ١٢٠٧هـ.

رحمه الله تعالى رحمة الأبرار، ورضي عنه، وأسكنه فسيح جناته.

قال عنه النبهاني: «أحد أكابر الأولياء العارفين، وأئمة العلماء العاملين».

وقال أيضاً: «ومآثره شهيرة ومفاخره كثيرة، وكراماته كالشمس في كبد السماء، وله مؤلفات كثيرة في علوم شتىٰ».

{٢} مصادر ترجمته:

الجبرتي: عجائب الآثار ٣:١٤٧؛ الحضراوي: تاج تواريخ البشر ورقة ١١ب؛ البغدادي: هدية العارفين ١:٤٨٦؛ مـرداد: المختصر

من نشر النور والزهر ٣١٨ ـ ٣١٩؛ الزركلي: ٤:٦٤؛ كحالة: معجم المؤلفين ٦:١٦ـ١٧؛ النبهاني: جامع كرامات الأولياء ٢:١٢٩؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة ٤٠٦ ـ ٤٠٨.

{٣} تصانيفه رحمه الله تعالى:

١. إتحاف الحلفاء، في مناقب أول الخلفاء: رتّبهُ على خمسة أبواب وخاتمة(١).

٢. إتحاف السعداء، بمناقب سيّد الشهداء، حمزة بن عبد المطلب: جمعها سنة ١١٦٨هـ. ورتبها على ثلاثة عقود، العقد الأول في فضله، والثاني في إسلامه، والثالث في ترجمته، والخاتمة في استشهاده(٢).

٣. الأنفاس القدسية، في مناقب الحضرة العباسية: في مناقب عبد الله بن عباس، ألفها سنة ١١٦١هـ وذكر فيها ثلاث فوائد، الأولىٰ في فضله، والثانية في فضل أبيه وأهله، والثالثة في ترجمته، والخاتمة في حِكَمه ونثره ونَظْمه(٣).

٤. الإيضاح المبين بشرح فرائض الدين (في الفقه)(٤).

٥. البدر المنير (شرحه العلامة سيدي محمد الجواهري، وقرأه درساً)(٥).

---

(١) منه نسختان بجامعة الرياض رقم ١٣١١ ورقم ١٦٨٨، ونسخة بالمكتبة الوطنية بباريس رقم ١٦٨٩.

(٢) منه نسخة بمكتبة الحرم المكي رقم ١٣٣ تراجم دهلوي، ونسخة بمكتبة جامعة الرياض رقم ٢٦٥٣(٢)، ونسخة بالظاهرية برقم ٣٦٧١ (٧١) عام.

(٣) الزركلي في الأعلام ٦٤/٤. الهيلة: التاريخ والمؤرخون ص ٤٠٧.

(٤) هدية العارفين ٤٨٦/١؛ معجم المطبوعات العربية ١٨٢٨/٢؛ الزركلي في الإعلام ٦٤/٤.

(٥) البغدادي هدية العارفين ٤٨٦/١؛ مرداد في مختصر نشر النور ص ٣١٨.

٦. التوسلات الإلٰهية في الخلوات السمرية والجلوات السحرية[1].

٧. الجواهر اللمعة في فضائل الجمعة[2].

٨. الجوهرة الشفافية، في بعض مناقب السيدة الصِّدّيقية: في مناقب أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق[3].

٩. الدرة اليتيمة، في بعض فضائل السيدة العظيمة، فاطمة الزهراء: ألّفها سنة ١١٦٤هـ[4].

١٠. الرسائل الميرغنية (في التصوف)[5].

١١. رفع الحجاب عن الكوكب الثاقب (شرح للكوكب الثاقب)[6].

١٢. السر العجيب في مدح الحبيب (من ديوان شعره)[7].

١٣. السهم الراحض في نحر الروافض[8].

١٤. سواد العينين، في شرف النسبين[9].

---

(١) هدية العارفين ١/٤٨٦.

(٢) الزركلي في الأعلام ٤/٦٤، ذكره مرداد في مختصر نشر النور ص ٣١٩.

(٣) منه نسخة بالمكتبة الظاهرية رقم ٤١٣٤(٤٢) عام. كتبت سنة ١١٧٩هـ، ونسخة بجامعة برنستن، مجموعة Garrett رقم ٢٠٥٨(٥).
ذكرها الهيلة في التاريخ والمؤرخون بمكة ص ٤٠٧.

(٤) ذكرها البغدادي في إيضاح المكنون ١:٤٦٢.

(٥) ذكرها الزركلي ٤/٦٤.

(٦) شرح الكوكب الثاقب البغدادي: هدية العارفين ١/٤٨٦، مرداد مختصر نشر النور ص٣١٨.

(٧) هدية العارفين ١/٤٨٦.

(٨) هدية العارفين ١/٤٨٦.

(٩) ذكره البغدادي في إيضاح المكنون ٢/٣٠؛ هدية العارفين ١/٤٨٦؛ منه نسخة بمكتبة جامعة الرياض برقم ١١٧١.

١٥. شرح صيغة القطب ابن مشيش[1].

١٦. عدة الإنابة، في أماكن الإجابة (وهو الكتاب الذي أقدمه للقراء)[2].

١٧. عقد الجواهر في نظم الفاجر (ديوان شعره)[3].

١٨. العقد المنظم على حروف المعجم (ديوان شعره)[4].

١٩. الفتح المبين (شرح فروض الدين)[5].

٢٠. فرائض الدين وواجبات الإسلام لعامة المؤمنين.

٢١. الفروع الجوهرية، في الأئمة الاثني عشرية[6].

٢٢. كنز الفوائد[1].

٢٣. كنوز الحقائق في الحديث[1].

٢٤. الكوكب الثاقب[9].

٢٥. اللآلئ المفردات في أذكار عرفات.

---

(١) هدية العارفين ١/٤٨٦.

(٢) الهيلة في التاريخ والمؤرخون بمكة ص ٤٠٨.
وذكره البغدادي باسم (اتحاف الإبانة في مواضع الإجابة) هدية العارفين ١/ ٤٨٧.

(٣) البغدادي، هدية العارفين ١/٤٨٦، ومرداد في مختصر نشر النور، ص ٣١٨.
ترتيب معجم المطبوعات العربية ١٨٢٨، الزركلي في الأعلام ٤/٦٤.

(٤) البغدادي: هدية العارفين ١/٤٨٦، ومرداد في مختصر نشر النور ص ٣١٨.

(٥) ذكره مرداد في مختصر نشر النور ص ٣١٨.

(٦) ذكره مرداد في مختصر نشر النور ص ٣١٨.

(٧) ذكره مرداد في مختصر نشر النور ص ٣١٨.

(٨) هدية العارفين ١/٤٨٧، مختصر نشر النور ص ٣١٨.

(٩) مختصر نشر النور ص ٣١٨.

٢٦. مشارق الأنوار في الصلاة والسلام على النبي المختار[١].

٢٧. المعجم الوجيز في أحاديث النبي العزيز ﷺ (اختصره من الجامع وذيله)[٢].

٢٨. النفحة العنبرية شرح آداب المعية[٣].

٢٩. المقاصد الفخرىٰ في بعض مناقب السيدة خديجة الكبرى: جمعها سنة ١١٦٨هـ، وذكر فيه فضلها ونسبها واسمها ولقبها وموتها وأولادها[٤].

٣٠. مناقب عثمان بن عفان[٥].

٣١. منتهى السِّير في الاختصار[٦].

---

(١) البغدادي، هداية العارفين ١/٤٨٧، مردادي مختصر نشر النور ٣١٨.

(٢) له نسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة (٦٥ حديث)، هدية العارفين ١/٤٧٨، ومرداد في مختصر نشر النور ص ٣١٨، وسركيس معجم المطبوعات ١٨٢٨، الزركلي في الأعلام ٤/٦٤.

(٣) ذكره مرداد في مختصر نشر النور ص ٣١٩.

(٤) الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة ص ٤٠٨.

(٥) ذكره مرداد في مختصر نشر النور ٣١٨.

(٦) ذكره البغدادي في إيضاح المكنون ٢/٥٧٣.

هـذه

عدة الإنابة في أماكن الإجابة

للعارف بالله تعالىٰ والدال عليه

مولانا السيد عبد الله ابن المرحوم

السيد إبراهيم مرغني(ت ١٢٠٧هـ)

رحمهما الله تعالىٰ ونفعنا والمسلمين بعلومهما

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أسكننا في معدن أماكن الإجابة، ومَنَّ علينا بطلب الدعاء ووعدنا بالاستجابة، وجعلنا خير أمة وأنزل علينا كتابه.

والصلاة والسلام على عبده ونبيه الذي أسكنه طابة، وعلى إخوانه النبيين والآل والصحبة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد يرجو منه الإنابة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شهادة مقر بالرسالة والإجابة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله عدد ما أحاط به علمه وما أمطرت سحابة.

وبعد: فيقول الفقير إلى مولاه الغني، المتحلي بالتقصير والخلُق الدني، عبد الله بن إبراهيم بن حسن ميرغني، الحسيني الحنفي، ـ عامل الله الكل بلطفه الخفي. وجعلهم ممن سما واصطفىٰ ـ لما طالعت بعض شرح العالم العلامة الشيخ إدريس الشماع الشافعي، على منظومة الشيخ عبد الملك العصامي ـ رحمهما الله تعالىٰ ـ المسمىٰ بالإنابة في أماكن الإجابة، وكانت تلك المنظومة مقيدة بأوقات معينة، كما ذكره الشيخ الإمام أبو بكر بن محمد بن الحسن بن النقاش رحمه الله تعالىٰ، وقد ذكرها كثير من علمائنا غير مقيدة، كما رواه الشيخ الجليل سيد التابعين الحسن البصري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما ذكره الشيخ عبد الملك في آخر نظمه، وقد كنت رأيت بيتين في ذلك غير مقيدين للشيخ الإمام والعالم الهمام عمر بن إبراهيم بن نجيم، صاحب النهر الفائق شرح كنز الدقائق، خطر لي أن أجمع عليهما بعض الفوائد، وأذكر كل فائدة في محلها اللائق بها؛ ليسهل به إدراكها وحفظها، لكني رأيت عدة ما فيها خمسة عشر موضعاً، وقد أنهاها غيره من علمائنا إلى عشرين، فنظمت الزيادة في بيت، وألحقته بهما

وشرحت الكل، والبيتان والزيادة هما هذان:

دعـاءُ البَرايا يُستَجابُ بكعبةٍ ومُلتَزَمٍ، والمَوْقِفَين، كذا الحَجَرْ
طوافٍ، وسَعْيٍ، مَرْوَتين، وزَمْزَمٍ مقامٍ، وميزابٍ جِمَـارُكَ تُعتَبَرْ
منىً، ويمانٍ، رؤيةِ البيت، حِجْرَه لدىٰ سدرةٍ عشرون تمت بها غرر[1]

وسميت ما جمعته بالكتابة: عدة الإنابة في أماكن الإجابة، لكوني أذكر في سبيل (كل) محل بعض ما يناسبه من مسائل فقهية، وأدعية مأثورة ومروية، تتميماً للفوائد وتحصيلاً للعوائد.

---

(١) وألحق ابن عابدين بالبيتين ثالثاً ـ على نحو ما فعل المؤلف ـ : وهو قوله:

ورؤيـةُ بيتٍ ثُـمَّ حِجْرٌ وسِـدْرةٌ وركـنٌ يمانٌ مع منى ليلة القَمر

حاشية ابن عابدين ٧/١٠٠ (النسخة المحققة).

والأصل في رعاية وتحري هذه الأماكن في الدعاء قول الإمام الحسن البصري رحمه الله: «وما على وجه الأرض بلدة يستجاب فيها الدعاء في خمسة عشر موضعاً إلا مكة: أولها: جوف الكعبة الدعاء فيه مستجاب، والدعاء عند الركن اليماني مستجاب، والدعاء عند الحجر مستجاب، والدعاء خلف المقام مستجاب، والدعاء في الملتزم مستجاب، والدعاء عند باب بئر زمزم مستجاب، والدعاء على الصفا والمروة مستجاب، والدعاء بين الصفا والمروة مستجاب، والدعاء بين الركن والمقام مستجاب، والدعاء بمنى مستجاب، والدعاء بجمع مستجاب، والدعاء بعرفات مستجاب، والدعاء في المشعر الحرام مستجاب.

فهذه يا أخي خمسة عشر موضعاً، فاغتنم الدعاء فيها، فإنها المواضع التي لا يُرد فيها الدعاء، وهي المشاهد العظام التي تُرجىٰ فيها المغفرة، فاجتهد يا أخي في الدعاء عند هذه المشاهد العظام» وسوف يأتي الحديث بالتفصيل عن هذا الحديث في (مستند أماكن إجابة الدعاء عامة).

رسالة الحسن البصري إلى أهل مكة ص ٢٤، ٢٥ (ضمن كتاب قرة العينين في فضائل الحرمين) الطبعة الثانية ـ ١٤٢٧هـ ـ مكة المكرمة.

مقدمة

{٣٢}[الدعاء وأحكامه]:

اعلم أن المقصود من بيان هذه الأماكن: الدعاء فيها، فيحتاج إلى بيان:

١ ـ حقيقته. ٢ ـ وفضيلته. ٣ ـ وسببه.

٤ ـ وركنه. ٥ ـ وشرطه. ٦ ـ وسننه.

٧ ـ وآدابه. ٨ ـ ومحرمه. ٩ ـ ومكروهه.

١٠ ـ وحُكمه. ١١ ـ والحِكْمة.

{٣٣}[حقيقة الدعاء]:

أما حقيقته في اللغة: الرغبة إلى الله تعالىٰ، وفي الاصطلاح: رفع الحاجات إلى رافع الدرجات، وهو مشروع بالكتاب، والسنة، والإجماع.

{٣٤}[فضل الدعاء]:

وأما فضيلته: فقال صلى الله عليه وسلم: ﴿الدعاء هو العبادة﴾[1] ثم تلا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال: ﴿الدعاء مخ العبادة﴾[2].

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)؛ الترمذي (٢٩٦٩) «وقال: حديث حسن صحيح»، ابن ماجه (٣٨٢٨).
(٢) الدعاء. أخرجه الترمذي (٣٣٧١) وقال: «حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة».

وقال: ﴿الدعاء: مفتاح الرحمة، والوضوء: مفتاح الصلاة، والصلاة: مفتاح الجنة﴾[1].

وقال: ﴿الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض﴾[2]. وقال: ﴿لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر﴾[3]. وقال: ﴿لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء، فيعتلجان إلى يوم القيامة﴾[4]. وقال: ﴿الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء﴾[5]. وقال: ﴿ليس شيء أكرم على الله تعالىٰ من الدعاء﴾[6]، وقال: ﴿من لم يسأل الله يغضب عليه﴾[7]. وقال: ﴿من لم يَدْعُ اللهَ غضب عليه﴾[8]. وقال: ﴿لا تعجزوا في الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد﴾. وقال: ﴿من سره أن يستجيب الله تعالىٰ له عند الشدائد والكرب فليكثر من الدعاء في الرخاء﴾[9].

(١) أخرجه الديلمي في الفردوس ٢/٢٢٤؛ فيض القدير ٣/٥٤٠ «عن ابن عباس بإسناد ضعيف».
(٢) أورده صاحب المجمع عن حديث علي رضي الله عنه، وقال: «رواه أبو يعلى وفيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد وهو متروك» ١٠/١٤٧.
(٣) أخرجه الترمذي (٢١٣٩) وفي: «حديث حسن غريب وحديث سلمان ..».
(٤) أورده الهيثمي في المجمع وقال: «رواه البزار، وفيه إبراهيم بن خيثم وهو متروك» ٧/٢٠٩.
(٥) أخرجه الترمذي (٣٥٤٨) وفي «حديث غريب»، وأورده الهيثمي.
(٦) أخرجه الترمذي (٣٧٧٠) وقال: «حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعاً إلاّ من حديث عمران القطان .. » وابن حبان في موارد الظمآن ١/٥٩٥؛ وابن ماجه (٣٨٢٩).
(٧) أخرجه الترمذي (٣٣٧٣).
(٨) أخرجه ابن حبان في الصحيح ٣/١٥٢، وفي الأحاديث المختارة ٥/١٣٧.
(٩) أخرجه الترمذي (٣٣٨٢) وقال: «حديث غريب».

{٣٥}[سبب الدعاء وركنه]:

وأما سببه: فكمال الافتقار إلى الواحد القهار.

وأما ركنه: فتوجه القلب إلى الله تعالىٰ: بالصدق والإخلاص.

{٣٦}[شرط الدعاء وقبوله]:

وأما شرطه: فالنية والتمييز.

وأما شرط قبوله وإجابته: فما نظمه البدر بن جماعة في قوله:

شروط الدعاء المستجاب لنا	عشر بها بشر الداعي بإفلاح
طهارة وصلاح معهما ندم	وقت خشوع وحسن الظن يا صاح
وحلّ قوت ولا يدعى بمعصية	واسم يناسب مقرون بإلحاح

{٣٧}[سنن الدعاء]:

وأما سننه: فرفع اليدين حذاء الصدر، وبسط الكفين نحو السماء، يفرج بينهما كما في (الدر المختار)، وقال المُلاَّ علي في شرح الحصن الحصين: والظاهر أن من الأدب أيضاً ضم اليدين وتوجيه أصابعهما مع انضمامها نحو القبلة، وقد اختلفت الروايات في كيفية الرفع عنه صلى الله عليه وسلم(١)، وذلك لاختلاف الحال. وفي البحر: الدعاء أربعة:

١ـ دعاء رغبة يفعل كما مر .

٢ـ ودعاء رهبة يجعل كفيه لوجهيه كالمستغيب عن الشيء .

(١) انظر الأذكار للنووي، ص ٦٤ وما بعدها؛ تحفة الذاكرين للشوكاني، ص ٤٧ وما بعدها.

٣ـ ودعاء تضرع بعقد الخنصر والبنصر ويحلق ويشير بمسبحته .

٤ـ ودعاء الخفية ما يفعله في نفسه.

وبدأته بالحمد والثناء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وختمه بها، ومسح اليدين على الوجه بعد الفراغ منه.

{٣٨}[آداب الدعاء]:

وأما آدابه فكثيرة، منها: تحرّي الأوقات الفاضلة ـ كالسجود في النفل، وعند الأذان والإقامة، و تقديم الوضوء، والصلاة ـ واستقبال القبلة، والجثو على الركب، وتقديم التوبة والاعتراف بالذنب. واجتناب الحرام مأكلاً ومشرباً وملبساً، والتأدب، والخشوع، والتمسكن، والخضوع، وأن لا يرفع بصره إلى السماء، وكشف يديه، وتجنب السجع وتكلفه، وأن لا يتغنىٰ به، وخفض الصوت، والسؤال بالأسماء الحسنىٰ والأدعية المأثورة، والتوسل بالأنبياء والصالحين(١)، وجعل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، أوله ووسطه وآخره، والختم بآمين و﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات]، ويتخير الدعاء الجامع، ولا يخص نفسه بالدعاء، ويسأل بعزم ورغبة، ولا

(١) التوسل بالأنبياء والصالحين بعد موتهم لم يكن مشهوراً عند الصحابة والتابعين، ومذهب أبي حنيفة وأصحابه وغيرهم من العلماء: أنه لا يجوز أن يسأل الله تعالىٰ بمخلوق: لا بحق الأنبياء ولا غير ذلك. «ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباه رضي الله عنهم: يُكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام، ونحو ذلك .. ». اهـ. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٢٣٣. «وكذلك علم الصحابة أن التوسل به إنما هو التوسل بالإيمان به وطاعته ومحبته وموالاته، أو التوسل بدعائه وشفاعته؛ فلهذا لم يكونوا يتوسلون بذاته مجردة عن هذا وهذا». فتاوى ابن تيمية (٣٢١/١) وانظر ٢٢٢/١ .

يستبطئ الإجابة، والإلحاحُ في الدعاء، مع رجاء الإجابة وعدم القنوط. قال صلى الله عليه وسلم: ﴿ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل﴾ [١] وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿إن الله حييّ كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراوين﴾ [٢]وفي رواية: ﴿خائبتين﴾.

وقال سفيان بن عيينة: لا يمنعك من الدعاء ما تعلم من نفسك فإن الله أجاب شر الخلق إبليس إذ قال: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِي﴾ [الحجر: ٣٦].

والبداية بنفسه ثم أبويه، ومشايخه، والمؤمنين.

{٣٩}[ما لا ينبغي من الدعاء]:

وأما محرمه: فالدعاء بغير العربية في الصلاة، وسؤال العافية مدىٰ الدهر، وخير الدارين، ودفع شرهما، والمستحيلات العادية كنزول المائدة. قيل: والشرعية، وألحق حرمة الدعاء بالمغفرة للكافر، لا لكل المؤمنين كل ذنوبهم، والدعاء بإثم أو قطيعة رحم، أو بأمر فرغ منه أو ما في معناه. كما في الدر المختار.

{٤٠}[مكروهات الدعاء]:

وأما مكروهه: فترك سننه، وفعل ما لا يليق به[٣].

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩) وزاد (لاه) وقال: «حديث غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه..»؛ وأورده الهيثمي في المجمع وقال: «رواه أحمد وإسناده حسن» ١٠/١٤٨.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)؛ وابن حبان في صحيحه ٣/١٦٠.

(٣) انظر بالتفصيل هذه الشروط والآداب: الإحياء للغزالي، ٣٢٨؛ الأذكار للنووي (مع الدليل لكلٍ) ص ٦٤٠ وما بعدها، (الدعاء لمحمد الحمد، ص ٢٦ وما بعدها).

{٤١}[حُكم الدعاء]:

وأما حكمه: فالإجابة إذا وجدت شروطها، قال في المدارك: ثم إجابة الدعاء وَعْدُ صدقٍ من الله لا خلف فيه، غير أن إجابة الدعوة تخالف قضاء الحاجة، فإجابة الدعوة أن يقول العبد: يا رب، فيقول الله: لبيك عبدي، وهذا موعود لكل موجود مؤمن، وقضاء الحاجة إعطاء المراد، وذا قد يكون ناجزًا، وقد يكون بعد مدة، وقد يكون في الآخرة، وقد تكون الخيرة له في غيره. أهـ.

قال صلى الله عليه وسلم: ﴿ما من مسلم ينصب وجهه لله تعالىٰ في مسألة إلا أعطاها إياه إما أن يعجلها له وإما أن يؤخِّرها له﴾[١] وفي حديث مناجاة السيد موسى عليه السلام: ﴿وإن دعوني أستجبت لهم، فإمَّا أن يردها عاجلاً، وإمَّا أن أصرف عنهم سوءاً، وإمَّا أن أدخره لهم﴾، وقد يكون تأخيرها لمحبّته تعالىٰ لصوته، أو ليداوم على الدعاء.

وذكر مكي: أن المدة بين دعاء زكريا عليه السلام بطلب الولد والبشارة أربعون سنة، ومثله: ابن عطية عن ابن جريج ومحمد بن الضحاك: إن دعوة موسىٰ على فرعون لم تظهر إجابتها إلا بعد أربعين سنة[٢]، ولذا قال صلى الله عليه وسلم: ﴿يستجاب لأحدكم ما لم يستعجل يقول: دعوت الله فلم يستجب لي﴾ رواه الستة إلاّ النسائي[٣].

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٩٧٨٤)؛ وقال الهيثمي «رجاله ثقات». المجمع ١٠/١٤٨.

(٢) تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) في تفسير آية (٨٩ سورة يونس) ص ٩٢٣. ط دار ابن حزم.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٣٥) بلفظ آخر، وغيره.

وحكىٰ الغزالي عن بعض العارفين أنه قال: إني أسأل الله تعالىٰ منذ عشرين سنة حاجة وما أجابني وإني لأرجو الإجابة.

{٤٢}[حِكَمُ الدعاء]:

وأما حِكَمُهُ: فكونه شُرِعَ سبباً يتوصل به إلى السعادة الأبدية، والنجاة السرمدية.

ونفعه مما نزل ومما لم ينزل، ورده للقضاء، وتفريجه للهمّ والكرب، وما أحسن ما قيل:

ما ضاق حال بعبد فاستعد له ... عبادة الله إلاّ جاءه الفرج
ولا أناخ بباب الله راحلة ... إلا تدحرج عنه الهم والحرج

ولابن الجوزي رحمه الله تعالىٰ:

إذا كثرت منك الذنوب فداوها ... برفع يد في الليل والليل مظلم
ولا تقنطن من رحمة الله إنما ... قنوطك منها من خطاياك أعظم
فرحمته للمذنبين كرامة ... وغفرانه للمسرفين تكرم

وهو سلاح المؤمن: يهلك به عدوه، ويحمي به صديقه.

ومما يعزىٰ للإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما تدرى بما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطي ولكن ... لها أمد وللأمد انقضاء
فيمسكها إذا ما شاء ربي ... ويرسلها إذا نزل القضاء

{٤٣}[التفضيل بين الدعاء وتركه]:

فائدة: هل الدعاء أفضل، أم تركه رضاً بالقسمة الأزلية؟.

مال كثير من العلماء إلى الأول، ومال آخرون إلى الثاني، وفرّق بعضهم، فقال: إن كان القلب منطلقاً بالدعاء ومنشرحاً له ومستهراً به، فالدعاء أفضل، وإن كان منقبضاً عنه، فالترك أفضل، واختاره المحققون، ويدلّ عليه قوله صلى الله عليه وسلم: «من فتح له في الدعاء منكم فتحت له أبواب الإجابة» . وفي رواية: «أبواب الجنة»، وفي أخرى «أبواب الرحمة»[(١)].

{٤٤}[الجهر والسر في الدعاء]:

وهل الأفضل الدعاء بالجهر أم بالسر؟ الصحيح الثاني، قال تعالىٰ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف]، المجاوزين ما أمروا به في كل شيء من الدعاء وغيره، وعن ابن جريج: الرافعين أصواتهم بالدعاء، وعنه: الصياح في الدعاء مكروه وبدعة، وقيل: هو الإسهاب في الدعاء، وقال صلى الله عليه وسلم ـ فيمن جهر بالذكر والدعاء ـ: «إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً قريباً، إنه معكم أينما كنتم»[(٢)].

وعن الحسن: بين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفاً.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك برواية (الجنة) ١/٦٧٥ وصححه؛ والترمذي برواية (الرحمة) (٣٥٤٨) وقال: «حديث غريب».

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٣٠)، ومسلم (٢٧٠٤).

{٤٥}[أوقات إجابة الدعاء]:

تتمة: الإجابة لها أوقات، وأحوال، وأشخاص، وأماكن.

فمن أوقاتها: ليلة القدر، ويوم عرفة، وشهر رمضان، ويوم الجمعة، وعند جلوس الإمام على المنبر إلى أن يتم الصلاة ـ وهو الصحيح ـ ووقت العصر منها وإليه ذهب المشايخ، (تتارخانية). وقيل: اليوم كله وليلتها كلها، وقيل: من حين تقام الصلاة إلى السلام، وقيل: آخر ساعة منه، وقيل: بعد طلوع الفجر قبل طلوع الشمس، وقيل: بعد طلوع الشمس، وذهب أبو ذر رضي الله عنه إلى أنها: بعد زيغ الشمس بيسير، وقيل: وقت قراءة الإمام الفاتحة إلى أن يقول: آمين، وقيل: غير ذلك إلى أزيد من ثلاثين قولاً ذكرها القسطلاني في (لوامع الأنوار)[١]، ونصف الليل الثاني، وثلثه الأول، وثلثه الأخير وجوفه، ووقت السحر، وساعة الجمعة أرجىٰ ذلك، كذا قال ابن الجوزي.

وقال المُلاّ علي: وفيه نظر إذ لا دليل يظهر أنها أرجىٰ من ليلة القدر، وكذا من يوم عرفة بعرفة.

ومن أحوالها: دبر الصلاة المكتوبة، وفي السجود، وينبغي أن يحمل عندنا على النفل[٢] وعقب تلاوة القرآن لا سيما الختم، أي: من القرآن خصوصاً من القارئ، وعند النداء بالصلاة، وبين الأذان والإقامة، وبعد الحيعلتين

(١) انظر الحديث الذي أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذكر يوم الجمعة، فقال: ﴿فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلّي يسأل الله تعالىٰ شيئاً إلاّ أعطاه إياه وأشار بيده يقللها﴾ البخاري (٩٣٥) ومسلم (٨٥٢)، انظر بالتفصيل ذلك في فتح الباري .

(٢) أي الحنفية، فإنهم لا يرون الزيادة في الفريضة على (سبحان ربي الأعلىٰ) انظر مختصر القدوري (مع التصحيح على القدوري) ص ٧٣٠.

لمن نزل به كرب أو شدة، وعند الصف في سبيل الله، وعند التحام الحرب، وعند شرب ماء زمزم، والحضور عند الميت، وصياح الديكة، واجتماع المسلمين، ومجالس الذكر، وعند قول الإمام: ولا الضآلين، وعند تغميض الميت، وإقامة الصلاة، ونزول الغيث، ورؤية الكعبة، وبين الجلالتين في سورة الأنعام[١].

{٤٦}[من يرجىٰ قبول دعائه]:

ومن الأشخاص: المضطر، والمظلوم ولو كان فاجراً أو كافراً، والوالد إذا كان محقاً، والولد البار بوالديه، والمريض، والمسافر، والصائم حتى يفطر، وحين يفطر، و الإمام العادل، والرجل الصالح، والمسلم لأخيه بظهر الغيب، والمسلم ما لم يدع بظلم أو قطيعة رحم، أو يقول: دعوت فلم أجب، ولله عز وجل عتقاء في كل يوم وليلة لكل عبد منهم دعوة مستجابة، ودعوة الحاج لا تُرد حتى يصدر أي يرجع.

{٤٧}[الدعاء باسم الله الأعظم]:

ومن قال: «لا إله ألا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» جاء أنه اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سئل به أعطىٰ.

وجاء هو: ﴿اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً

(١) والمراد بها الآية: ﴿جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ١٢٤﴾ الأنعام.

أحد﴾[١]. وجاء أنه: ﴿اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحد... إلى آخره[٢]﴾.

وجاء أيضاً هو: ﴿اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، الحنان المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم﴾[٣].

وجاء: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (١٦٣)﴾ [البقرة]، و﴿الم (١) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢)﴾ [آل عمران][٤].

وجاء هو: اسم الله الأعظم في ثلاث: البقرة، وآل عمران، وطه. قال القاسم: فالتمستها أنه الحي القيوم[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٧٥) وقال: «حديث حسن غريب»؛ وأخرجه النسائي في الكبرىٰ (١٦٦٦)؛ وابن حبان في موارد الظمآن ١/٥٣٢، قال ابن حجر: «إن هذا الحديث أرجح ما ورد من حيث السند» كما نقل الشوكاني في التحفة ص٥٢.

(٢) كما في رواية الترمذي، والبيهقي في الدعوات الكبير ١/١٤٥، انظر بالتفصيل: تحفة الذاكرين للشوكاني. ص ٥١ وما بعدها.

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٩٥)، والنسائي في الكبرىٰ (١٢٢٣)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، وأورده الهيثمي في المجمع وقال: «رواه أحمد والطبراني في الصغير ورجال أحمد ثقات إلاّ أن ابن إسحق مدلس وإن كان ثقة» ١٠/١٥٦.

(٤) هذا حديث أسماء بنت يزيد مرفوعاً ﴿اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ....﴾ وذكر الآيتين المذكورتين.
كما رواه أبو داود (١٤٩٦)؛ والترمذي وحسنه (٤٣٧٨)؛ وابن ماجه (٣٨٥٥).

(٥) ويعني به حديث أبي أمامة الباهلي الذي رواه ابن ماجه ... وذكر الحديث، ثم قال أبو أمامة فالتمستها فوجدت في البقرة في آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وفي آل عمران ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وفي طه ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾. ابن ماجه (٣٨٥٦) والحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير، كما ذكر الشوكاني في تحفة الذاكرين ص ٥١.

وجاء أنه في قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦] الآية.

{٤٨}[الاختلاف في الاسم الأعظم]:

وقد اختلف العلماء في الاسم الأعظم هل هو معين أو لا ؟ فقيل: غير معين بل ما دعوته به حال تعظيمك له وانقطاع قلبك إليه، فما دعوت به في هذه الحالة استجيب لك، لظاهر قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[النمل: ٦٢] والمشهور: أنه اسم معين يعلمه الله تعالىٰ ويلهمه من يشاء من خواص عباده، ثم اختلف القائلون بتعينه بحسب النظر، والأخذ بالأثر، وبحسب الكشف والإلهام فقيل: إنه (الله) وهو قول الجمهور، ونَسَبه بعضهم لأكثر أهل العلم، لكن كما قال القطب الرباني السيد عبد القادر الجيلاني: بشرط أن تقول: الله وليس في قلبك سواه. وقيل: إنه الحي القيّوم. وقيل: هو العليّ العظيم الحليم العليم؛ وقيل: هو لا إله إلا الله، أو لا إله إلا هو. وقيل: الحق. وقيل: ذو الجلال والإكرام. وقيل: أرحم الراحمين. وقيل ربّنا. وقيل:الوهّاب. وقيل: القريب. وقيل: السميع البصير. وقيل: سميع الدعاء. وقيل: خير الوارثين. وقيل: حسبنا الله ونعم الوكيل، وقيل غير ذلك والله تعالىٰ أعلم. وأيّاً كان فالداعي به ممن يستجاب دعاءه.

{٤٩}[معنىٰ الأعظم]:

هذا وقد اختلف العلماء في معنىٰ الأعظم هل هو بمعنىٰ أفعل التفضيل أو بمعنىٰ العظيم؟

فمال بعضهم إلى الأول، وفضلوا بعض أسمائه تعالىٰ على بعض، ومال

آخرون إلى الثاني، وقالوا: لا يجوز التفضيل؛ لأنه يؤذن باعتقاد نقصان المفضول عن الأفضل، وأوّلوا ما ورد في ذلك على أن المراد بالأعظم: العظيم؛ إذ أسماؤه كلها عظيمة.

[أماكن الإجابة]

وأما الأماكن فسيأتي الكلام عليها في النظم، وهو ما قال رحمه الله تعالىٰ ـ: دعاء البرايا، أي: طلب حاجاتهم من الله تعالىٰ، والبرايا: الخلائق جمع برية، بمعنىٰ الخليقة، أي: المخلوقة، يستجاب، أي: يُقبل ويُجاب بفضل الملك الوهاب، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ [الأنعام: ٤١]، والإجابة تكون بطرق، وتقدم بيانها.

{٥٠} [علامات الإجابة]:

ومن علاماتها: الخشية والبكاء، وربما تحصل الرعدة والغيبة عن الوجود.

{٥١} [المستند في أماكن إجابة الدعاء عامة]:

واعلم أن الحسن ـ رضي الله عنه ـ ذكر الإجابة في هذه الأماكن، والظّاهر أنه لا يقول ذلك إلا عن توقيف؛ لأنه تابعي جليل بل سيد التابعين.

وقال الشيخ محمد بن علي علان في شرح الأذكار: عن جده عبد الملك بن علي، إن الحسن البصري، رفع ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإن ثبت ذلك فيكفي في العمل به، ولعلّه ثبت عند الشيخ

عبد الملك العصامي أيضاً؛ لأنه ذكره في آخر نظمه المشهور، وله شواهد فإن بعضها مذكور في أحاديث مرفوعة، وقد ذكرها مطلقة عن الأوقات، وتبعه في ذلك أكثر من ذكرها من مشايخنا، وعليه جرى الناظم، وقال المُلاّ علي قاري: والظاهر أن هذه الأماكن الشريفة موضع إجابة الدعوات المنيفة، في الأزمنة والأحوال المخصوصة، ويمكن حملها على عمومها. والله سبحانه أعلم، وقيد النقّاش البعض، ومشى عليه الشافعية، وفَضْلُ الله لا يحصىٰ، وسأذكر ذلك كلما قيده بقيد، تتميماً للفائدة وتحصيلا للأكمل.

{٥٢}

١-[وقت الإجابة في الكعبة]

بكعبة، أي: بيت الله الحرام زاده الله شرفاً وتعظيماً، أي: داخلها من غير قيد على قول الحسن، وهو من فضل الله تعالىٰ؛ إذ هو الممكن في العادة، وبقيد وقت العصر، وكونه بين جذعته على ما ذكره النقّاش، وهو غير مشير عادة؛ إذا العادة في فتحه بكرة النهار، وفي شرح الشيخ إدريس معناه: ويمكن ذلك في دخول الحِجْر؛ لأنه كله من البيت أو ستة أذرع أو شيء منه، لكن يرده شرط كونه بين جذعته، وسيأتي أن الحِجْر مما يستجاب فيه الدعاء أيضاً، والبيت أعظم أماكن الإجابة وأفضلها، وفضله لا يُحصىٰ، فإنه سِرّ الله في أرضه، ووجهته لعباده، وقبلة العالَم بأسره، وبقعته أفضل البقاع، ما عدا ما ضم أعضاءه الشريفة بالإجماع[1]. ولذا قال سبحانه ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩٦] الآية.

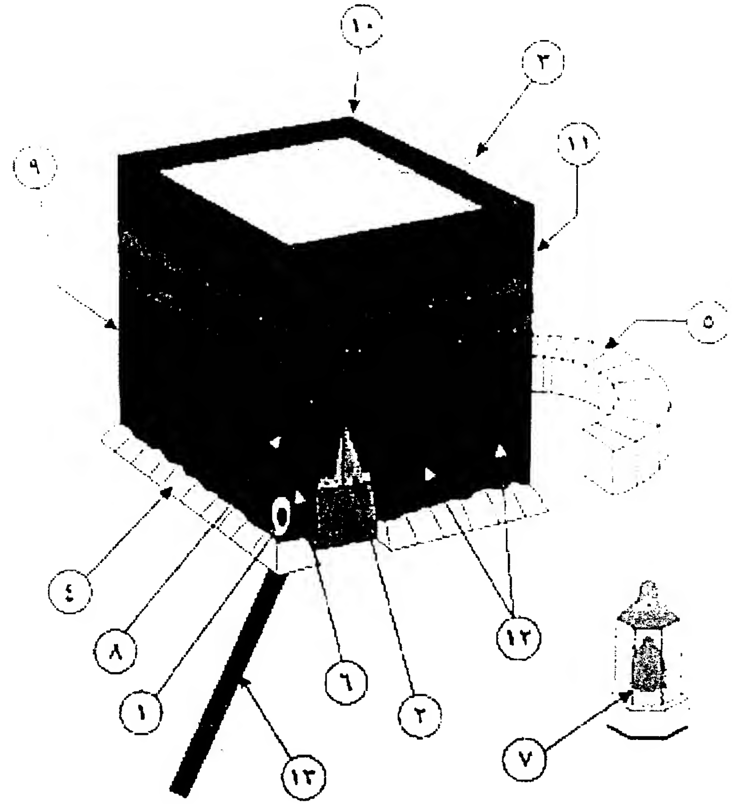
{٥٣}[وَضَعَ اللهُ البيت]:

قال في المدارك: والواضع هو الله عز وجل، والمعنىٰ: وضع الله بيتاً للناس، أنه جعله متعبداً لهم، فكأنه قال: إن أول متعبد للناس الكعبة، وفي الحديث: أن المسجد الحرام وضع قبل بيت المقدس بأربعين سنة، قيل أول

---

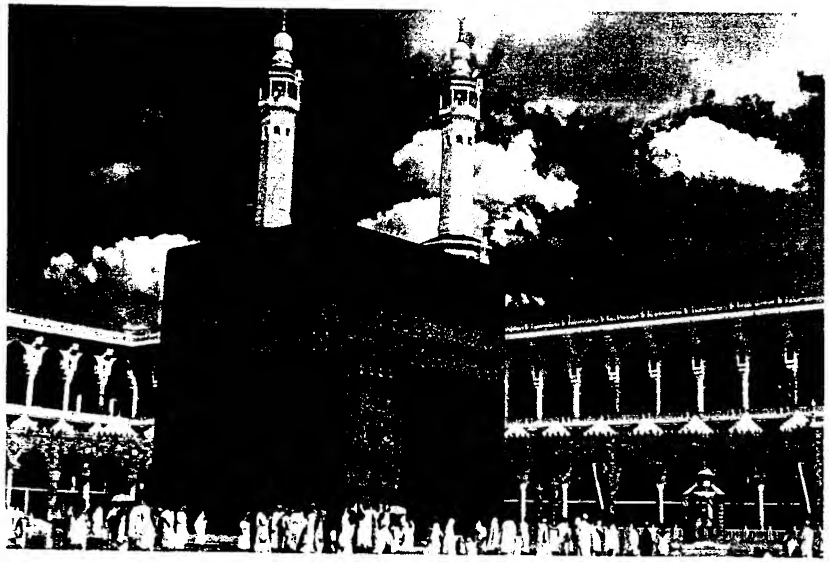
(١) قال القاضي عياض: «ولا خلاف أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض»، ونقل المحقق (البجاوي) في الهامش: «قال السبكي: الإجماع على أن قبره ﷺ أفضل البقاع وهو مستثنى من تفضيل مكة على المدينة». انظر: الشفاء للقاضي عياض، ٢/٦٨٢ (طبعة الحلبي).

من بناه إبراهيم، وقيل: هو أول بيت حُجَّ بعد الطوفان، وقيل: هو أول بيت ظهر للناس على وجه الماء، عند خلق السماء والأرض، وقيل: هو أول بيت بناه آدم عليه السلام في الأرض، وقيل: أول بيت بنته الملائكة.



رسم توضيحي للكعبة المشرفة

١- الحجر الأسود ٢-باب الكعبة ٣-الميزاب (ميزاب الرحمة) ٤- الشاذوران ٥- حجر إسماعيل (الحطيم) ٦- الملتزم ٧- مقام سيدنا إبراهيم ٨- ركن الحجر الأسود ٩- الركن اليماني ١٠- الركن الشامي ١١- الركن العراقي ١٢- ستار الكعبة ١٣- خط المرمر البني



الكعبة المشرفة وجانب من الحرم العثماني والسعودي

{٥٤}[المراد بأول بيت وضع]:

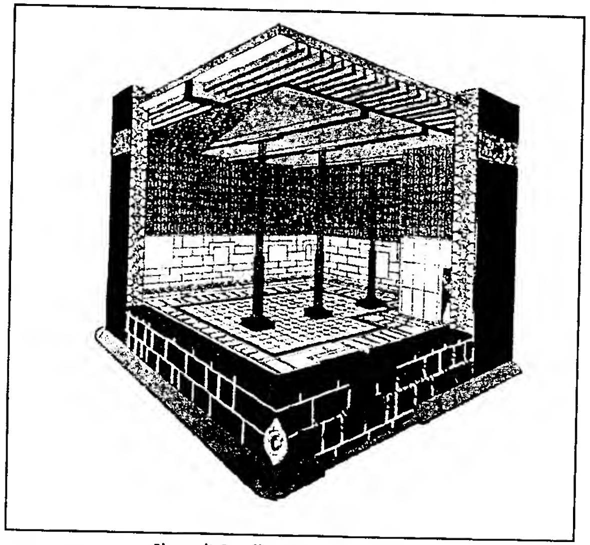
وعن علي رضي الله عنه أنه سئل أهو أول بيت وضع؟ فقال: كان قبله بيوت ولكنه أول معبد[١]، وهو عين القول الأول.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[البقرة: ١٢٥] أي مآبة ومرجعاً للحجاج يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه، وقال تعالىٰ: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ الآية [البقرة: ١٢٥]: من الأوثان والأنجاس والخبائث كلها[٢].

(١) انظر تفسير المحرر الوجيز لابن عطية، في تفسير قوله ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ.....﴾ ص ٣٣٠.

(٢) انظر المصدر السابق في تفسير الآية، ص ١٣٣.

وناهيك بهذه الإضافة المنوهة بذكره المعظمة لشأنه الرافعة لقدره، وكفاه ذلك شرفاً وفخراً، وبها على سائر البقاع عظمة وقدراً.



رسم مقطعي لداخل الكعبة المشرفة



الأعمدة الثلاثة بداخل الكعبة المشرفة

{٥٥}[شرف البيت]:

وما أحسن ما قيل في هذا المعنىٰ:

كفىٰ شـرفاً أني مضاف إليكم وأني بكم أُدعىٰ وأرعىٰ وأعرف

وهي من السر في إقبال العالمين عليه، وعكوفهم لديه، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤] . أي: الكعبة أو وجهتها.

{٥٦}[جعل البيت قياماً]:

وقال تعالىٰ: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧]. أي: قواماً لهم في أمر دينهم ودنياهم، ورُوي عن الحسن البصري أنه تلا هذه الآية ثم قال: لا يزال الناس على دين ما حجوا البيت وستقبلوا القبلة، وقيل: لو تركوه عاماً لم ينظروا ولم يؤخروا، وقال تعالىٰ: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج] .

{٥٧}[الطواف بالبيت]:

المراد: طواف الزيارة الذي هو ركن باتفاق الأربعة[١]، قيل: هو مطاف أهل الغبراء، كما أن العرش مطاف أهل السماء، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن هذا البيت دعامة الإسلام، ومن خرج يؤمّ هذا البيت من حاجٍ أو معتمرٍ وزائر كان مضموناً على الله إن ردّه ردّه بأجر وغنيمة، وإن قبضه أن يدخله الجنةً»[٢]. وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا

(١) انظر زبدة الأحكام في مذاهب الأئمة الأربعة ص ١٦٠.

(٢) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية ٣٣٩/٦؛ والأزرقي في أخبار مكة ٣/٢؛ والديلمي

هذه الحرمة حق تعظيمها﴾ (١) يعني الكعبة. وإذا ضيعوا ذلك هلكوا.

{٥٨}[حرمة البيت]:

ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قال: ﴿مرحباً بك من بيت، ما أعظمك وأعظم حرمتك! ولَلْمُؤْمِنُ أعظمُ عند الله منك﴾ رواه البيهقي(٢).

{٥٩}[زف الكعبة]:

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إذا كان يوم القيامة زفت الكعبة البيت الحرام إلى قبري، فتقول: السلام عليكَ يا محمد، فأقول: وعليك السلام يا بيت الله ما صنع بك أمتي؟ فتقول: يا محمد من أتاني فأنا أكفيه وأكون له شفيعاً، ومن لم يأتني فأنت تكفيه فتكون له شفيعاً﴾ أخرجه ابن مردويه والأصبهاني في الترغيب(٣).

وعنه صلى الله عليه وسلم: ﴿وعد الله تعالىٰ هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف، فإن نقصوا كملهم بالملائكة، وإن الكعبة تُحشر كالعروسة المزفوفة، من حجها تعلق بأستارها حتى تدخلهم الجنة﴾ (٤) ذكره ابن جماعة في منسكه.

في الفردوس ٤/٣٣٢؛ وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن عبد الله بن عبيد وهو متروك». المجمع ٣/٢٠٩.

(١) أخرجه ابن ماجه (٣١١٠)؛ والإمام أحمد في المسند (١٩٠٧٢).

(٢) أورده الهيثمي وقال: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن محصن وهو كذاب يضع الحديث». المجمع ١/٨٢؛ وقال المناوي في الفيض: «لكن تعدد الطرق دل على أن للحديث أصلاً» ٥٠/٣٦٦.

(٣) أخرجه الديلمي في الفردوس ٢/٢٩٥.

(٤) أورده الملا علي في الأسرار المرفوعة وقال: «كذا في الإحياء، وقال العراقي: لم أجد أصلاً» ١/١٢٦؛ وابن جماعة في هداية السالك، ١/٤١.

وعن عمر رضي الله عنه: من أتى البيت لا ينهزه، أي: لا يحمله غير صلاة فيه رجع كيوم ولدته أمه(١).

{٦٠}[زيارة الملائكة الكعبة]:

ويروى أن المَلَكَ إذا نزل إلى الأرض في بعض أمور الله تعالىٰ، فأول ما يأمره الله تعالىٰ بزيارة البيت، فينفض من تحت العرش مُحرماً مُلبياً حتى يستلم الحجر، ثم يطوف بالبيت سبعاً ويركع ركعتين، ثم يمضي لما أمر به(٢). وقيل: لَمَّا خلق الله السموات والأرض قال لهما: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، خلق فيهما كلاماً ونُطقاً، فنطق من الأرض موضع الكعبة، ومن السماء ما بحيالها، وظاهره النطق بلسان المقال، وقيل يُنَزَّل الطاعة منها منزلة القول.

{٦١}[خلق الكعبة]:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: الكعبة خلقت قبل الأرض بألفي عام، قيل: وكيف خلقت قبل الأرض وهي من الأرض؟ قال لأنه كان عليها مَلَكان يسبحان الله بالليل والنهار ألفي سنة، فلما أراد الله أن يخلق الأرض دحاها من تحت الكعبة(٣).

وقال الثعلبي: خلق الله جوهرة خضراء ثم نظر الله إليها بالهيبة فصارت ماء، فخلق الأرض من زبده، والسماء من بخاره، فكان أول ظاهر على وجه الأرض مكة. زاد غيره: ثم المدينة، ثم بيت المقدس، ثم دحىٰ الأرض منها طبقاً واحداً، ثم فتقها بعد ذلك، وكذلك السماء(٤).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، ٣/١٢٠.

(٢) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة، ١/٣٩.

(٣) روى ابن الجوزي في المنتظم نحوه ١/١٢٨.

(٤) انظر: فيض القدير ١/٦٨.

{٦٢}[موضع البيت]:

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض بعث الله تعالىٰ ريحاً هفافة فصفقت الماء فأبرزت عن خشفة في موضع البيت كأنها قبه، فدحىٰ الله الأرضين من تحتها، فمادت ثم ماءت فأوتدها بالجبال، وكان أول جبل وُضع فيها أبو قبيس؛ فلذلك سميت أم القرىٰ»[1]، أي: أصلها، والخشفة ـ بالخاء والشين المعجمتين والفاء ـ واحدة من الخَشَف، وهي:حجارة تنبت في الأرض نباتاً، وروي بالعين عوضاً عن الفاء، أي: أكمة لاطئة بالأرض، وقيل: هو ما غلب عليه السهولة وليس بحجر ولا طين، وكل هذا دال على فضلها والكلام فيه يطول، ولو لم يكن من فضلها إلا خلق سيد الخلائق فيها عليه الصلاة والسلام لكفىٰ.

{٦٣}[أصل طينة النبي ﷺ]:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الأرض بمكة»، يعني: الكعبة، وهو لا ينافي أنه أخذ طينته من قبره الشريف صلى الله عليه وسلم؛ لأن الماء لما تموج، رمىٰ بالزبد إلى النواحي، فغرقت جوهرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما يحاذي تربته بالمدينة.

{٦٤}[حصول الأمن]:

وله فضائل كثيرة وكرامات شهيرة، في فضائله: حصول الأمن بدخوله أو دخول فنائه بدعوة إبراهيم عليه السلام، حيث قال: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا﴾ [البقرة: ١٢٦] على ما قيل أومن منذ خلق الله السماء والأرض، وهو الصحيح،

(١) أخبار مكة للأزرقي ١/٣٢.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقال: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗا﴾ [آل عمران: ٩٧][1].

وعن عمر رضي الله عنه: لو ظفرت بقاتل الخَطّاب ما مسسته حتى يخرج منه[2]. ومعنى الأمن عندنا: أن من دخله من الصيد، ومن [كان] مُتهما بقتل بقود، أو رِدّة، أو زنا في الحل، ثم التجأ إليه، لم يتعرض له؛ لأنه لا يؤوىٰ ولا يطعم ولا يسقىٰ، حتى يضطر إلى الخروج، وأما إذا فعل ذلك فيه أقيم عليه حَدّه، وقيل: معناه الأمن من النّار لقوله عليه الصلاة والسلام: «من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا[3]».

ويُحكىٰ عن بعض العُبّاد رضي الله عنه أنه قال: كنت أطوف، فقلت: يا رب! إنك قلت: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗا﴾، أين الأمن؟ فسمعت ملكا يكلمني ويقول: من النّار.

{٦٥}[من حَجَّ ثلاث حِجج]:

ويحكىٰ أن قوماً أتوا سعدون الخولاني رضي الله عنه بالمنستير، فأعلموه أن كتامة ـ وهي قبيلة بالبربر ـ قتلوا رجلاً، وأضرموا عليه النار طول الليل، فلم تعمل فيه النار، وبقي أبيض البدن. فقال: لعله حج ثلاث حجج؟ قالوا: نعم. قال: حُدِّثْتُ أن من حج حجة أدى فرضه، ومن حج ثانية داين ربه، ومن حج ثلاث حججٍ حرم الله سبحانه وتعالىٰ شعره وبشره على النار[4].

(١) انظر تفسير ابن عطية في تفسير الآية، ص ٣٣٢ .

(٢) رواه الأزرقي في أخبار مكة٢/١٤٠.

(٣) أورده الهيثمي في المجمع وقال: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط» وفيه موسى بن عبد الرحمن وثقه ابن حبان، وفيه عبد الله بن المؤمل وثقة ابن حبان وغيره، وضعفه أحمد وغيره ، وإسناده حسن» ٢/٣١٩.

(٤) أورده الدمشقي في توضيح المشتبه ٨/٢٨٥.

وكانت العرب يغير بعضها على بعض ويختطفون الناس بالقتل، وأخذ الأموال، وأنواع المظالم إلا في الحرم.

{٦٦}[تضعيف الثواب]:

ومنها تضعيف الثواب فيه وفي بنائه، ومنها حصول الأجر العظيم بالطواف به، والنظر إليه، والجلوس حوله.

{٦٧}[كراماته وتعظيمه في قلوب الناس]:

ومنها كراماته: كما هو مجرب أن مفتاح بابها إذا وضع في فم الصغير الذي ثقل لسانه عن الكلام تكلم سريعاً[١].

ومنها بقاء بنائها المدد المتطاولة مع توالي الأمطار والأهوية.

ومنها: هيبتها وتعظيمها في قلوب الناس، وكفّ الجبابرة عنها على مرّ الدهور والأعصار، وإذعان نفوس العرب لتوقيرها بدون ناهٍ ولا زاجر.

{٦٨}[عقوبة منتهكي حرمة البيت]:

رُوي أن الحجاج بن يوسف الثقفي لما نصب المنجنيق على [جبل] أبي قبيس، والنيران، واشعلت النار في أستار الكعبة، جاءت سحابة نحو جُدة يسمع فيها الرعد، ويرىٰ البرق، فمطرت، فلم يجاوز مطرها الكعبة والمطاف، فأطفات النّارَ فأرسل الله عليهم صاعقة، فأحرقت منجنيقهم فتداركوه. قال عكرمة: أحسب أنها احترقت تحته أربعة رجال، فقال الحجاج: لا يهولنّكم

(١) هذه القصة تناقلها المؤلفون في (فضائل مكة) فذكرها الفاكهي، وعنه الفاسي في الشفاء ٣٠١/١؛ وابن ظهيرة في الجامع اللطيف ص ٥١.

هذا فإنها أرض صواعق؛ فأرسل الله صاعقة أخرىٰ، فأحرقت المنجنيق وأحرقت معه أربعين رجلاً[١]. وهذا كان مع عدم قصد الحَجّاج للبيت؛ لأن قصده إخراج ابن الزبير حيث تخفىٰ به. فكيف بمن قصده أو رامه بسوء!! وقد وقع له ما هو أعظم من ذلك، كقصة تُبّع، وأصحاب الفيل.

{٦٩}[هيبة البيت]:

ومن هيبته: أن الطير لا توقع عليه إلا للاستشفاء، ولا تعلوه، حتى إذا طارت فوقة وحاذت الكعبة انفرقت فرقتين كما حكاه كثير.

وذكر بعضهم: أن الطير إذا نزل على الكعبة: إما أن يشفىٰ، وإما أن يموت لحينه، وهذا كان سابقاً وأما الآن فلا، ذكره غير واحد، وكان ذلك لاختلاف الزمان وقرب الساعة، كما هو مشاهد في أحوال بني آدم حولها من قلة الأدب، وعدم الخشية.

{٧٠}[إنجاح مقاصد الملتجئ إليها]:

ومنها إنجاح مقاصد مَنْ التجأ إليها، ودفع الشر عنه، وتفريج كربه، وذلك كثير لا يحصىٰ.

وحكي أن امرأة لاذت بظالم، فجاء ومدّ يده إليها فصار أشلَّ، وهذا سرعة عقاب من لم يتأدب في حضرتها. ويحكى أن رجلا كان في الطواف فبرق له ساعد امرأة فوضع ساعده عليه متلذذاً به، فلصق ساعدهما، فقال له بعض الصالحين: ارجعْ إلى المكان الذي فعلت فيه، فعاهدْ ربّ البيت أن لا تعود بإخلاص وصدق نية! ففعل فخلي عنه، وانفصل ساعده[٢].

(١) أورد الهيثمي في المجمع نحوها، انظر ٢٩١/٣.
(٢) انظر: القرى لقاصد أم القرى ص (٢٧٢).

ويحكى: أن رجلاً نظر إلى شخص في الطواف واستحسنه، فسالت عينه على خده. وقال ابن حجر المكي ـ رحمه الله تعالىٰ: أخبرت عن بعض من كان يحضر درسي وعليه من لوائح النّجابة وحفظ المسائل الغريبة، ما كان الأمل فيه أن ينتج ويرتقي إلى مرتبة إفتاء أو تدريس، أنّه عند تقبيل الحجر زاحمته امرأة لتُقَبِّلَ فقبلها، فابتلاه الله تعالىٰ بحالةٍ قطعته أولاً عن العلم بالكلية، ثم صُيِّرَ مسخرةً وضحكة لكل من يراه؛ بحيث يقضي كل من عرف حاله أولاً وآخراً بالعجب العجاب من ذلك؛ لجهلهم بهذا الفعل الصادر منه الذي كان سبباً لمقته. وذهاب لُبِّه، ودناسة ثيابه، وخبل عقله واختلاط كلامه، ووصوله إلى حالة المبرسمين ومرافقته للمسرفين. أعاذنا الله من غضبه، وفتنته وبلائه ومِحَنِه، بِمَنّه وكرمه! آمين.

{٧١}[دوام الطواف]:

وفيها أنه منذ خلقه الله تعالىٰ ما خلا من طائف يطوف به من إنسٍ أو جِنّ أو مَلَكٍ أو غير ذلك. وقال بعض أهل السلف: خرجت يوماً في هاجرة ذات سموم، وقلت: إن خلا البيت عن طائفٍ ففي هذا الحين، ورأيت المطاف خالياً، فدنوت فرأيت حية عظيمة رفعت رأسها وهي تطوف حولها.

{٧٢}[طواف الحيوانات]:

وذكر أنه يوم قتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما بمكة اشتد الحرب واشتغل الناس فلم يُرَ طائف يطوف بالبيت إلا جمل يطوف بها.

{٧٣}[طواف الجان بالبيت]:

وروي أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما كان جالساً في جماعة من قريش بالمسجد الحرام بعد ما ارتفع النهار، وقلصت الأفياء، إذا هم ببريق أيم دخل من جهة باب بني شيبة، فاشرأبت أعينهم إليه وأبدوه بأبصارهم، فجاء حتى استلم الحجر وطاف بالبيت سبعاً، وهم يحصونه، ثم ذهب إلى دبر المقام فركع ركعتين وهم ينظرون إليه، فقال عبد الله بن عمرو لأصحابه: اذهب إلى هذا فحذره فأني أخاف أن يقتل أو يعبث به، فذهب إليه حتى وقف على رأسه، وحذره فأصغى إليه برأسه حتى استنفد كلامه، ثم ذهب في السماء حتى غاب، فلم يُرَ(١).

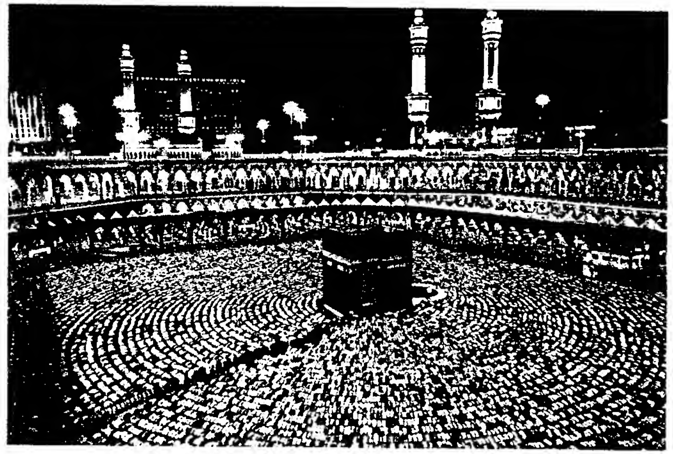
والأيم: هي الحية الذكر، وبريقه: لمعانه، إلى غير ذلك مما روي من هذا النوع(٢).

{٧٤}[اتساع الكعبة]:

ومنها اتساعه لداخليه مع كثرتهم وازدحامهم، ولم يعلم أحد مات فيه من الزحام، إلا ما وقع في سنة إحدى وثمانين وخمسمائة كما نقله المؤرخون: فإنه مات فيه أربعة وثمانون، وقال ابن النقاش: والكعبة تَسَع ألف إنسان، وإذا فتحت أيام الموسم دخلها آلاف كثيرة.

هذا وفضائل البيت لا تحصىٰ، وفضائله لا تستقصىٰ، فكم خلص الله به قوماً ووصل آخرين وأفاض بواسطة أسراره الربانية على قلوب كثير من المحبين.

(١) وذكر ابن الجوزي نحوها في مثير العزم الساكن ٢/ ٣١.
(٢) انظر أخبار مكة للأزرقي ١/ ٣٢٢.



جموع المصلين حول الكعبة المعظمة

{٧٥}[أحوال العارفين]:

رُوي أن أبا الفضل الجوهري رحمه الله لما رأىٰ الكعبة علاه حال فقال ـ وقد دخله الطرب ـ: هذه زيارة المحبوب فأين المحبون؟ وهذه أسرار القلوب فأين المشتاقون؟ هذه ساعة الاطلاع على الدموع فأين البكاؤون، ثم شهق شهقة وأنشد:

هـذه دارهـم وأنـت محب ... ما بقاء الدموع في الآماق[1]

ثم بادر إلى البيت باكياً.

وقد روى عنهم كثير من هذا الباب، وما ذاك إلا للسر الذي قصر عن بيانه الإطناب، وما أحسن قول العارف بالله تعالىٰ السيد عبد الله با علوي رحمه الله تعالىٰ.

(١) هذا قول الشبلي كما ذكر ابن الجوزي: «وحج الشبلي، فلما وصل مكة جعل يقول: أبطحاء مكة هذا الذي أراه عياناً، وهذا أنا، ثم غُشي عليه، فأفاق وهو يقول:» مثير العزم الساكن ١/٣٨٩

عزيزة وصف حار فيه أولو النهى ... من العارفين أهل الندا والبصائر

{٧٦}[التسمية بالكعبة]:

وإنما سمي كعبة لتكعبه أي: تربعه ـ يقال: بُرْدٌ مُكعَّب إذا طُوِي مُرَبعاً، أو لِعُلُوِّه ونتوئه ـ ومنه سمي الكعب كعباً لنتوئه، وخروجه من جانب القدم، يقال: تكعبت الجارية إذا خرج نهداها[1] ـ أو لانفراده عن البيوت وارتفاعه، وكان الناس بيوتهم مدورة تعظيماً للكعبة، وأول من بنى مربعاً حميد بن زهير، فقالت قريش: ربع حميداً بيتاً إما حياة أو موتاً، وكان عمر رضي الله عنه وغيره كانوا يأمرون بهدم ما ارتفع من البيوت عن الكعبة؛ لأن الارتفاع من حيث هو مذموم، ومن علامات الساعة، وقد ورد: «من بنىٰ فوق عشرة أذرع ناداه منادٍ من السماء يا عدو الله إلى أين تريد؟[2]»، وهذه المحنة قد عمت فنسأل الله العفو.

{٧٧}[والتسمية بالبيت]:

وأما تسميته بالبيت الحرام؛ فلأن الله حرّمه وعظّمه، وحرم صيده وشجره، أن يُختلىٰ خلاه، وأن يعضد شجره؛ وأن يتعرض له بسوء.

{٧٨}[التسمية بالعتيق]:

واختلف في تسميته بالعتيق: فقيل: لأن الله أعتقه من الجبابرة، فلم يظهر عليه جبار، وقيل لِقِدمه؛ لأنه أول بيت وضع، والعتيق: القديم، وقيل: لأنه

(١) القرىٰ لقاصد أم القرىٰ، ص ٣٤٠.

(٢) أورده المناوي في الفيض وقال: «أغفل المصنف من خرجه، وعزاه في الدرر إلى الطبراني عن أنس، وفيه الربيع ابن سليمان» ٦/٩٧.

كريم على الله لم يجر عليه مُلْك لأحد من خلقه، فلا يقال بيت فلان وإنما يقال بيت الله، وقيل: لأنه أعتق من الغرق؛ لما أنه رفع في زمن الطوفان، وقيل: لشرفه سمي عتيقاً، وقيل: لأن الله تعالىٰ يعتق فيه رقاب المؤمنين من العذاب، وقيل: لأنه يعتق زائره من النار، وهو قريب من الأول، وقيل غير ذلك(١)، قال ابن جماعة: والأصح الأول؛ لأن الترمذي رواه من حديث الزبير، وقال: إنه حسن غريب(٢).

{٧٩}[دخول البيت]:

تتمة: يستحب دخول البيت عند الأربعة إذا لم يؤذ أحداً وإلا فيحرم، كما في المضمرات. ويُستحب الصلاة فيه والدعاء، ويدخله خاضعاً خاشياً حافياً، معظماً مستحيياً، لا يرفع رأسه إلى السقف، ويقصد مُصلّى النبي صلى الله عليه وسلم.

{٨٠}[ما يفعل بداخل الكعبة]:

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا دخلها مشىٰ قِبَلَ وجهه وجعل الباب قِبَل ظهره، حتىٰ يكون بينه وبين الجدار الذي قِبل وجهه قريب من ثلاثة أذرع، ثم يصلي يقصد مصلىٰ النبي صلى الله عليه وسلم(٣)، وإذا صلّى وضع خده على الجدار ـ رحمه الله ـ واستغفر.

{٨١}[الأدعية بداخل الكعبة]:

ثم يأتي الأركان فيحمد الله تعالىٰ ويستغفر، ويهلل ويكبر ويسبح،

(١) انظر: القرىٰ لقاصد أم القرىٰ ص ٣٤٠.
(٢) أخرجه الترمذي (٣١٧٠)؛ هداية السالك لابن جماعة ١/٤٠.
(٣) أخرجه البخاري (٤٨٤).

ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ويدعو بما شاء من الأدعية طلب الجنة بلا حساب، والشوق إلى لقاء الملك الوهاب، ويتجنب البدع، وينبغي أن يقول: ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠]، ويقول: اللهم كما أدخلتني بيتك فأدخلني جنتك، اللهم يا رب البيت العتيق أعتق رقابنا ورقاب أبائنا وأمهاتنا من النار، يا عزيز يا جبار، اللهم يا خفي الألطاف آمنا مما نخاف، اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه نبيّك محمد صلى الله عليه وسلم، وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم. ربنا تقبّل منا إنك أنت السميع العليم، وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

{٨٢}[فضل دخول الكعبة]:

ولدخول الكعبة ثواب عظيم وفضل جسيم: وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دخل البيت فصلّى فيه، دخل في حسنة وخرج من سيئة مغفوراً له(١)» ومثله عن ابن عمر رضي الله عنهما، وفي رسالة الحسن البصري عنه صلى الله عليه وسلم: «من دخل الكعبة دخل في رحمة الله عز وجل وفي حِمىٰ الله عز وجل وفي أمن الله عز وجل ومن خرج خرج مغفوراً له(٢)»، وفي رواية عن مجاهد: «يخرج معصوما فيما بقىٰ» نقله ابن جماعة، ثم قال: يحتمل أنه يريد بذلك العصمة من الكفر، فتكون له البشارة لمن دخله بالموت على الإسلام(٣).

{٨٣}[فضل النظر إلى الكعبة]:

ويستحب الإكثار من النظر إليه؛ لأنه عبادة، وروى الحسن البصري

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ٤/٣٣٢، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٥/١٥٨ وقال: «تفرد به عبد الله بن المؤمل وليس بالقوي».
(٢) وأخرج نحوه الطبراني في المعجم الكبير ١١/١٧٧.
(٣) هداية السالك لابن جماعة ١/٧٦، ٧٧.

رحمه الله تعالىٰ في رسالته أنه صلى الله عليه وسلم قال: ﴿من نظر إلى البيت إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وحشر يوم القيامة من الآمنين[١]﴾، وفيها أنّه صلى الله عليه وسلم قال: ﴿من نظر إلى البيت نظرة من غير طواف ولا صلاة كان عند الله عز وجل أفضل من عبادة سنة بغير مكة صائماً وقائماً وراكعاً وساجداً[٢]﴾.

{٨٤}[الجلوس إلى القبلة]:

وفيها أيضاً: أنه صلى الله عليه وسلم قال: ﴿من جلس إلى القبلة ساعة واحدة محتسباً لله عز وجل، كان له كأجر الحاج والمعتمر، والمرابط، والقائم، وأول ما ينظر الله تعالىٰ لأهل الحرم، فمن رآه مصلياً غفر له، ومن رآه قائماً غفر له، ومن رآه قاعداً مستقبل القبلة غفر له[٣]﴾.

{٨٥}[تنزل الرحمات حول البيت]:

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿إن الله تعالىٰ ينزل في كل يوم مائة وعشرين رحمة على هذا البيت ستون للطائفين وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين[٤]﴾ وهذا وإن كان ضعيفاً فيعمل به في الفضائل كما عرف، وعن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿النظر إلى

(١) رسالة الحسن البصري (فضائل مكة والسكن فيها) بتحقيق د/ سامي الصافي ص ٢٣، وأخرج عبد الرزاق في مصنفه نحوها ٥/١٣٥.
(٢) هداية السالك ١/٧٥، وأخرج الأزرقي عن يونس بن خباب قوله: «النظر إلى الكعبة عبادة فيما سواها من الأرض عبادة الصائم القائم الدائم القانت» وقال محققه: «إسناده ضعيف» ١/٥٠٠.
(٣) انظر رسالة الحسن البصري.
(٤) رواه الفاكهي ١/١٩٨ والأزرقي في أخبار مكة ٢/٨، وقال محققه: «إسناده حسن» (طبعة الأسدي) ١/٥٠٠؛ والطبراني في الكبير ١١/١٢٤؛ وقال الهيثمي: «وفيه يوسف ابن السفر وهو متروك» مجمع الزوائد ٣/٢٩٣.

الكعبة محض الإيمان[١]﴾ أخرجه الجندي.

وعن سعيد بن المسيب رحمه الله: «مَنْ نظر إلى الكعبة إيماناً وتصديقاً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[٢]، وعن عطاء رضي الله عنه: «النظر إلى البيت الحرام عبادة، والناظر له بمنزلة الصائم القائم الدائم المخبت المجاهد في سبيل الله تعالىٰ»[٣].

{٨٦}[الجلوس في المسجد]:

وعن زهير بن محمد: «الجالس في المسجد ينظر إلى البيت، لا يطوف ولا يصلي، أفضل من المصلي في بيته لا ينظر إلى البيت» رواه الأزرقي[٤].

{٨٧}[حكم الصلاة بالكعبة]:

فائدة: الصلاة في الكعبة صحيحة عندنا من غير كراهة بجماعة وغيرها، كذلك من غير ساتر لكن مع الكراهة.

وما يقوله العامة من العروة الوثقى والمسمار الذي هو سُرة الدنيا، فلا أصل له، قال الفاسي: «وهذان الأمران لا آثر لهما الآن في الكعبة».

(١) الأزرقي في أخبار مكة «إسناده ضعيف» كما قال محققه ١/٥٠١.
(٢) رواه ابن الجوزي في مثير العزم الساكن ١/٢٨٧؛ والأزرقي في أخبار مكة، وقال محققه: «إسناده ضعيف» ١/٥٠١.
(٣) ابن الجوزي ١/٣٨٨، والأزرقي بإسناد ضعيف كما قال محققه ١/٥٠٢.
(٤) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة، وقال محققه: «إسناده ضعيف» ١/٥٠١.

{٨٨}

٢-[وقت الإجابة في الكعبة]

وملتزم ـ بضم الميم وفتح الزاي ـ ما بين الحجر الأسود والباب على ما عليه الجمهور[١]، وما ورد عن ابن الزبير رضي الله عنهما أنه دبر البيت، رَدَّ عليه ابن عباس: بأن ذلك ملتزم عجائز قريش ويسمى المستجار[٢].

{٨٩}[سبب التسمية]:

وسمي بذلك؛ لأن الناس يلتزمونه في حوائجهم لتقضى، ويسمى المتعوذ والحطيم[٣] عند الشافعية، أي: بعضه.

{٩٠}[أعظم أماكن الإجابة]:

والمراد أنه مما يستجاب عنده الدعاء من غير قيد بوقت على قول الحسن، وهو ألطف وأيسر، وبقَيد نصف الليل على ما قاله ابن النقاش. وفيه نوع كلفة، وفضل مولانا لا يحصىٰ، وهو من أعظم أماكن الإجابة، فقيل: [ما من أحد] دعا هناك على ظالم إلا هلك، وقيل: [ما من أحد][٤]حلف هناك كاذباً إلا عجلت عقوبته، وقال في الشفاء: قال القاضي أبو الفضل: قرأت على القاضي الحافظ الفقيه أبي علي رحمه الله تعالىٰ حدثنا أبو العباس العذري، قال: ثنا أبو أسامة محمد بن أحمد بن محمد الهروي، ثنا أبو الحسن بن رشيق، سمعت أبا الحسن بن محمد ابن الحسن بن راشد، سمعت أبا بكر

(١) وهو المشهور، ومقداره نحو مترين.
(٢) أوردها الطبراني في القرى لقاصد أم القرى ص ٣١٨.
(٣) انظر بالتفصيل: القرى ص ٣١٤.
(٤) في الأصل (من) والمثبت زيدت لدلالة السياق عليه.

محمد ابن إدريس، سمعت الحميدي قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما دعا أحد بشيء في الملتزم إلا استجيب له[١]».

{٩١}[الحديث المسلسل بالإجابة في الملتزم]:

وقال ابن عباس: وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا استجيب لي.

قال عمرو بن دينار: وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس إلا استجيب لي.

قال سفيان: وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت من عمرو إلا استجيب لي.

قال الحميدي: وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان إلا استجيب لي.

قال محمد بن إدريس: وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت من الحميدي إلا استجيب لي.

قال أبو الحسن محمد بن الحسن: وأنا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعته من محمد بن إدريس إلا استجيب لي.

قال أبو أسامة وما أذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئاً، وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من أسامة إلا استجيب لي من أمر الدنيا، وأنا أرجو أن يستجاب لي من أمر الآخرة.

(١) أخرجه الديلمي في الفردوس ٤/٩٤، والحديث أخرجه الأزرقي «عن مجاهد قال: ما بين الباب والركن يدعىٰ الملتزم، ولا يقوم عبدٌ ثَمَّ فيدعو الله عز وجل بشيء إلاّ استجاب له»، وقال محققه: «إسناده حسن» ١/٤٨٢.

قال العذري: وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا إلا استجيب لي.

قال أبو علي: وأنا قد دعوت الله بأشياء كثيرة وأرجو من سعة فضله أن يستجيب لي بقيتها[١].

وفي منسك ابن جماعة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «من التزم الكعبة ودعا استجيب له»[٢] ثم قال: «فيجوز أن يكون على عمومه، ويجوزان أن يكون محمولاً على الملتزم»[٣].

{٩٢}[المستجار]:

واعلم أن المستجار: هو ما بين الركن اليماني والباب المسدود في دبر الكعبة[٤]، يحاذي الملتزم المذكور سابقاً، ويسمى المتعوذ أيضاً، وهو من

(١) هذا الحديث هو المسلسل بإجابة الدعاء في الملتزم، أخرجه القاضي عياض في الشفاء مسلسلاً، وقال: ابن مسوي: وهذا حديث غريب حسن من حديث عمرو بن دينار اللمكي عن ابن عباس تفرد به مسلسلاً عن محمد بن إدريس المكي كاتب الحميدي عنه، وقد روي من حديث أبي الزبير المكي عن ابن عباس موقوفاً، ومثله لا يكون رأياً، ورواية ابي الزبير أخرجها سعيد بن منصور، والبيهقي في سننهما وهو شاهد قوي، أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من وجه آخر عن محمد بن الحسن بن راشد الأنصاري تلميذ محمد بن إدريس مسلسلاً.

هامش القرى لقاصد أم القرى ص ٣١٦.

(٢) رواه الأزرقي في أخبار مكة وإتمامه (فقيل له: وإن كانت استلامة واحدة، قال: وإن كانت، أوشك من برق الخُلَّب) وقال المحقق: «إسناده ضعيف» ١/٤٨٥.

(٣) هداية السالك لابن جماعة ١/٧٠.

(٤) ومساحته: أربعة أذرع، ويسمىٰ ذلك الموضع: المستجار من الذنوب، كما في شفاء الغرام ١/١٩٦.

أماكن الإجابة. ذكره في المنسك الكبير وغيره.

وعن معاوية رضي الله عنه: من دعا فيه استجيب له، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، قال المحب الطبري: ومثل هذا لا يقوله إلا عن لسان النبوة[١]، وكان بعض السلف والخلف يلتزمونه، منهم: عمر بن عبد العزيز وأيوب السختياني[٢].

تتمة: اختلف مشايخنا في إتيان الملتزم بعد الطواف، فقيل: يأتي إليه بعد الركعتين، وقيل: قبلهما، وقيل: بعد الصلاة والشرب من زمزم، وهذا في غير طواف الوداع، أما فيه فيأتي إليه بعد الشرب.

{٩٣}[صفة الالتزام]:

والالتزام مستحب عندنا، وصفته: أن يضع صدره وخده الأيمن على الجدار ويرفع يده اليمنى واليسرىٰ إلى جهة الحَجَر، أو يرفع أحدهما، أو يرفعهما مبسوطتين على رأسه على الجدار قائمتين، ويتعلق بالأستار متضرعاً خاشعاً داعياً باكياً مكبراً مهللاً، مصلياً على النبي صلى الله عليه وسلم[٣].

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنه طاف بالبيت، واستلم الحَجَر، وقام بين الركن والباب، فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه وبسطهما بسطاً، وقال: كذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله[٤].

(١) القرى لقاصد أم القرى ص ٣١٨.

(٢) انظر: القرى لقاصد أم القرى ص ٣٨٦.

(٣) انظر منسك الكرماني (المسالك في المناسك) ١/٦٢٦-٦٢٧.

(٤) أخرجه أبو داود (١٨٩٩).

{٩٤}[بعض الأدعية المأثورة]:

ومن دعائه: «يا واجد يا ماجد لا تُزِل عني نعمة أنعمت بها عليّ» ودعاء آدم عليه السلام ـ أخرج الأزرقي في تاريخه ـ أن آدم عليه السلام طاف بالبيت سبعاً حين نزل، ثم صلى تجاه الكعبة ركعتين، ثم أتى الملتزم فقال: اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي، وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي، وتعلم ما في نفسي وما عندي، فاغفر لي ذنوبي، اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي، ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي، والرضا بما قضيت علي. فأوحى الله تعالىٰ: يا آدم قد دعوتني بدعوات واستجبت لك، ولن يدعوني بها أحد من ذريتك إلا كشفت همومه وغمومه، وكففت ضيعته، ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين يديه، واتجرت له من وراء كل تاجر، وأتته الدنيا وهي راغمة وإن كان لا يريدها[١].

ومن المستحسن: إلهي وقفت ببابك، والتزمت بأعتابك، وأرجو رحمتك وأخشى عذابك، اللهم حَرِّمْ شَعْري وبشري على النار، اللهم كما منعت وجهي عن السجود لغيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك، اللهم يا رب البيت العتيق أعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا من النار، يا كريم يا غفار، يا عزيز يا جبار، ويقول: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة].

(١) أخرجه البيهقي في الدعوات الكبير ١/١٧٠؛ والرازي في علل الحديث ٢/١٨٨.

{٩٥}

٣-[موقف عرفة]

والمَوْقِفَين، أي: يستجاب الدعاء في الموقفين، وهما: موقف عرفة، وموقف مزدلفة.

أما موقف عرفة فيستجاب فيه الدعاء حال تلبسه بإحرام الحج، وبعد الزوال إلى الصبح، كذا قال المُلاّ علي في شرح الحصن الحصين، وهو مقيد، وقد ذكره كثير من علمائنا من غير تقييد، وفضل الله عظيم، وقال العصامي في نظمه: عند مغيب الشمس، قال شارحه: لعله باعتبار الأكمل، وإلا فيوم عرفة كله يستجاب الدعاء فيها كما ورد.

{٩٦}[تسمية عرفة]:

وسميت عرفات بذلك؛ لأن إبراهيم عليه السلام عرف أن الحكم من الله فيه؛ أو لأن جبريل عرّفه المناسك فيه؛ أو لأن آدم وحواء تعارفا فيه بعد الهبوط إلى الأرض.

{٩٧}[إجابة الدعاء بعرفات]:

وهو من أجل أماكن الإجابة وأعظمها[١]، وكان صلى الله عليه وسلم يجتهد في الدعاء فيه، حتى روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة فاستجاب له إلا في الدماء والمظالم، أخرجه ابن ماجه[٢] وهو ضعيف بالعباس بن مرداس، فإنه منكر الحديث ساقط الاحتجاج، كما ذكره الحفاظ، لكن له شواهد كثيرة.

(١) انظر القرى لقاصد أم القرى ص ٣٨٦.

(٢) ابن ماجه (٣٠١٣)، والبيهقي في السنن الكبرى ١١٨/٥.

{٩٨}[فضل يوم عرفة]:

فمنها: ما رواه أحمد بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما كان فلان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة، قال: فجعل الفتى يلاحظ النساء وينظر إليهن، قال: فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «إنّ هذا يوم من ملك فيه سمعه وبصره غفر له[١]».

منها ما رواه البخاري مرفوعاً: «من حج ثلاث حجج فلم يرفث ولم يفسق، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[٢]» .

ومنها ما رواه مسلم في صحيحه مرفوعاً: «إن الإسلام يهدم ما كان قبله، وإن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وإن الحج يهدم ما كان قبله[٣]».

ومنها ما رواه مالك في الموطأ مرفوعاً: «ما رُؤِيَ الشيطان يوماً هو أصغر ولا أدحر ولا أغيظ منه في هذا اليوم، وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام، إلا ما رأى يوم بدر، فإنه رأى جبريل يزع الملائكة[٤]».

{٩٩}[تكفير الذنوب]:

وهذا يقتضي تكفير الصغائر والكبائر، ولو كانت من حقوق العباد، وقد

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ٤/٢٦٠؛ والإمام أحمد في المسند ١/٣٢٩؛ وأورده الهيثمي في المجمع وقال: «رواه أحمد وأبو يعلىٰ والطبراني في الكبير .. ورجال أحمد ثقات» ٣/٢٥١.

(٢) ولفظ البخاري: (من حج هذا البيت) (لله) (١٧٢٢، ١٤٤٩) ولفظ (ثلاث حجج) رواه الدمشقي في سياق آخر ٨/٢٨٥.

(٣) أخرجه مسلم (١٢١) .

(٤) الموطأ (٩٤٤).

قال به جماعة من الشافعية كالشيخ ابن حجر العسقلاني وصنف فيه، والشهاب الرملي وولده، وقيده بأن يموت في أثناء النسك ولم يتمكن من ردّ المظالم، وذكر القاضي عياض رحمه الله تعالىٰ: أن أهل السنة أجمعوا على أن الكبائر لا يكفرها إلا التوبة، فالحاصل أن المسألة ظنية وأن الحج لا يقطع فيه بتكفير الكبائر من حقوق الله فضلاً عن حقوق العباد، وإن قلنا بالتكفير للكل، فليس معناه كما يتوهمه كثير من الناس أن الدَّين يسقط عنه، وكذا قضاء الصلوات والصيامات والزكوات؛ إذ لم يقل أحد بذلك، وإنما المراد أن إثم مَطْل الدين، وتأخره يسقط بعد الوقوف بعرفة، وإذا مطل الآن صار آثماً، وكذا إثم تأخير الصلاة عن أوقاتها يرتفع بالحج لا القضاء، ثم بعد الوقوف بعرفة يطالب بالقضاء، فإن لم يفعل كان آثما على القول بفوريته، وكذا البقية على هذا القياس، وبالجملة فلم يقل أحد بمقتضىٰ عموم الأحاديث الواردة في الحج كما لا يخفى، انتهى ملخصاً من البحر الرائق.

{١٠٠} [أحكام الوقوف بعرفة]:

تتمة : الوقوف بعرفة أعظم[١] ركني الحج عندنا.

---

(١) وعرفات تقع إلى الجنوب الشرقي من المسجد الحرام على بعد ٢٢كم، وإجمالي مساحتها ١٠,٤كم مربع . انظر : تاريخ مكة قديماً وحديثاً ص ١١٥.

حدود عرفات: الحد الشمالي: ملتقىٰ وادي (وصيق) بوادي (عرنة) الغربي: هو وادي عرنة، (وهذا الوادي فاصل بين الحرم وبين عرفات، فليس واحداً منهما).

الجنوبي : هو ما بين الجبال الجنوبية لعرفات، وبين وادي عرنة .

الشرقي : هي الجبال المقوسة على ميدان عرفات، ابتداءً من الثنية التي تنفذ إلى طريق الطائف وتستمر سلسلة تلك الجبال حتى تنتهي بجبل سعدن وتعتبر وجوه الجبال المحيطة بعرفات من عرفات .

نيل المآرب (الاختيارات الجليلة) للبسام ٢/ ٢٥٠ .

وقدره: لحظة مطلقاً في وقته، ومكانه، وبإحرامه، ولو ماراً وبأي حال كان.

ووقته: من زوال الشمس إلى طلوع فجر النحر.

ومكانه: عرفات كلها إلى عرنة، وإحرامه بنية الحج والتلبية، وما يقوم مقامها، وليس القيام من شرط الوقوف، ولا من واجباته.

وواجبه: أن لا ينفر من عرفة قبل الغروب(١).

{١٠١} [سنن الوقوف]:

ومن سننه: الاغتسال، وتعجيل الوقوف بعد الجمع بين الصلاتين بها، وأن يكون مفطراً لكونه أعون على الدعاء، وأن يكون متوضئاً، وأن يقف على راحلته، وأن يكون مستقبل القبلة وراء الإمام بالقرب منه إن كان ممن يتقرب به، وأن يكون حاضر القلب، فارغاً عن الأمور الشاغلة عن الدعاء.

{١٠٢} [موقف المصطفى بعرفات]:

وأن يقف عند الصخرات السود موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلا فبقرب منه من غير إيذاء(٢).

(١) انظر: منسك الكرماني (المسالك في المناسك)، ١/٥٠٠ وما بعدها.

(٢) وفصّل ذلك النووي رحمه الله تعالى بقوله:

«قال أصحابنا: وإن كان راكباً جعل نظر راحلته إلى الصخرات لحديث جابر..، وإن كان راجلاً وقف على الصخرات أو عندها بحسب الإمكان؛ بحيث لا يؤذي ولا يتأذى، قال أصحابنا: فإن تعذّر عليه الوصول إليه للزحمة تقرب منه بحسب الإمكان فهذا هو الصواب». المجموع ٨/١٣٤ (بتحقيق المطيعي).



جبل الرحمة

{١٠٣} [صعود جبل عرفة]:

وأما ما اشتهر عند العوام من الاعتناء بصعود جبل الرحمة الذي عليه القبة، وترجيحهم له على غيره من عرفات، فخطأ ظاهر ومخالف للسنة، ولم يذكر أحد ممن يعتد به في صعود الجبل فضيلة تختص به، بل له حكم سائر أراضي عرفات، غير موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه أفضل(١)، إلا الطبري والماوردي فإنهما قالا: بالاستحباب، قصد هذا الجبل الذي يقال له جبل الدعاء، قالا: وهو موقف الأنبياء [صلوات الله وسلامه عليهم]، وما قالاه لا أصل له، ولم يرد فيه حديث صحيح ولا ضعيف، كذا ذكر النووي في شرح المهذب(٢).

(١) انظر بالتفصيل: القرى لقاصد أم القرى ص ٣٨٤.

(٢) وقال النووي في تكملة حديثه: « ... فالصواب الاعتناء بموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو الذي خصه العلماء بالذكر وحثوا عليه وفضلوه ...». المجموع ٨/١٣٥.

{١٠٤} [ما يُسن في الموقف]:

ومن السنة: أن يكثر الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتلبية، والاستغفار، وقراءة القرآن، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وليحذر كل الحذر من التقصير في شيء من هذا، فإن هذا اليوم لا يمكن تداركه، ويكثر من التلفظ بالتوبة من جميع المخالفات مع الندم بالقلب، ويكثر البكاء مع الذكر، فهناك تسكب العبرات، وتستقال العثرات، وترتجى الطلبات، وموقف جسيم يجتمع فيه خيار عباد الله الصالحين وأوليائه المخلصين، وأعظم مجامع الدنيا.

{١٠٥} [وقفة الجمعة]:

وقد قيل: ﴿إذا وافق يومه يوم جمعة غفر لأهل كل الموقف، إنه أفضل من سبعين حجة في غير يوم جمعة﴾، كما ورد في الحديث الشريف[١].

فإن قيل: قد ورد أنه يغفر لجميع أهل الموقف مطلقاً، فما وجه تخصيص ذلك بالجمعة؟

قيل: لأنه يغفر يوم الجمعة بلا واسطة، وفي غيره يهب قوماً لقوم، وقيل: إنه يغفر في وقفة الجمعة للحاج وغيره، وفي غيرها للحاج فقط.

{١٠٦} [مغفرة يوم عرفة]:

فإن قيل: قد يكون في الموقف من لا يقبل حجه فكيف يغفر له؟ قيل:

(١) أورده ابن حجر في الفتح وقال: «هو حديث لا أعرف حاله لأنه لم يذكر صحابيه ولا من أخرجه بل أدرجه في حديث الموطأ الذي ذكره مرسلاً عن طلحة بن عبد الله بن كريز ..» ٨/٢٧١.

يحتمل أنه يغفر له ولا يثاب ثواب الحج المبرور، فالمغفرة غير مقيدة بالقبول، والذي يوجب هذا أن الأحاديث وردت بالمغفرة لجميع أهل الموقف، ولا بد من هذا القيد والله أعلم. اهـ.

{١٠٧} [ما يحذر في الوقوف]:

من المنسك الكبير: وليحذر كل الحذر من المخاصمة، والمشاتمة، والكلام القبيح أيضاً في مثل هذا اليوم.

{١٠٨} [ما يشتغل به في الموقف]:

ويتوجه إلى الله تعالىٰ بالقلب والقالب، والظاهر والباطن، ويشتغل بالأذكار والأدعية المأثورة، وهي أولى وأفضل، أو غيرها مما تيسر ولم تخالف الشرع.

{١٠٩} [أدعية مأثورة للموقف]:

وروىٰ الطبراني في الأوسط، أنه صلى الله عليه وسلم لما وقف بعرفات قال: ﴿لبيك اللهم لبيك﴾، ثم قال: ﴿إنما الخير خير الآخرة[١]﴾. وفي رواية: ﴿اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة[٢]﴾، وروى مالك وغيره: ﴿أفضل الدعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حيّ لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير[٣]﴾.

(١) أورده الهيثمي في المجمع وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن» ٣/٢٢٣.

(٢) أورده ابن حجر في التلخيص: «أنه صلى الله عليه وسلم إذا رأى شيئاً يعجبه قال: لبيك إن العيش عيش الآخرة».

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ١/٢١٤ إلى (لا شريك له)؛ وروى البيهقي وقال: «هذا مرسل وقد روى عن مالك بإسناد آخر موصولاً ووصله ضعيف» ٥/١١٧.

وأخرج ابن أبي شيبة عن علي كرم الله وجهه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿(أكثر دعائي ودعاء النبيين من قبلي بعرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، اللهم اشرح لي صدري ويَسّر لي أمري، وأعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر، وفتنة القبر، اللهم إني أعوذ بك من شر ما يلج في الليل، وشر ما يلج في النهار، وشر ما تهب به الرياح[1])﴾ .

وأخرج الترمذي، وابن خزيمة، والبيهقي عن علي رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة: ﴿(اللهم لك الحمد كالذي نقول، وخيراً مما نقول، اللهم لك صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي، وإليك مآبي ولك ربي تراثي، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر، وشتات الأمر، اللهم إني أسالك من خير ما تجيء به الرياح، وأعوذ بك من شر ما تجيء به الرياح[2])﴾.

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة ﴿(اللهم إنك ترى مكاني وتسمع كلامي، وتعلم سري وعلانيتي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير الوَجِل، المُشفق المُقِر المعترف بذنبه، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، من خضعت لك رقبته، وفاضت لك عيناه ونحل لك جسده، ورَغِمَ

(١) أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/٨٤.
(٢) أخرج الترمذي (٣٥٢٠) .

لك أنفه، اللهم لا تجعلني بدعائك شقياً، وكن بي رؤوفاً رحيماً. يا خير المسؤولين، يا خير المعطين[1])﴾.

{١١٠} [المغفرة لأهل الموقف]:

وروىٰ جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿(ما من مسلم يقف عشية عرفة بالموقف ويستقبل القبلة بوجهه ثم يقول: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحي ويميت وهو على كل شيء قدير، مائة مرة، ثم يقرأ (قل هو الله أحد) مائة مرة، ثم يقول: اللهم صلِّ على محمد وعلى آلِ محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، وعلينا معهم (مائة مرة) إلاّ قال الله تعالىٰ: يا ملائكتي، ما جزاء عبدي هذا ؟ سبّحني وهلّلني وكبّرني وعظّمني، وعرّفني وأثنى عليّ، وصلّىٰ على نبيي، اشهدوا عليّ يا ملائكتي أني قد غفرت له وشفعته في نفسه، ولو سألني عبدي هذا لشفّعته في أهل الموقف)﴾. رواه البيهقي، وقال: هذا متن غريب وليس في إسناده من ينسب إلى الوضع[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿(من قرأ قل هو الله أحد عشية عرفة ألف مرة أعطاه الله ما سأله)﴾ رواه أبو الشيخ وابن أبي الدنيا في كتاب الأضاحي، وابن أبي عاصم والطبراني معاً في الدعاء، والبيهقي في الدعوات[3].

(١) أورده الهيثمي في المجمع، وقال: «رواه الطبراني في الكبير والصغير .. وفيه يحيى بن الأبلي»، قال العقيلي:« روى عنه يحيى بن بكير مناكير، وبقية رجاله رجال الصحيح » ٣/٢٥٢.
(٢) أورده السيوطي في اللآلئ المصنوعة، وقال: وأورده الحافظ ابن حجر في أماليه وقال: «رواته كلهم موثوقون إلاّ الطلحي فإنه مجهول ... » ٢/١٠٦؛ وأورده ابن الجوزي في مثير العزم ١/٢٥٧، وفي الموضوعات ٢/٢١٢، وقال: «هذا حديث موضوع» .
(٣) قال المناوي في الفيض: « الخيارى في فوائده عن حذيفة بن اليمان» ٦/٢٠٣.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما من عبد ولا أمة دعا الله في كل ليلة عرفة بهذا الدعاء ـ وهي عشر كلمات ألف مرة ـ لم يسأل الله تعالىٰ شيئاً إلا أعطاه إياه إلا قطيعة رحم، أو إرادة مأثم: ﴿سبحان الذي في السماء عرشه، سبحان الذي في السماء سلطانه، سبحان الذي في الجنة رحمته، سبحان الذي في القبر قضاؤه، سبحان الذي في الهواء روحه، سبحان الذي رفع السماء، سبحان الذي وضع الأرض، سبحان الذي لا ملجأ ولا منجىٰ منه إلا إليه﴾ قيل له: أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم.

وروى ابن أبي شيبة موقوفاً عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه كان إذا صلى العصر ووقف بعرفة يرفع يديه يقول: الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر ولله الحمد، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، اللهم اهدني بالهُدىٰ ونقني بالتقوى، ـ وفي رواية أخرى ـ: واعصمني بالتقوى، واغفر لي في الآخرة والأولى ـ ثلاث مرات ـ اللهم اجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً، ثم يرد يديه فيسكت قدر ما يقرأ الإنسان فاتحة الكتاب، ثم يعود ويرفع يديه ويقول مثل ذلك حتى أفاض(١).

وأخرج الطبراني في الدعاء عن ابن عمر رضي الله عنهما عنه: كان يرفع صوته بالدعاء يقول: «اللهم اهدنا بالهُدىٰ وزيّنا بالتقوىٰ، واغفر لنا في الآخرة والأُولىٰ، ثم يخفض صوته يقول: اللهم إني أسالك رزقاً طيباً مباركاً، اللهم إنك أمرت بالدعاء، وقضيت على نفسك بالإجابة، وإنّك لا تخلف وعدك، ولا تنكث عهدك، اللهم ما أحببت من خير فحبّبه إلينا، وما كرهت من شيء فكرّهه إلينا وجنّبناه، ولا تنزع منا الإسلام بعد إذ هديتنا»(٢).

(١) أخرجه ابن شيبة في مصنفه ٣/٣٣٤.
(٢) ورد نحوه في قسم الحديث للشيخ محمد بن عبد الوهاب ٤/١٦٧.

{١١١} [فضل الاشتغال بالذكر]:

وأخرج البيهقي في الشُّعب عن بكير بن عتيق، قال: حججت فتوسمت رجلاً أقتدي به، فإذا سالم بن عبد الله في الموقف يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده ونحن له مسلمون، لا إله إلا الله ولو كره الكافرون، لا إله إلا الله ربنا ورب آبائنا الأولين. فلم يزل يقول حتى غربت الشمس، ثم نظر إليّ وقال: حدثني أبي عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿يقول الله تبارك وتعالىٰ: من شغله ذكري عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين(١)﴾.

قال المُلاّ علي قاري: وفيه إيماء إلى دفع إشكال مشهور، وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أكثر دعائي ودعاء الأنبياء من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. الخ﴾ مع أنه ليس فيه دعاء، وأشار إلى جوابه: بأن الله تعالىٰ يعطي على هذا الثناء أفضل مما يعطيه أهل الدعاء، وأجيب أيضاً: بأن غرض الثناء هو: التعرض للدعاء، بل هو أبلغ في مقام الاعتناء، لكن يؤدي الأول المراد به مطلق الذكر: ما أخرجه ابن أبي شيبة، عن صدقة بن يسار، قال: سألت مجاهد عن قراءة القرآن يوم عرفة أم الذكر؟ قال بل قراءة القرآن، ويؤيده ما رُوي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿[يقول الرب تبارك وتعالى] مَن شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي الذاكرين والسائلين(٢)﴾ يقول الفقير: ويمكن أن يجاب: بأن الذكر من الدعاء، بل هو أعلى مرتبة الدعاء.

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٢٦) وقال: «حديث حسن غريب».
(٢) رواه الترمذي (٢٩٢٦) وقال: حديث غريب.

{١١٢} [تعريف الدعاء]:

أما لغة: فظاهر؛ لأنه الرغبة إلى الله تعالىٰ كما في القاموس. وأما اصطلاحاً: فكذلك؛ إذ معناه:رفع الحاجات إلى رافع الدرجات، وطلب قضائها منه تعالىٰ، والذاكر قصده بذكره رفع حاجته التي هي طلب زيادة حب الله تعالىٰ وبقاء شهوده، واتصاله بقُربه، والاستئناس به، وإن ذكره لكونه أهلاً لذلك، فهو لا يخلو عن الافتقار أيضاً وهذا قصد الكُمّل ولذا قال: ﴿دعائي ودعاء الأنبياء قبلي﴾، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

{١١٣} [العتق يوم عرفة]:

وأخرج ابن أَبي الدُّنيا في كتاب الأضاحي عن علي رضي الله عنه أنّه قال وهو بعرفات: لا أدع هذا الموقف ما وجدت إليه سبيلاً؛ لأنه ليس في الأرض يوم أكثر عتقاً للرقاب فيه من يوم عرفة، فأكثروا فيه من قول: اللهم اعتقني من النار، وأوسع لي في الرزق الحلال، واصرف عني فَسَقَةَ الجن والإنس، فإنه عامة ما أدعوك به[١].

وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو: «يا من لا يَشغله شأنٌ عن شأن، ولا سمعٌ عن سمع، ولا تشتبه عليه الأصوات، يا من لا تغلطه كثرةُ المسائل، يا من لا يبرمه إلحاحُ المُلِحِيّن ولا تضجره كثرة السائلين، أذقنا برد عفوك، وحلاوة مغفرتك يا أرحم الراحمين». والدعاء في هذا الباب كثير لكن ما تقدم الشهير.

---

(١) رواها ابن الجوزي بسنده في (مثير العزم) ١/٢٥٥.

◆ تذييل جليل فيه شفاء للقلب العليل :

{١١٤} [أحوال بعض الواقفين]:

يُروى أن الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالىٰ وقف في بعض حِجّاته ولم ينطق بشيء، فلما غربت الشمس قال: واسوأتاه وإن غفرت لي.

وعن بِشْر الحافي رحمه الله تعالىٰ قال: رأيت رجلاً عشية عرفة غلبه الوَلَهُ وهو يبكي وينتحب انتحاباً شديداً وهو يقول:

سبحان من لو سجدنا بالعيون لـه ... على شبا الشوك والمحمى من الإبر
لم نبلغ العُشر من مِعشار نعمتـه ... ولا العشير ولا عشراً من العشر[١]

وأنشد أيضا:

كم قد زللت ولم أذكرك في زللي ... وأنت يا مالكـي بالغيب تذكرنـي
كم أكشف الستر جهلا عند معصيتي ... وأنـت تلطف بي حلماً وتسـترني

قال: ثم غاب عني وحجب فلم أره، فسألت عنه فقيل لي: هو أبو عبيدة الخواص له سبعون سنة ما رفع وجهه إلى السماء، فقيل له في ذلك، فقال: إني لأستحي أن أرفع إلى الحسن وجهاً مسيئاً[٢].

فواعجباه من مطيع يتذلل ويستحي مع إحسانه! ومن عاصٍ لا يتذلل ولا يستحي مع عصيانه.

---

(١) رواها ابن الجوزي في مثير العزم بقوله: «رأيت على جبال عرفة رجل قد ولع الوله ..» وفي البيت الأول (على شبا الشوك)، وفي البيت الثالث بلفظ (وأنت يا سيدي) ٢/٢٥٩.

(٢) في مثير العزم «.. منذ سبعين سنة لم يرفع رأسه إلى السماء حياءً من الله عز وجل» المصدر السابق.

وقيل: لما وقف الشبلي بعرفات لم ينطق بشيء حتى غربت الشمس، فلما جاوز العلمين هملت عينه بالدموع، وأنشأ يقول:

أروح وقد ختمت على فؤادي   بحبك أن يحل به سواكا
وفي الأحباب مختص بوجد   وآخر يدّعي معه اشتراكا
إذا سُكبت دموع في خدود   تبين من بكى ممن تباكا

ووقف بعض الصوفية بعرفات ورأى تلهفهم وبكاءهم، فرفع كفيه وطرفه إلى السماء وقال:

يا ذا المكارم والعُلا   يا ذا الجلال الأوحد
إن العُصاة تجمعوا   ترجو نوالك سيدي
قصدتك كل قبيلة   ممن يروح ويغتدي
حطوا إليك رحالهم   وتشفعوا بمحمد
صلى عليه الله مع   أزكى سلامٍ سرمدِ
والآل والأصحاب ما   أعطيت عبداً قد هدي

فهتف به هاتف: يا شيخ قد قبل الله ذو العرش على من رأيتهم من أهل الإسلام والتوحيد، وشفع فيهم خير الخلق، وأجاب السؤال، وعمّ الجميع بالفضل والنوال.

{١١٥} [واسع فضل الله تعالىٰ]:

وعن أبي عبد الله الجوهري رحمه الله تعالىٰ قال: كنت سنةً في عرفات، فلما كان آخر الليل نمت، فرأيت مَلَكين نزلا من السماء، فقال أحدهما

لصاحبه: كم وقف هذه السنة؟ قال له صاحبه: ستمائة ألف، فلم يقبل منهم إلا ستة أنفس، قال: فهممت أن ألطم وجهي وأنوح على نفسي، فقال له: ما فعل الله في الجميع؟ قال: نظر الكريم إليهم بعين الكرم فوهب لكل واحد منهم مائة ألف، وغفر لستمائة ألف بستة أنفس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وعن علي بن الموفق رضي الله عنه قال: حججت نيفاً وخمسين حجة وجعلت ثوابها للنبي صلى الله عليه وسلم، ولأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم، ولأبويّ، وبقيت حجة فنظرت إلى أهل الموقف بعرفات وضجيج أصواتهم فقلت: اللهم إن كان في هؤلاء من لا تقبل حجته فقد وهبت له هذه الحجة؛ ليكون ثوابها له، فبِتُّ تلك الليلة بالمزدلفة فرأيت ربي عز وجل، فقال لي: يا علي بن الموفق عليّ تتسخى، قد غفرت لأهل الموقف ومثلهم وأضعاف ذلك، وشفّعت كل رجل منهم في أهل بيته وخاصته وجيرانه، وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة.

وقال الفضيل مرة ـ والناس وقوف بعرفة ـ: ما تقولون لو قصد هؤلاء الوفد بعض الكرماء، يطلبون منه دانقاً كان يردهم؟! قالوا: لا، فقال: والله لا المغفرة في جنب كرم الله أهون على الله من الدانق في كرم ذلك الرجل(١).

وسئل سفيان الثوري ـ حين دفع الناس من عرفة ـ عن أخسر الناس صفقة؟ فقال: أخسر الناس صفقة من ظن أن الله تبارك وتعالىٰ لا يغفر لهؤلاء، انتهى.

(١) رواها ابن الجوزي في مثير العزم ١/٢٥، والدانق: سدس الدرهم كما في الصحاح.

{١١٦}

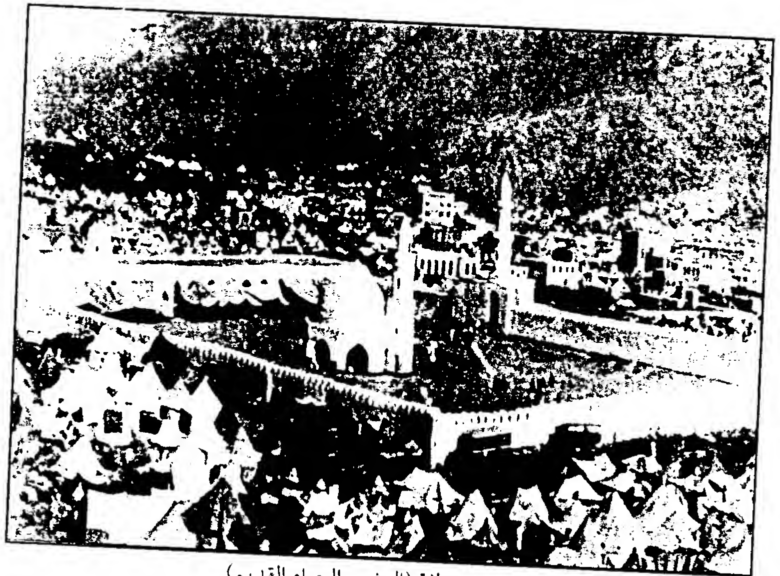
٤-[إجابة الدعاء في موقف مزدلفة]

وأما موقف مزدلفة فيستجاب فيه الدعاء في ليلة العيد إلى قبيل طلوع الشمس ـ كما قال المُلاّ علي في شرح الحصن الحصين ـ لا سيما في المشعر الحرام، ويحتمل الإطلاق. وفضل الله واسع .

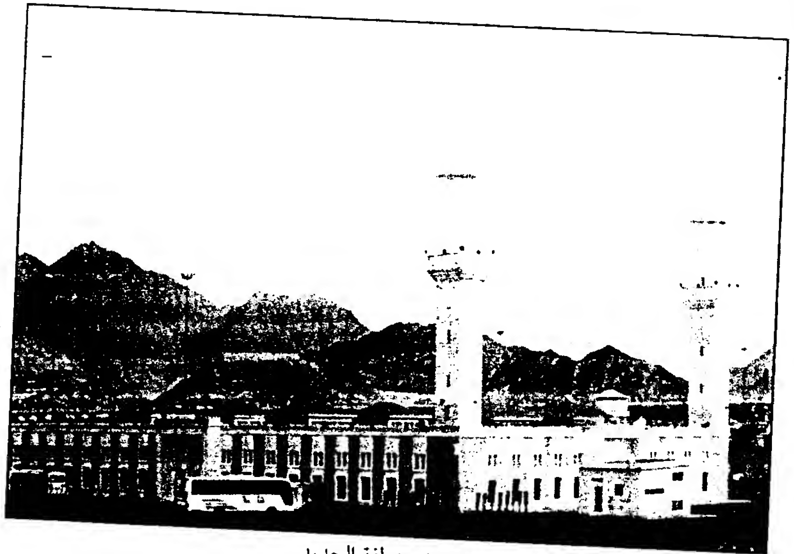
في نظم العصامي: عند طلوع الشمس، قال شارحه: أي يستجاب الدعاء فيها من غروب الشمس يوم عرفة إلى طلوع شمس يوم النحر، ثم قال: ينبغي أن لا يتقيد الدعاء بطلوع الشمس؛ لأن المراد الأمكنة، وهذا التقييد خلاف المقصود، خصوصاً والمزدلفة من الحرم، وهو يستجاب فيه الدعاء، وهي أماكن الإجابة المشرفة، وقد ورد في فضلها النص الشريف قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾[البقرة:١٩٨]، وقيل: المشعر: جميع المزدلفة، وهو قُزَح: وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام وعليه المقيدة، والمشعر: العلم لعباده، ووصف بالحرام لحرمته. كذا في المدارك، وفي البحر[١].

(١) مزدلفة: تقع بين منى وعرفة، وتسمى جَمعاً، وحدّها مما يلي منى: ضفة وادي محسر الشرقية، ومما يلي عرفات هو: مغيض المأزمين (الجبلان الواقعان فيما بين عرفة ومزدلفة) وحدها العرضي هو: ما بين الجبلين الكبيرين (ثبير ـ المريخات) ومساحتها نحو١٢,٢٥ كم٢، والمشعر الحرام هو: قُزح، والمشعر الحرام يعرف الآن بمسجد مزدلفة، وكان النبي ﷺ ينزل عند قبلته.

انظر: الوقوف بمزدلفة ـ مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، عدد ٢٩.



مسجد مزدلفة (المشعر الحرام القديم)



مسجد مزدلفة الجديد

{١١٧} [الاختلاف في قُزَح]:

واختلف في جبل قُزَح، قيل: هو المشعر الحرام، وقيل: المشعر: جميع المزدلفة، وقُزَح ـ غير منصرف للعدل والعلمية كعُمَر، من قُزح الشيء ـ: ارتفع، وقيل: إنه كانون آدم عليه السلام، وقد روي أنه عليه السلام اجتهد في الدعاء لأمته فاستجيب له ما بقى مما لم يستجب له في عرفة من الدماء والمظالم(١).

{١١٨} [تسمية مزدلفة]:

وسميت مزدلفة: من التزلف والازدلاف: وهو التقرب؛ لأن الحُجاج يتقربون منها إلى منى، وقيل: لأن الناس يأتونها زلفاً من الليل، أي: ساعة منه، وتسمى جَمعاً؛ لأن آدم عليه السلام اجتمع فيها مع حواء وأزلف إليها، أي: دنا منها، أو لأنه جمع فيها بين الصلاتين، أو لأن الناس يجتمعون فيها ويقرب بعضهم من بعض.

{١١٩} [حَدُّ مزدلفة]:

وحدّها: ما بين مأزمي عرفة ووادي محسِّر يميناً وشمالاً من تلك الشعاب والجبال: وليس المأزمان ولا وادي محسّر منها، وطولها: قيل: ميل، وقيل ميلان.

{١٢٠} [ما يستحب لها من الأعمال]:

تتمة: يستحب الاغتسال لدخول مزدلفة، والمشي إن تيسر، والنزول بقرب جبل قزح وهو المشعر الحرام، وإذا أتاها قال: اللهم إن هذه مزدلفة،

(١) أخرجه ابن الجوزي في مثير العزم ١/٢٧٧.

وجَمْع جمعت قلوباً مؤتلفة، فألف بيني وبين جميع المؤمنين والمؤمنات، واجعلني ممن دعاك فأجبته، وتوكل عليك فكفيته، وآمن بك فهديته.

ولا ينبغي النزول على الطريق، ولا الانفراد عن الناس، فينزل عن يمينه أو يساره.

{١٢١} [صفة الجمع بمزدلفة]:

ويفترض الجمع بها بين المغرب والعشاء بشروطه، بأذان وإقامة، إن لم يفعل، وإلا ليعد الإقامة للعِشاء، ولم يجز المغرب للعشاء في غيرها، إلاّ إذا طلع الفجر ولم يُعد، فإنه ينقلب جائزاً، ويستحب الجمع قبل حط رحاله بعد إناخة جِماله وعقلها، وإذا فرغ يُسَن أن يبات بها. فإن بات بغيرها يأثم ولا شيء عليه(١).

{١٢٢} [ما ينبغي من العمل في هذه الليلة]

وينبغي إحياء هذه الليلة بالصلاة والتلاوة والذكر والتضرع والدعاء؛ لأنها جمعت شرف الزمان والمكان، ويسأل الله تعالىٰ إرضاء الخصوم، ولا يتهاون في ذلك، فإن الإجابة موعودة، ويدعو في ليلته بمثل ما دعا بعرفة.

{١٢٣} [صلاة الفجر بمزدلفة]:

فإذا طلع الفجر يستحب أن يصليه بغَلَس مع الإمام، أو حيث تيسَّر، ولا يستحب التغليس بالفجر عندنا إلاّ في هذا اليوم فقط.

وإذا فرغ يستحب أن يأتي الإمامُ والناس إلى المشعر: وهو الذي عليه بناء

(١) انظر: منسك الكرماني ١/٥٣٢ ـ ٥٣٣.

اليوم، ويقف مستقبلَ القبلة به أو يقرب منه إن تَيسَّر، وهذا الوقوف واجب ليس بركن، وأدناه ساعة لطيفة مطلقاً في وقته، من بعد طلوع الفجر إلى قبيل الشمس، ولو ماراً بأي حال كان وأي مكان من المزدلفة، فلو تركه بلا عذر، فعليه دم، وإن كان بعذر: بأن كانت امرأته تخاف الزحام فلا شيء عليه، كما في ترك غيره من الواجبات.

ويستحب أن يدعوَ ويهلل ويُكبِّر، ويحمد الله ويثني عليه، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ويكثر التلبية، ويرفع يديه للدعاء بسطاً يستقبل بها وجهه، ويذكر الله كثيراً، ويسأل الله حوائجه الدينية والدنيوية، ويدعو بالأدعية المأثورة وغيرها مما تيسر[1].

{١٢٤} [من الأدعية المأثورة في موقف مزدلفة]:

وعن أبي يوسف، أنه كان يقول في حالة الوقوف بها: اللهم إن هذا جمع أسألك أن ترزقني جوامع الخير كله، فإنه لا يعطي ذلك غيرك، اللهم ربَّ المشعر الحرام، ورب الشهر الحرام، ورب الحلال والحرام، ورب الخيرات العظام، أسألك أن تبلغ روح محمد منا أفضل الصلاة والسلام، وأسألك أن تصلح لي في ذريتي، وتشرح صدري، وتطهر قلبي، وأن تقيني جوامع الشرك، فإنك ولي ذلك والقادر عليه، اللهم أنت خير مطلوب وخير مرغوب، ولك في كل وفد جائزة، أسألك أن تجعل جائزتي في هذا اليوم أن تقبل توبتي، وتجاوز خطيئتي، وتجمع على الهدى أمري، واجعل التقوى همي، انتهى.

---

(١) انظر مناسك الكرماني ١/٥٤١.

ويقول: اللهم ارحمني وأجرني من النار، ووسع علي الرزق الحلال، اللهم لا تجعله آخر العهد بهذا الموقف، وارزقنيه أبداً ما أحييتني برحمتك يا أرحم الراحمين[1].

وجامع الأدعية المروية قوله صلى الله عليه وسلم: «اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، ونعوذ بك من شرّ ما استعاذك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، وأنت المستعان وعليك البلاغ، ولا حول ولا قوة إلا بالله». وهو غير مخصوص فينبغي الدعاء به في كل موطن؛ ليكون داعياً بالمروي، وقد أمر الله سبحانه بالذكر في هذا المشعر، وقد ورد «لا اله إلا الله هي أفضل الذكر» رواه الترمذي[2]، وفي رواية أحمد «وهي أفضل الحسنات[3]» فينبغي الإكثار منها.

---

(١) انظر المصدر السابق نفسه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣) وقال: «حديث غريب».

(٣) قال الهيثمي: «رواه أحمد ورجاله ثقات» ١٠/٣٥٤.

{١٢٥}

٥-[الدعاء عند الحجر الأسود]

[الحَجر(١)] ـ بفتح المهملة ـ وهو الحجر الأسود، أي: كالأماكن المذكورة في حكم الإجابة، والحَجَر، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿ما من أحد يدعو الله عند الركن الأسود إلا استجاب الله له(٢)﴾ أخرجه القاضي، وقيده ابن علان تبعاً للنقاش بنصف اليوم، يعني: مع الزوال وقريباً منه، والله أعلم بغيبه.



الحجر الأسود

(١) الحجر الأسود: حجر من أحجار الجنة، كان مودعاً بجبل أبي قبيس، ووضع في مكانه بالركن الجنوبي الشرقي من الكعبة المشرفة بأمر الله عز وجل لخليله إبراهيم عليه السلام في نهاية بنائه الكعبة، ليكون للناس علماً.

انظر: فضل الحجر الأسود للدكتور سائد بكداش ص ٣١.

(٢) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة ١/٣٢٤.

فينبغي للإنسان أن يكثر الدعاء هناك رجاء القبول؛ فإنه أشرف أماكن الإجابة وأعظمها.

{١٢٦} [ما ورد من فضل الحجر الأسود وتقبيله]:

وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: استقبل النبي صلى الله عليه وسلم الحَجَر، ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلاً، ثم التفت فإذا بعمر بن الخطاب يبكي، فقال: ﴿يا عمر ها هنا تسكب العبرات(١)﴾.

وعن ابن عمر أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مَسْحُ الحجر الأسود والركن اليماني يحط الخطايا حطاً(٢).

وعنه أيضاً: على الركن اليماني ملكان يؤمّنان على دعاء من مرّ بهما، وإن على الحجر الأسود ما لا يُحصى(٣).

وعنه صلى الله عليه وسلم: ﴿الحجر الأسود يمين الله في أرضه﴾، فمن لم يدرك بيعة النبي، فمَسَحَ الحجَرَ فقد بايع الله ورسوله(٤).

وعن جابر موقوفاً: الحجر يمين الله في أرضه يصافح بها عباده(٥).

وعن عكرمة: الحجر يمين الله في أرضه، فمن مسحه فقد بايع الله.

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ٤/٢١٢؛ ابن ماجه (٢٩٤٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/٨٩؛ وابن حبان في موارد الظمآن ص ٢٤٧، والترمذي وحسنه (٩٥٩).

(٣) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة ١/٣٤١.

(٤) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة ١/٣٢٢.

(٥) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة ١/٣٢٤.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «(من فاوض الحجر الأسود فإنما يفاوض يد الرحمن[١])» .

ومعنى فاوض: لابس، ومعنى كونه يمين الله في أرضه: أن من صافحه كان له ذلك عند الله عهداً، وقد جرت العادة بأن العهد الذي [يقدمه] الملك لمن يريد موالاته والاختصاص به، إنما هو المصافحة، فخاطبهم بما يعهدونه. قاله الخطابي.

ونقل عن المحب الطبري: أن كل ملك إذا قَدِم عليه الوافد قبل يمينه، فنزَّلَ الحجر منزلة يمين الملك[٢].

{١٢٧} [حفظ جناب التوحيد]:

وروى الشيخان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه قبّل الحجر الأسود ثم قال: والله لقد علمت أنك لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك، وقرأ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

{١٢٨} [شهادة الحجر لمن قبله واستلمه]:

ورُوي أنه لما قال ذلك، قال له أبي بن كعب: إنه يضر وينفع، إنه يأتي يوم القيامة وله لسان زلق يشهد لمن قبّله واستلمه[٣].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٩٥٧) .

هذه الروايات وإن كانت موقوفة، إلاّ أنها تأخذ حكم الرفع؛ لأنه لا يمكنهم قوله إلاّ بسماع؛ إذ لا مجال فيها للاجتهاد.

(٢) القرى لقاصد أم القرى ص ٢٨٠.

(٣) أخرجه البخاري (١٥٣٣)، ومسلم (١٢٧٠).

وفي رواية أيضاً: أن علياً كرم الله وجهه قال لعمر: بلى يا أمير المؤمنين إنه يضر وينفع، وإن الله لمّا أخذ المواثيق على ولد آدم كتب ذلك في رَقٍّ، وألقمه الحجر، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «(يأتي الحجر الأسود وله لسان يشهد لمن قبّله بالتوحيد[١])». فقال عمر رضي الله عنه: لا خير في عيش قوم لست فيهم يا أبا الحسن، لا أحياني الله لمعضلة لا يكون فيها ابن أبي طالب حياً. وفي أخرىٰ: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لستَ فيهم يا أبا الحسن.

{١٢٩} [سبب قول عمر رضي الله عنه: «إنك لا تضر»]:

قيل: إنما قال عمر رضي الله عنه؛ لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام؛ فخشي أن يظن الجهّال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعله في الجاهلية، فأراد عمر رضي الله عنه أن يُعرِّف الناسَ أن استلامه من باب اتباعِ فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا أن الحجر يضر وينفع بذاته كما اعتقدته الجاهلية في الأوثان. كذا نقل عن المحب الطبري .

{١٣٠} [الحجر من الجنة]:

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو مُسند ظهره إلى الكعبة: «(الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة، ولولا أن الله طمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب[٢])».

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/٦٢٨، وأوردها ابن حجر في الفتح وقال: «وفي إسناده أبو هارون العبدي وهو ضعيف جداً» ٣/٤٦٢.

(٢) أخرجه الترمذي وحسنه (٨٨٧).

{١٣١} [تغير لون الحجر إلى السواد]:

وقد فضّل الله بعض الأحجار على بعض، كما فضّل بعض البِقاع والأيام والبلدان على بعض.

وفي رواية: ولولا ما مَسَّهما من خطايا بني آدم لأضاءا ما بين المشرق والمغرب. وفي رواية: ما بين السماء والأرض، وما مَسَّهما من ذي عاهة ولا سقم إلا شفي.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم: «من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم[1]». حديث صحيح.

وفي رواية: خطايا أهل الشرك، وفي أخرى: من الثلج.

ورُوي: كأنه لؤلؤة بيضاء. ورواية: كأنه ياقوتة بيضاء. وأخرى: لأشد بياضاً من فضة.

قال العز بن جماعة: وقد رأيته أول حجاتي سنة ثمان وسبعمائة، وبه نقطة بيضاء ظاهرة لكل أحد، ثم رأيت البياض من بعد ذلك نقص نقصاً بيّناً[2].

قال ابن خليل في منسكه الكبير: ولقد أدركت في الحجر ثلاثة مواضع: بيض نقية في الناحية التي إلى باب الكعبة المعظمة، إحداها وهي أكبرهن قدر الذرة الكبيرة، والأخرىٰ إلى جانبها وهي أصغر منها، والثالثة إلى جنب الثانية وهي أصغر من الثانية تأتي قدر حَبّة، ثم إني أتلمح تلك النقط فإذا هي كل وقت في نقص. ا.هـ.

---

(١) أخرجه الترمذي وحسنه (٨٨٧).

(٢) هداية السالك ١/٥٩.

{١٣٢} [حكمة تسويد الحجر]:

تعليقة: أكثر ما ذكره في حِكْمة تسويده بالخطايا أنه للاعتبار؛ وليعلم أن الخطايا إذا أثرت في الحجر فتأثيرها في القلوب أعظم وأوقع، فوجب لذلك أن تجتنب.

ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما: إنما غير بالسواد؛ لئلا ينظر أهل الدنيا إلى زينة الجنة.

قال المحب الطبري: إن صحّ هذا فهو الجواب[1]، قال ابن حجر: أخرجه الجندي في فضائل مكة بإسناد ضعيف.

ثانية: قال السهيلي: الحِكمة في كون خطايا بني آدم سودته دون غيره من حجارة الكعبة: أن العهد الذي هو الفطرة التي فطر الناس عليها من توحيد الله، فكل مولود يولد على الفطرة، فلولا أن أبويه يُهَوِّدانه ويُنَصِّرانه ويُمجِّسانه حتى يسود قلبه بالشرك، لما حال العبد من العهد، فقد صار ابن آدم محلا لذلك العهد والميثاق، وصار الحجر لما كتب فيه من ذلك العهد والميثاق، فتنافسا، فاسودّ من الخطايا قلب ابن آدم بعد ما كان أبيض لِما ولد عليه من ذلك العهد، واسود الحجر بعد بياضه، وكانت الخطايا سبباً في ذلك حِكمة من الله.

ثالثة: اعترض بعض الملحدين على الحديث المتقدم فقال: إذا سوّدته الخطايا ينبغي أن تبيضه الطاعات.

وأجاب ابن قتيبة عن ذلك: بأنه لو شاء الله لكان، ثم قال: أما علمت أيها المعترض أن السواد يصبغ به ولا ينصبغ، والبياض ينصبغ ولا يصبغ به. اهـ.

---

(١) انظر القرى لقاصد أم القرى ص ٢٩٥.

وقيل: إن شدة سواده أن الحريق أصابه مرتين في الجاهلية والإسلام.

وهل كان يسمى بالأسود قبل الاسوداد أم تجدد ذلك له؟ قال العلامة الفخر بن ظهيرة: لم أر في ذلك نقلاً، ويحتمل أنه كان يسمى بذلك لما فيه من السؤدد، فيكون المراد بقولهم أسود أي ذو سؤدد، ويحتمل أنه لم يسم بذلك إلا بعد اسوداده، والله أعلم.

{١٣٣} [شهادة الحجر على العباد]:

وعن مجاهد: يأتي الحجر والمقام يوم القيامة مثل أبي قبيس كل واحد منهما له عينان وشفتان يناديان بأعلى صوتهما يشهدان لمن وافاهما بالموافاة[١].

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إن الله تعالىٰ يعيد الحجر إلى ما خلقه أول مرة﴾، وقال الفشني في شرحه على الأربعين النووية: الحجر الأسود أصله مَلَكٌ وكّله الله تعالىٰ بأن يعين آدم بأن لا يأكل من الشجرة فنسي آدم، وأغفل الله تعالىٰ المَلَك، فصيره الله تعالىٰ الحجر الأسود[٢].

(١) أخرجه الأزرقي ١/٣٢٣.

(٢) **خواص الحجر الأسود:**

غاب ذلك المَلَك عن آدم عليه السلام في بعض جهات الجنة ليأتيه ببعض مستطرفات ثمار الجنة ويلهيه بها عن الأكل من الشجرة، فصادف دخول إبليس ـ لعنه الله ـ الجنة لإغواء آدم وحواء غيبة الملك عن آدم، فتمكن منه إلى أن أكل منها وحصل منه ما حصل، فلما رأىٰ الملك انزعاج أهل الجنة وخوفهم رجع مسرعاً إلى آدم، فرآه بتلك الحالة واستفسر منه عن الأكل من الشجرة فذكر له، ثم نظر الله إلى ذلك المَلَك بنظر هيبة فصيره ياقوتة بيضاء، نورها يملأ الخافقين، وذلك بعد سؤاله عن غيبته عن آدم وجوابه وتوبيخه، من شرح ملتقى المعارج. انتهى. كما ورد بهامش المخطوطة.

ولا يقال ذلك أنه مسخ بل مكرمة، ألا ترى أنه جعل له عينين يبصر بهما يوم القيامة يشهد فيه لمن استلمه بحق، وجعل فيه مخزون العهد الذي أخذه في عالم الذر حيث قال: ألست بربكم؟ فافهم، فإنه بديع. اهـ .

وعنه عليه الصلاة والسلام: ﴿إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسِلّم علي قبل أن أُبعث وإِني لأعرفه الآن[١]﴾ .

وقال ابن سيد الناس: المشهور أنه الحجر الأسود.

وقال ابن حجر في شرح المشكاة: قيل هو الحجر البارز الآن بزقاق المرفق المقابل باب الجنائز.

{١٣٤} [خواص الحجر الأسود]:

ومن خواص الحجر: أنه لا يغرق بل يطفو، وإذا دخل النار لا يحمى، وأنه قد أزيل من مكانه غير مرة ثم أعاده الله إليه، ووقع ذلك من جرهم، وآباد، والعمالقة، وخزاعة، والقرامطة، وآخِر من أزاله منهم أبو طاهر سليمان بن الحسن القرمطي في موسم سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وحصل منه يوم التروية أذىً عامٌ من نهب الحجاج، وسفك الدماء حتى سال بها الوادي، ورمى بعض القتلىٰ في بئر زمزم حتى امتلأت، وأصعد رجلاً على أعلى البيت ليقلع الميزاب، فتردىٰ على أعلى رأسه ومات، وأخذ الحجر وانصرف به، فعلقه في الأسطوانة السابقة في جامع الكوفة؛ لظنّه الفاسد بأن الحج ينتقل إليها، واستمر عنده إلى أن اشتراه منه المطيع لله أبو الفضل بن المقتدر، ثم أعيد إلى مكانه سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، ولما ذهب به هلك تحته أربعون جملاً وقيل ثلاثمائة، ولما أعيد إلى مكة حمله على قعود

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٧).

أعجف فسمن تحته، قال الجلال السيوطي: ويقال: أنه لما اشتراه منه جاءه عبد الله بن حكيم المحدث، وقال: إن لنا في حجرنا آيتين، إنه يطفو على الماء، ولا يحمىٰ على النار، فأتىٰ بحجر مضمخ بالطيب مغشىً بالديباج ليوهموا بذلك، فوضع في الماء فغرق، ثم جعلوه في النّار فكاد أن ينشق، ثم أتى بحجر آخر ففعل به ما فعل بما قبله فوقع له ما وقع، ثم أتىٰ بالحجر الأسود فوضعوه في الماء فطفا، ووضع في النار فلم يحم، فقال عبد الله: هذا حجرنا، فعند ذلك عجب أبو طاهر القرمطي وقال: من أين لكم هذا؟ فقال عبد الله: ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: «يمين الله في أرضه، يأتي يوم القيامة وله لسان زلق يشهد لمن قبّله بحق أو باطل، لا يغرق في الماء، ولا يحمىٰ بالنار». فقال أبو طاهر: هذا دِيْن مضبوط بالنقل . ا.هـ.

فإن قيل: ما ذكر عن القرمطي والحجاج والحصين بن نمير ينافي قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ [العنكبوت: ٦٧] .

أجيب عنه: بما قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري: بأن ذلك الأمن المذكور إنما وقع بأيدي المسلمين.

وقال الزركشي في الجواب: إنه لا يلزمه من قوله: ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾ وجود ذلك في كل الأوقات .اهـ.

{١٣٥} [الحكم تقبيل الحجر]:

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «يرفع الحجر يوم الاثنين».

تتمة: استلام الحجر الأسود عندنا في أول كل شوط، وهو الصحيح. وقيل: في أول شوط من الطواف وآخره، وفيما بين ذلك مستحب.

وصفة الاستلام: أن يستقبل الحجر ويرفع يديه حذاء أذنيه ومنكبيه كما قيل، موجهاً باطنها نحو الحجر، ويقول: بسم الله والله أكبر، ويهلل ويحمد الله تعالىٰ، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ويضع يديه على الحجر ويفرّج بينهما، ويضع فمه بينهما بلا تصويت ولا لحس باللسان، وهذا تقبيله، وهو سنة[1] وتكراره ثلاثاً مستحب.

واختلف في السجود عليه ولا بأس به.

وإن لم يقدر على الاستلام يقوم بحذائه، ويرفع يديه حذو منكبيه مستقبلاً بباطنهما إياه مشيراً إليه كأنّه واضع يديه عليه، ويكبر كما مرّ، ويقبل يديه ولا يشير بالفم ولا بالرأس إلى القبلة.

وينبغي أن يستاك ويغسل فمه إن كان به رائحة كريهة، ولا يحل تقبيله للمُحْرِم إن كان به طيب.

{١٣٦} [الحكم في حالة إزالة الحجر]:

ولو أزيل الحجر ـ والعياذ بالله تعالىٰ ـ عن موضعه استلم موضعه وقَبّله وسجد عليه، قاله الدارمي من أصحاب الشافعي، وارتضاه صاحب البحر العميق من أصحابنا، كذا ذكره القاضي زاد في شرحه على المنسك الصغير وقال العلامة ابن ظهيرة: واستشكله بعض علمائهم، يعني: علماء الشافعية، ثم قال رحمه الله: [ووجّهه الجَدُّ]، وقال: إن الخصوصية التي ثبتت للحجر من كونه يمين الله في الأرض، ويشهد لمن استلمه بحق[2]، وتقبيله عليه

(١) انظر: منسك الكرماني ١/٤٠٣-٤٠٤.
(٢) وفي حاشية الملتقى على شرح الملتقى: وهل يسجد عليه؟ لأن سيدنا العباس كان يسجد عليه ويقول: كان عمر يفعله ويقول: كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله. من جامع الشروح، ويكرر السجود والتقبيل ثلاثاً إن استطاع انتهى. كما ورد بهامش المخطوطة.

الصلاة والسلام غير موجود في الركن الذي هو فيه، انتهى. ثم قال: لم أقف على نقل لأصحابنا في ذلك، وما ذكره الجد من التوجيه في غاية القبول وبما يوافق أصولنا؛ لأنه حيث هذا الحكم للحجر اقتصر عليه واختص به دون الركن، فلا ينتقل الحكم إلى الركن ولا يقوم بدلاً عن الحجر؛ لأن من أصلنا أن نصب البدل بالرأي لا يجوز[1].

أما من أراد الطواف ووقف مستقبل الركن ورفع يديه لأجل النية فينبغي الجواز؛ لأنه محل البدأة فتأمل. انتهى.

والظاهر ـ والله أعلم ـ: أن قول ابن ظهيرة هو الصواب.

{١٣٧} [ما ورد من الأدعية المأثورة في تقبيل الحجر]:

ومن الأدعية المأثورة: اللهم إيماناً بك، وتصديقاً بكتابك، ووفاء بعهدك، واتباعاً لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، لا إله إلا الله والله أكبر.

وزاد بعضهم: اللهم إليك بسطت يدي، وفيما لديك عظمت رغبتي، فقبل دعوتي، وأقل عثرتي، وارحم تضرعي، وآمن خوفي، وجُد لي بمغفرتك، وأعذني من مضلات الفتن.

---

(١) انظر: الجامع اللطيف في فضل مكة ص ٤٣..

{١٣٨}

١-[من أماكن الإجابة المطاف]

طواف، أي: مكانه، وكان الأولى أن يقول: مطاف؛ لأن نفس الطواف ومباشرته من جملة أحوال الإجابة، لا من أماكنها، والظاهر لأن المراد به المحل المعهود في زمنه صلى الله عليه وسلم كله يجوز فيه الطواف، فكذا في شرح الحصن الحصين. قال الشيخ إدريس: وهو ما دار عليه القناديل من حديد، وهو الصف الأول إذا وقف الإمام خلف مقام إبراهيم. انتهى.

{١٣٩} [إجابة الدعاء مطلقاً]:

والمراد: أنه يستجاب الدعاء مطلقاً من غير قيد بزمن مخصوص، أو مكان معين منه، ثم قال المُلاَّ: ثم الظاهر أن الدعاء يستجاب فيه حال مباشرة الطواف ودعواته المأثورة المشهورة، ولا يبعد أن يكون مطلقاً انتهى.

أقول: والإطلاق أنسب بفضل الخلاف، وهو من أعظم أماكن الإجابة وأجلِّها، وله فضل عظيم، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿لا تشد الرِّحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى[1]﴾ وإن كان يعم المسجد كله فهو دليل من حيث الإشارة إذ ذاك.

وقال عليه الصلاة والسلام: ﴿ما بين الركن اليماني والحجر الأسود روضة من رياض الجنة[2]﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (١١٨٩)؛ ومسلم في الحج (١٣٣٨).

(٢) رسالة الحسن البصري، ص ٢٠.

{١٤٠} [من فضل المطاف]:

ومن فضله: ما حواه من دفن كثير من الأنبياء فيه، وروى الحسن في رسالته عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ما بين الركن اليماني إلى الركن الأسود سبعون نبياً[(١)]».

وفي منسك ابن جماعة: «ما بين الركن والمقام وزمزم قبور نحو من ألف نبي[(٢)]».

قال في مثير شوق الأنام: فإن قلت: ينبغي أن تكون الصلاة مكروهة ثَمَّ لأنها مقبرة؟ فالجواب: أن محل الكراهة في غير قبور الأنبياء كما قاله البهاء السبكي وعرضه على والده فصوّبه.

فإن قلت: الكراهة بل الحرمة من جهة أخرىٰ وهو أن المصلى ثَمّ يستقبل قبر نبي، وقد ورد النهي عن ذلك. فالجواب: أن محل ذلك مع التيقن، وما هنا مظنون انتهىٰ.

{١٤١} [ما ورد في فضل الطواف]:

ومن فضله: وقوع الطواف الذي هو كالصلاة، و[هو] من أعظم القربات فيه، فيستحب الإكثار منه و الدعاء فيه.

---

(١) رسالة الحسن البصري ص ٢٠، وروى الأزرقي عن عبد الله بن خمرة قوله: «ما بين الركن إلى المقام إلى زمزم قبر تسعة وتسعين نبياً ...» وقال محققه: «إسناده حسن» ١/ ١٢٠.

(٢) هداية السالك ١/ ٦٦؛ ورواه الأزرقي من قول عبد الله بن حمزة السلولي بلفظ «ما بين الركن إلى المقام إلى قبل زمزم قبر تسعة وتسعين نبياً، جاؤوا حُجاجاً فقبروا هنالك عليهم صلوات الله أجمعين».

وقال محققه: (إسناده حسن) ١/ ١٢٠.

وقد ورد بفضله الكتاب، والسنة، والأثر.

أما الكتاب فما تقدم من قوله تعالىٰ: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج] وغير ذلك.

وأما السنة فأكثر من أن تحصر، فمنها: ما روى ابن جماعة عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من طاف بالبيت سبعاً وصلىٰ ركعتين كان كعتق رقبة[(١)]».

وعنه أيضاً قال سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من طاف بهذا البيت أسبوعاً فأحصاه كان كعتق رقبة»، وسمعته يقول: «لا يضع قدماً ولا يرفع قدماً أخرىٰ إلاّ حطّ الله عنه خطيئة وكتب له بها حسنة» رواه الترمذي محسناً[(٢)]، وفي رواية أحمد: «إلاّ بها كتب الله له عشر حسنات وحطّ عنه عشر سيئات، ورفع له بها عشر درجات[(٣)]».

وقوله: أحصاه، أي: حفظه بأن لا يغلط فيه.

وفي رواية أبي الفرج: «كتب الله له بكل قدم سبعين ألف حسنة، وحطّ عنه سبعين ألف سيئة، ورفع له سبعين ألف درجة، وشفع في سبعين من أهل بيته[(٤)]».

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢٧٥٣)، والأزرقي، وقال محققه: «إسناده صحيح» ١/ ٥١٤.

(٢) أخرجه الترمذي (٩٥٩)؛ والحاكم وصححه ١/ ٤٨٩؛ وابن خزيمة في الصحيح (٢٧٥٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ١١؛ والأزرقي في أخبار مكة ١/ ٣٣١.

(٤) أورده المنذري في الترغيب عن عبد الله بن عمرو موقوفاً (١٧٩١).

وعنه صلى الله عليه وسلم: ﴿من طاف بالبيت سبعاً، وصلّى خلف المقام ركعتين، وشرب ماء زمزم، غفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت[١]﴾ أخرجه الواحدي في تفسيره.

وعنه صلى الله عليه وسلم: ﴿إذا خرج المرء يريد الطواف بالبيت أقبل يخوض في الرحمة، فإذا دخل غمرته ثم لا يرفع قدماً ولا يضعها إلاّ كتب الله له بكل قدم خمسمائة حسنة، وحطّ عنه خمسمائة سيئة، أو قال خطيئة ورفعت له خمسمائة درجة، فإذا فرغ من الطواف فصلى ركعتين خلف المقام، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وكتب له أجر عتق عشر رقاب من ولد إسماعيل، واستقبله مَلَك على الركن فقال له: استأنف العمل فيما يستقبل فقد كفيت ما مضى وشُفِّع في سبعين من أهل بيته[٢]﴾ أخرجه الأزرقي وغيره.

وعنه صلى الله عليه وسلم: ﴿الكعبة محفوفة بسبعين ألف ملك يستغفرون الله لمن طاف بها[٣]﴾.

وعنه صلى الله عليه وسلم: ﴿أن الله تعالىٰ يباهي بالطائفين ملائكته[٤]﴾.

وعنه صلى الله عليه وسلم: ﴿لو أن الملائكة صافحت أحداً صافحت الغازي في سبيل الله، والبار بوالديه، والطائف ببيت الله الحرام﴾.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(١) أورده الملا علي في الأسرار المرفوعة وقال: «قال السخاوي: لا يصح وقد ولع به العامة كثيراً» ٣٤٨/١، والحديث رواه الديلمي وابن النجار كما في الكنز ٥٣/٥.
(٢) أخرجه الأزرقي وقال محققه: «إسناده ضعيف» ٤٩٣/١.
(٣) الأزرقي ١٩٦/١؛ والفاكهي ١٩٦/١.
(٤) أورده الهيثمي في المجمع وقال: «رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط وفي إسناده الطبراني محمد صالح العدوي ولم أجد من ذكره وبقية رجاله رجال الصحيح ...» ٢٠٨/٣.

﴿من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[١]﴾، قال العز ابن جماعة: والمراد بخمسين مرة والله أعلم خمسون أسبوعاً؛ لأن الشوط لا يُتَعَبَّدُ به، ويدل لذلك أن جماعة رووه فقالوا: ﴿من طاف خمسين أسبوعاً كان كما ولدته أمه[٢]﴾، فهذه الرواية مُفَسرة للأولىٰ، وليس المراد بأن يأتي بالخمسين في آن واحد، بل توجد في صحيفة حسناته[٣]، وقد سبقه إلى هذا المحب الطبري[٤].

وعنه صلى الله عليه وسلم: ﴿استكثروا من الطواف بالبيت فإنه أقل شيء تجدونه في صحفكم، وأغبط عمل تجدونه[٥]﴾.

وعنه صلى الله عليه وسلم: ﴿طوافان لا يوافقهما عبد مسلم إلاّ خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وتُغفر له ذنوبه بالغة ما بلغت: طواف بعد الصبح يكون فراغه عند طلوع الشمس، وطواف بعد العصر يكون فراغه عند غروب الشمس، فقال رجل: يا رسول الله لم تستحب هاتان الساعتان؟ فقال: إنهما ساعتان لا تعدوهما[٦]﴾.

قال المحب الطبري: يحتمل أن يريد بالبَعْدِيَّة ما قبل الطلوع والغروب ولو بلحظة تَسَعُ أسبوعاً، ويحتمل أنه يريد استيعاب الزمنين بالعبادة، ولعلّه الأظهر، وإلاّ لقال: طواف قبل الطلوع وقبل الغروب، وعلى هذا فيكون

(١) أخرجه الترمذي (٨٦٦) وقال: «حديث غريب».
(٢) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة ٢٨٨/٢.
(٣) هداية السالك لابن جماعة ٥٣/١-٥٤.
(٤) انظر القرى لقاصد أم القرى ص ٣٢٤-٣٢٥.
(٥) أورده ابن الجوزي في مثير العزم الساكن ٤٠٣/١، وفي تخريج الإحياء «لم أجد له إسناداً».
(٦) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة ٢٥٣/١؛ الأزرقي، وقال محققه: «إسناده ضعيف جداً» ٥٢٠/١.

حجة على من كَرِهه في الوقتين. انتهى[١].

{١٤٢} [أجر الطواف]:

وعنه صلى الله عليه وسلم: ﴿من طاف بالبيت سبعاً لا يتكلم إلاّ سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، محيت عنه عشر سيئات، وكتبت له عشر حسنات، ورفع له عشر درجات، ومن طاف فتكلم في تلك الحال خاض في الرحمة برجليه كخائض الماء برجليه[٢]﴾.

وعنه عليه الصلاة والسلام: ﴿الطواف بالبيت خوض في رحمة الله﴾.

والأحاديث في فضل الطواف كثيرة.

وأما الأثر فمنه: ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان أحب الأعمال إلى النبي صلى الله عليه وسلم إذا قدم مكة الطواف[٣].

وروى الأزرقي: أن ابن عمر كان يطوف سبعة أسابيع بالليل، وخمسة بالنهار، وإن آدم عليه السلام كان يطوف كذلك ـ وعنه أيضاً ـ أنه طاف وصلّى ركعتين، وقال: هاتان تكفران ما أمامهما[٤].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنه طاف بالبيت على غلام له يسمى طُهمان وهو يقول: والله لأن أطوف بهذا البيت أسبوعاً ولا أقول

(١) القرى لقاصد أم القرى ص ٣٢٣.
(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٩٥٧).
(٣) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة ١/٢٣٨؛ وابن عدي في الكامل ٦/١٥٣.
(٤) الأزرقي ١/٤٤.

فيه هُجراً، وأصلي ركعتين أفضل من عتق طهمان[١]، و[الهُجر] ـ بضم [الهاء] ـ: الفحش في النطق[٢].

وعن سعيد بن جبير: من حجّ البيت فطاف خمسين سُبوعاً قبل أن يرجع، كان كما ولدته أمه[٣].

وفي الإحياء: لا تغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال، ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد، فإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض.

وقد قيل: سبع أسابيع بعمرة، وفي الحديث: ﴿ثلاث عُمَرٍ بحجة﴾ وزد عمرتان كحجة، وهذا في غير عمرة رمضان فإنها تعدل حجة كما ورد. وفي رواية: ﴿تعدل حجة معه صلى الله عليه وسلم[٤]﴾.

{١٤٣} [الطواف في المطر]:

والطواف في بعض الأوقات له فضل عظيم، وأجر جسيم، فينبغي تحصيله، فمن ذلك: وقت المطر، روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿من طاف بالكعبة في وقت مطر كتب الله له بكل قطرة تصيبه حسنة ومحىٰ عنه بالأخرى سيئة[٥]﴾.

وعن أبي عقال قال: «طفت مع أنس رضي الله عنه في مطر فلما

(١) الأزرقي ٢/٢.
(٢) القرى لقاصد أم القرى ٣٢٣.
(٣) أورده المحب الطبري وقال: «سعيد بن منصور» ص ٣٢٤.
(٤) الجزء الأخير من الحديث أخرجه البخاري (١٧٨٢) ومسلم (١٢٥٦).
(٥) أورده الشوكاني في الفوائد المجموعة، وقال الصنعاني: «باطل» ص ١٠٦.

قضينا الطواف أتينا المقام فصلينا ركعتين، فقال لنا أنس: ائتَنِفُوا العمل فقد غفر لكم، هكذا قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وطفنا معه في مطر»[١].

وعن مجاهد قال: كان كل شيء لا يطيقه الناس من العبادة يتكلفه ابن الزبير، فجاء سيل فطبق، فامتنع الناس من الطواف، فجعل ابن الزبير يطوف سباحة.

وذكر ابن جماعة: أن جده طاف بالبيت سباحة، وكلما حاذى الحجر غطس لتقبيله، وذكر أن بعض المالكيين أخبره أنه اتفق له مثل ذلك[٢].

{١٤٤} [الطواف في شدة الحر]:

ومنه في شدة الحر، لقوله صلى الله عليه وسلم: «من طاف بالبيت أسبوعاً في يوم صيف شديد الحر، واستلم الحجر في كل طواف من غير أن يؤذي أحداً، وأقَلَّ كلامه إلا بذكر الله تعالىٰ، كان له بكل قدم يرفعها ويضعها سبعون ألف حسنة، ويمحىٰ عنه سبعون ألف سيئة، ويرفع له سبعون ألف درجة[٣]».

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من طاف بالبيت سبعاً في يوم صيف شديد الحر، وحسر عن رأسه، وقاربَ بين خُطاه، وقلّ التفاتُه، وغضّ بصره، وأَقَلَّ كلامَه إلاّ بذكر الله عز وجل، واستلم الحجر في كل طواف من غير أن يؤذي أحداً، كتب الله تعالىٰ له بكل قدم يرفعها ويضعها سبعين ألف حسنة، ومحا عنه سبعين

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه (٣١١٨) وفيه من تُكُلِّمَ فيه.
(٢) هداية السالك ١/٥٧.
(٣) ذكره الحسن في رسالته كما في هداية السالك ١/٥٧.

ألف سيئة، ورفع له سبعين ألف درجة، وعتق عنه سبعين رقبة، ثمن كل رقبة عشرة آلاف درهم، ويُعطيه الله سبعين شفاعة، إن شاء في أهل بيته من المسلمين، وإن شاء في العامة، وإن شاء عجلت له في الدنيا، وإن شاء أخرت له في الآخرة[١]».

فإن قيل: هل يستوي في ذلك من طاف حافياً ومتخففاً، أم الأفضل الأول لكثرة المشقة؟.

قلت: أجاب عنه العلامة ابن ظهيرة: بأن إطلاق الحديث يقتضي التسوية بينهما، لكن سياقه يفهم أن الأول أفضل وأكثر ثواباً، حيث علل بشدة الحر؛ لأن المراد تجشم المشقة، وهو أكثر مشقة[٢].

ثم إنما ينبغي الطواف في الوقتين إذا لم يلحقه به ضرر وإلا فلا يجوز، وأيضاً إذا أمكنه الطواف ولكن يتضرر بكشف رأسه فيغطيه ويحصل له الثواب بفيض فضل الوهاب.

ومنها عند خُلُوّ المطاف؛ لأنه يقوم حينئذٍ بعبادة لا يشاركه فيها أحد في سائر أقطار الأرض؛ ولذا قال العلماء رحمهم الله تعالىٰ: لو حلف ليعبدن الله تعالىٰ بعبادة لا يشاركه فيها أحد، فالخلاص أن يُخْلى له المطاف فيطوف به وحده[٣].

(١) أورده الملا علي في الأسرار المرفوع ١/٣٥٠، وأورده الفاسي في شفاء الغرام وقال: «حديث ضعيف الإسناد جداً» ١/٢٨٥.
(٢) الجامع اللطيف لابن ظهيرة ص ١١٩.
(٣) المصدر السابق نفسه.

{١٤٥} [الإخلاص والتوجه إلى الله تعالىٰ في الطواف]:

وإذا كان الطواف بهذه المزايا والفضائل، والطائف له الفضل العظيم والآجر الكامل، فينبغي له التوجّه إلى الله تعالىٰ بالإخلاص؛ ليكون أقرب من ذي الفيض والاختصاص، ولا يكن كما قال بعض العارفين رحمهم الله أجمعين:

يا مـن يطوف ببيت الله بالجسـد والجسـم في بلد والروح في بلد
مـاذا فعلت ومـاذا أنـت فاعلـه مبهرجاً في التقـى للواحد الأحد
إن الطـواف بـلا قلـب ولا بصر على الحقيقة لا يشفى من الكمد[1]

{١٤٦} [أقسام الطواف]:

تتمة: الطواف عندنا على أقسام سبعة:

الأول: طواف القدوم: وهو سنة للآفاقي المُفرِد بالحج.

الثاني: طواف الزيارة: وهو الركن الثاني من أركان الحج.

الثالث: طواف الصدور: وهو واجب على الآفاقي ما لم ينو التوطن بمكة قبل حل النفر الأول.

الرابع: طواف العمرة: وهو ركنها الأعظم.

الخامس: طواف النذر: وهو واجب على من التزمه.

السادس: طواف تحية المسجد: وهو مستحب لكل من دخل المسجد إلا إذا كان عليه غيره فيقوم مقامه، بل أي طواف طافه عند الدخول كفاه عنه.

(١) الجامع اللطيف، ص ١١٥.

السابع: طواف التطوع: وهو ما زاد على ذلك بلا سبب.

وكل واحد من هذه الأنواع له حكم يخصه، فلينظره في محله من أراده[1].

{١٤٧} [الدعاء والذكر في الطواف]:

تذييل: في بعض الأدعية المأثورة في الطواف، قال في فتح القدير: «واعلم أنك إذا أردت أن تستوفي ما أثر من الأدعية والأذكار في الطواف، كان وقوفك في أثناء الطواف أكثر من مشيك بكثير، وإنما أثرت هذه [في طواف فيه تأنٍّ ومهلة] ومَهلٍ لا رملٍ، ثم وقع لبعض السلف من الصحابة والتابعين أن قال في موطن كذا وكذا؛ [ولآخر في آخر كذا، ولآخر] في نفس أحدهما شيئاً، فجمع المتأخرون الكل؛ لا أن الكل في الأصل لواحد، بل المعروف في الطواف مجرد ذكر الله تعالىٰ، ولم نعلم خبراً روي فيه قراءة القرآن. انتهى كلامه[2].

ولعل مراده على طريق التلاوة، وأما على طريق الدعاء ففيه شيء، بل وعلى الأول أيضاً؛ إذ لا يعلم القصد إلا الله تعالىٰ إذ ثابت قراءة ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة]الآية، نعم الأذكار والأدعية الواردة أفضل من قراءة القرآن كما قيل، والظاهر أن كل ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من دعاءٍ وذكرٍ وقراءة في محل، فهو أولىٰ وأكمل

(١) انظر بالتفصيل: المبسوط، ٤/٣٤؛ البدائع ٢/١٤٦؛ منسك الكرماني ١/٤٢٠.
(٢) ما بين المعكوفتين أضيفت من نصّ فتح القدير لتصحيح العبارة، ٢/٤٥٢، ونقل قبل هذه العبارة عن «محمد رحمه الله [أنه] لم يعين في الأصل لمشاهد الحج شيئاً من الدعوات؛ لأن التوقيت يذهب بالرقة» وعلق عليها بقوله: «لأنه يصير كمن يكرر محفوظه بل يدعو بما بدا له، ويذكر الله كيف بدا له متضرعاً» ١/٤٤٧.

وأشرف وأجمل، وإذا كان المأثور في ذلك كثير والوقوف في الطواف خطير؛ لأنه خلاف سنة موالاة النذير البشير، فينبغي الإتيان منه بما أمكن، وأفضل الوارد في الطواف الباقيات الصالحات وهي: سبحان الله[1] والحمد لله.. الخ وقد يقال عند استلام الحجر[2].

ومن المأثور إذا حاذى الملتزم[3] قال: اللهم إليك مددت يدي، وفيما عندك عظمت رغبتي، فاقبل دعوتي، وأقل عثرتي، وارحم تضرعي، وآمن خوفي، وجدْلي بمغفرتك، وأعذني من مضلات الفتن، اللهم إنّ لك حقوقاً فتصدق بها عليّ.

وإذا كان بين الركن والمقام قال: اللهم قنّعني بما رزقتني، وبارك لي فيه، واخلُف على كل غائبة بخير، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

قوله: (واخلُف) بهمزة وصل وضم اللام، و(على كل غائبة) جار ومجرور

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٢.

(٢) ويريد بذلك الدعاء المشهور: «اللهم إيماناً بك، وتصديقاً بكتابك، وإيماناً بنبيك، ووفاء بعهدك، واتّباعاً لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، لا إله إلاّ الله، والله أكبر» منسك الكرماني ١/٤٠٦.

(٣) هذه الأدعية وغيرها من الأدعية المعينة لموضع معين من الطواف لم يعرف لها أصل من السنة ما عدا ما بين الركنين، «والأصل فيه أنه يستحب أن يأتي بدعاء وثناء عند ذلك، ولم يعين أصحابنا دعاء بعينه، لأن تعيين الدعاء يفضي إلى إزالة الخشوع والرقة عن القلب فيأتي بما تيسر له عند ذلك»، كما قال الكرماني في منسكه (المسالك في المناسك) ١/٣٩٢. «وعن هذا قال مالك رحمه الله تعالى: لا يقرأ في الطواف القرآن وغيره من الدعوات إلاّ قوله: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، وهو أحد قولي أحمد رحمه الله؛ لأن هذا القدر ثابت بيقين بالنص، وفي غيره من الدعوات شك واختلاف، فالإتيان باليقين أولى» مناسك الكرماني ١/٤٠٤.

ومضاف إليه، والمعنى: وكن خليفة على كل نفس غائبة لي ملابساً بخيرٍ، واجعل خلفاً على كل غائبة لي خيراً، فالباء للتعدية كذا ضبطه المُلاّ في شرح الحِصن الحصين.

ثم قال: وأما لهج بعض العامة من قوله: (عليّ) بتشديد الباء فهو تصحيف في المبنى، وتحريف في المعنى، كما لا يخفى. انتهى.

يقول الفقير: إذا كانت الرواية كذلك فلا كلام، فيمكن أن يقال: (أخلِف) بهمزة قطع وكسر اللام، و(علي) جار ومجرور و(كل غائبة) مفعول مضف، والمعنى: وأبدل كل حاجة منالة بخير منها أو أخير منها، ولكن الأول أظهر والله أعلم.

وإذا حاذى الباب قال: اللهم إن هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك، وهذا الأمن أمنك، وهذا مقام العائذ بك من النار[1].

ولا يريد بالعائذ أيضاً، بل يقصد بالمقام هذا المكان، وبالعائذ جنس المستعيذ، أو خصوص نفسه كما قال الطرابلسي. وقال السروجي: وإذا حاذى مقام إبراهيم قال: اللهم إن هذا مقام العائذ بك من النار، اللهم حرّم لحومنا وبَشَرَتنا على النار.

وقال في الكبير: وبين كلام السروجي والطرابلسي تنافٍ ـ انتهى. ويمكن الجمع بينهما غير مناف مما ليس بخلاف.

وإذا أتى الركن العراقي يقول ـ غير مشيرٍ إليه ولا مستلمٍ عليه كالشامي ـ اللهم إني أعوذ بك من الشكّ والشِّرك، والشقاق والنفاق، وسوءالأخلاق، وسوء المنقلب في الأهل والمال والولد.

وإذا حاذى الميزاب قال: اللهم إني أسألك إيماناً لا يزول، ويقيناً لا ينفد،

---

(١) انظر منسك الكرماني ١/٤٠٦.

ومرافقة نبيّك محمدٍ صلى الله عليه وسلم، اللهم أظلني تحت ظل عرشك، يوم لا ظل إلا ظلك ولا باقي إلاّ وجهك ولا فاني إلاّ خلقك، واسقني بكأس نبيك محمد صلى الله عليه وسلم شربةً لا أظمأ بعدها أبداً.

وعند الشامي يقول: اللهم اجعله حجاً مبروراً، وسعياً مشكوراً، وذنباً مغفوراً، وتجارة لن تبور، يا عزيز يا غفور، يا عالم ما في الصدور، وأخرجني من الظلمات إلى النور.

وإذا أتى الركن اليماني يقول: اللهم إني أعوذ بك من الكفر، وأعوذ بك من الفقر، وأعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من الخِزي في الدنيا والآخرة، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة] الآية، اللهم تقبّل مني كما تقبلت من إبراهيم خليلك، وموسى كليمك، وعيسى روحك، ومحمد صلى الله عليه وسلم حبيبك، اللهم إني أسألك العفوَ والعافيةَ والمعافاةَ الدائمةَ في الدين والدنيا والآخرة.

ويقول بينه وبين الركن الأسود: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة] الآية، وإذا قرب من الحجر قال: يا واجد لا تنزع مني نعمة أنعمتها عليّ، وهكذا في كل شوط يفعل، كما مر.

وينبغي أن يحصل الدعوات المأثورة؛ لئلا يلحن فيها، فيخشى عليه دخوله تحت قوله صلى الله عليه وسلم: «من كذب عَلَيَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار[١]» كذا قال الملا علي.

{١٤٨} [كثرة الصلاة على النبي ﷺ]:

وينبغي أن يكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف،

(١) أخرجه البخاري (١٢٢٩)، ومسلم (٣).

فإنها من أفضل القربات وأشرف العبادات، حتى قال الأخضري في شرح السلم: اتفق العلماء على أن جميع الأعمال منها مقبول، ومنها مردود إلاّ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؛ فإنه مقطوع بقبولها إكراماً له. وقال الشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني - في آخر شرحه على جوهرة التوحيد -: ولما كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم غير مردودة، ختم كتابه بعد البداءة بها ليكون وسيلة لقبولها بينهما. انتهى.

وحرر الباجي في كنز العفاف: وإنها قد ترد كلمة التوحيد مع أنها أعظم منها وأفضل لحديث الأصبهاني وغيره، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قالها فتقبلت منه محىٰ الله عنه ذنوب ثمانين سنة[١]» فقيد المأمول بالقبول.

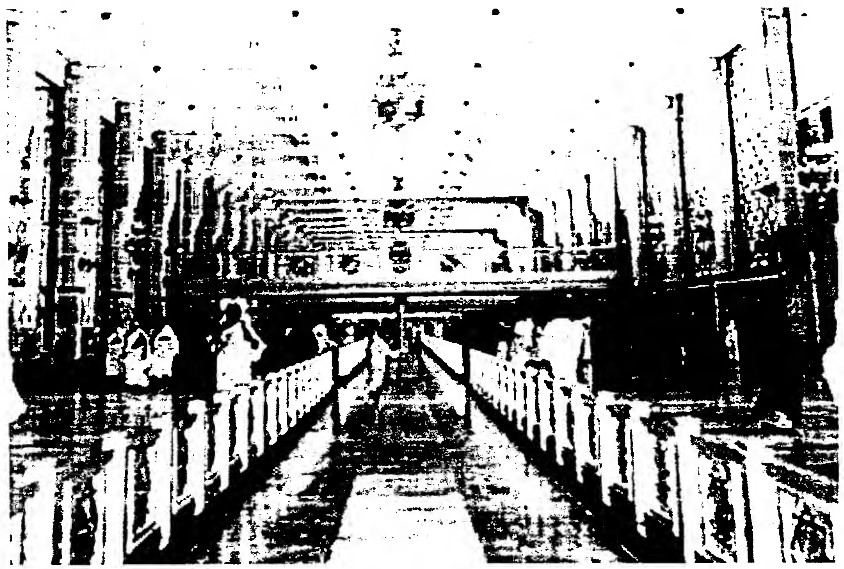
هذا ولم يعين الإمام محمد - حامل لواء مذهب أبي حنيفة على كاهله وراويه عنه - لمشاهد الحج شيئاً من الدعوات، فإن توقيتها يذهب برقة القلب؛ لأنه يصير كمن يكرر محفوظه، بل يدعو بما بدا له، ويذكر الله تعالىٰ كيفما خطر له مما يوافق الشرع، وإن تبرك بالمأثور منها فحسن أيضاً على ما قاله غير واحد من أصحابنا، لكن الأظهر أن اختيار المأثور عنه صلى الله عليه وسلم مستحب، والمروي عن السلف مستحسن، ويجوز الاكتفاء على من يرد على السالك إن كان أهْلاً لذلك[٢]. انتهى كلام المُلاَّ علي رحمه الله تعالىٰ.

(١) أورد الشوكاني النص: «من صلّىٰ عليّ مرة واحدة فتقبلت ...»، وقال: «في إسناده متهم بالوضع» الفوائد ١/ ٣٢٩.

(٢) وقال الكرماني أيضاً: «إن أكثر أصحابنا لم يوقّتوا دعاء على التعيين في الطواف والسعي والمروة وغيرها وعللوا ذلك وقالوا: بأن التوقيت في الدعاء يذهب برقة القلب والخشوع، بل يأتي بثناء ودعاء بأي ثناء ودعاء تيسر له في تلك الحالة عن إخلاص، فإنه جائز وهو أقوى في الإخلاص والرقة والخشوع» منسك الكرماني ١/ ٤٠٤.



المسعى قبل التوسعة السعودية



المسعى بعد التوسعة

{١٤٩}

٧-[من أماكن الإجابة المسعى]

وسعي أي: مكانه. وكان الأولى أن يقول: ومسعىٰ؛ لأن المراد المكان وهو ما بين الصفا والمروة، يعني: ومما يستجاب فيه الدعاء المسعىٰ، لا سيما بين المِيلَين الأخضرين، إما مطلقاً كما ذكره الحسن لشرف المكان، أو بقيد وقت العصر كما في نظم العصامي عن النقاش، ومقتضىٰ كلام الملا علي: أن الإجابة تتقيد بمباشرة السعي، ويمكن الإطلاق، ومال الشيخ إلى الإطلاق حتىٰ عن قيد النقاش، وقال: لأن الفضيلة للمحل لا بخصوص العمل، ويظهر أنه الأصوب والأكمل، وفضل الله أشمل.

والمسعىٰ مكان شريف ومشعر عظيم، ولو لم يكن من فضله إلاّ ما شرع الله فيه من عبادة السعي الذي هو واجب عندنا وفرض عند مالك والشافعي وغيرهما، لكفى(١).

وذكر القطب الحنفي: أن بعض المسعىٰ من عرضه أدخل في المسجد، ثم توقف في صحة وقفه مسجداً وفي الاعتكاف فيه؛ لأنه مستحق لعمل النسك فلا يصح تملكه ولا وقفه، ثم استبعده بأنه لو وقع لأنكره العلماء الذين لا يخافون في الله لومة لائم.

{١٥٠} [أحكام السعي]:

تتمة: السعي واجب في الحج والعمرة، والهرولة بين المِيلَينِ سنة

---

(١) انظر: الهداية ١/١٤٢، المدونة ١/٤٠٩، المهذب ١/٢٢٩، شرح المنتهىٰ ٢/٧٢، مختصر اختلاف العلماء ٢/١٤٥.

للرجال، والدعاء فيه سنة، وبالوارد عنه صلى الله عليه وسلم مستحب.

ومن المأثور فيه أن يقول في هبوطه من الصفا: اللهم استعملني بسنة نبيك، وتوفني على ملته، وأعذني من مضلات الفتن برحمتك يا أرحم الراحمين.

{١٥١} [الأدعية المأثورة في السعي]:

ويقول بين الميلين: رب اغفر وارحم، وتجاوز عما تعلم، إنك أنت الأعز الأكرم، اللهم اجعله حجاً مبروراً، وسعياً مشكوراً، وذنباً مغفوراً، اللهم اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين والمؤمنات، يا مجيب الدعوات ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة] الآية، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البقرة] الآية، وأمثالها.

{١٥٢}

٨- ٩-[المروتين]

«مروتين» أي: مما يستجاب فيه الدعاء الصفا والمروة، وثنّاهما تغليباً كعمرين، والصفا - بالقصر - طرف جبل أبي قبيس وهو معروف، والصفا: الحجر الأملس واحده صفاة، كحصى وحصاة، ويجوز تذكيره وتأنيثه باعتبار إرادة المكان والبقعة، كذا في المصباح، وفي البحر الرائق: وكان الصفا مذكراً؛ لأن آدم عليه السلام وقف به فسمى به، ووقفت حواء على المروة [فسميت باسم المرأة] كذلك، كذا ذكره القرطبي في تفسيره[1]، وفي المصباح: المروة: الحجارة البيض واحدها مروة، وسمي بالواحدة الجبل المعروف بمكة.

{١٥٣} [إجابة الدعاء بالمروة]:

والمراد: أنه يستجاب الدعاء فيهما من غير قيد بوقت، أو بوقت العصر كما ذكره العصامي وبدعواتهما المأثورة وغيرها.

{١٥٤} [الإجابة بالمسعى مطلق أم مقيد بالنسك]:

وهل يختص بحال مباشرة سعي أحد النسكين أم مطلقا ؟ قال الملا في شرح الوسط: الظاهر الأول، وعلى الثاني العمل، وقال في شرح الحصن الحصين: فالأول: مجزوم به، والثاني: محل توقف، وفضل الله واسع. انتهى.

(١) تفسير القرطبي ٢/١٧٩.

والذي يظهر والله أعلم: الإطلاق عن الزمان والحال كما أطلقه الحسن، وتبعه على ذلك أكثر من ذكرها من مشايخنا؛ لأن الشرف الكمال، وهذا قصد الحسن الحث بذلك على القرار والثبات، ولو كان المراد به خلاف عموم الأوقات لما كان فيه كبير حث على ذلك، والله أعلم بما هنالك.

{١٥٥} [إجابة الدعاء بالصفا والمروة]:

والمروتان: مكانان عظيمان شريفان، ويكفي في شرفهما قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة: ١٥٨] .

الشعائر: جمع شعيرة، وهي العلامة، والمعنى: أنهما أعلام مناسكه ومتعبداته، وقال الملا: والأظهر أن يقال:من شعائر دينه مطلقاً، ولا يتوهم من دفع الجُناح نقصهما بعد أن مدحهما الله تعالىٰ.

{١٥٦} [أصل الصفا والمروة]:

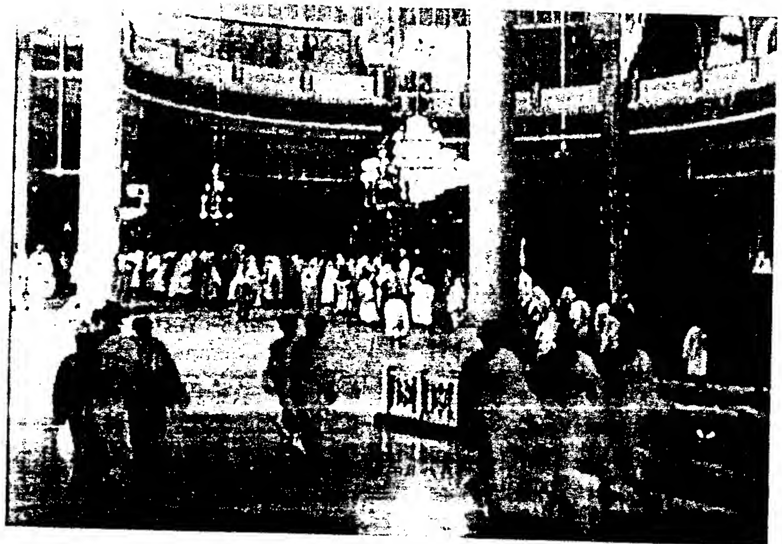
قيل: كان على الصفا إساف، وعلى المروة نائلة: وهما صنمان، يُروىٰ أنهما كانا رجلاً وامرأة زنيا في الكعبة، فمُسخا حجرين، فوضعا ليعتبر بهما، فلما طالت عُبِدَا من دون الله، فكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام، كَرِه المسلمون الطواف بينهما؛ لأجل فعل الجاهلية، فرفع عنهم الجناح فلا جناح. انتهىٰ.

{١٥٧} [التفاضل بين الصفا والمروة]:

وهل الصفا أفضل أم المروة أفضل؟



المروة قديما



الصفا بعد التوسعة السعودية

لم أر الآن فيه شيئاً لعلمائنا، وحكىٰ الشيخ إدريس عن ابن حجر تبعاً لجماعة منهم، أفضلية الصفا لتقدمه في القرآن. وعن الرملي، والشربيني، وشيخ الإسلام تبعاً لابن عبد السلام: المروة، والله تعالىٰ أعلم.

{١٥٨} [ترتيب أعمال السعي وآدابها]:

تتمة: البداءة بالصفا في السعي واجبة، وقيل: سنة، وقيل: شرط، ويستحب إذا أراد السعي بعد طواف أن يخرج من باب الصفا، والسنة أن يخرج إليه بعد الطواف علىٰ فوره، ثم يتوجه إلى الصفا، ثم إذا دنىٰ منهما قال: «أبدأ بما بدأ الله تعالىٰ به ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ [البقرة: ١٥٨] الآية»[١].

{١٥٩} [الحث على الإتباع]:

كما ورد في الحديث، ويصعد على الصفا بقدر ما يرىٰ البيت الشريف من الباب أومن فوق الجدار، وما زاد على ذلك منَ الصعود على الجدران والالتصاق بدعة قبيحة.

{١٦٠} [ما يُسن في الصفا]:

ويُسَنُّ أن يستقبل القبلة، وأمّا رؤية البيت فيستحب، ويرفع يديه حذو منكبيه بسطاً للدعاء لا كما يفعله الجهلة من معلمي الغرباء[٢] وغيرهم: من رفع أيديهم إلى آذانهم وأكتافهم ثلاثاً كل مرة مع تكبيرة، فإن السنة بخلافه،

(١) الحديث أخرجه مسلم في حديث جابر الطويل (١٢١٨).

(٢) يقصد المطوفين الذين كانوا يتولون طواف الناس وسعيهم ويلقنونهم الأدعية والتشويش ... الطائفين فيغلب على أكثرهم الجهل، وبفضل الله تعالىٰ بدأت تختفي تلك الظاهرة ... والمسعى.

وفعلهم ذلك لم يقل به أحد من العلماء، فيرفع يديه من غير إرسال، ويحمد الله تعالىٰ ويثني عليه، ويكبر ثلاثاً، ويهلّل، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو له وللمسلمين بما شاء.

والحاصل: أنه إذا رفع يديه يقول: الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، الحمد لله علىٰ ما هدانا، الحمد لله علىٰ ما أولانا، الحمد لله على ما ألهمنا، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو علىٰ كل شيء قدير، لا إله إلاّ الله وحده، صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلاّ الله ولا نعبد إلاّ إياه، مخلصين له الدين ولوكره الكافرون، اللهم إنك قلت ادعوني استجب لكم، وإنك لا تخلف الميعاد، وإني أسألك كما هديتني للإسلام أن لا تنزعه مني حتىٰ تتوفاني مسلما، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه إلىٰ يوم الدين، اللهم اغفر لي ولوالديّ ولمشايخي وللمسلمين أجمعين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، ويكرر ذلك ثلاثاً، ويطيل القيام بقدر سورة من طوال المفصل أو بقدر خمس وعشرين آية من القرآن، وما يقال في السعي تقدم.

ويفعل في المروة كالصفا إلاّ أنه يحتاج إلىٰ الصعود عليها؛ لأن أدنىٰ المروة تحت العقد المشرف عليها، فمن وقف علىٰ أول درجة منها أو علىٰ أرضها بعد العقد، فقد حصل المقصود.

{١٦١}

١٠-[من أماكن إجابة الدعاء زمزم]

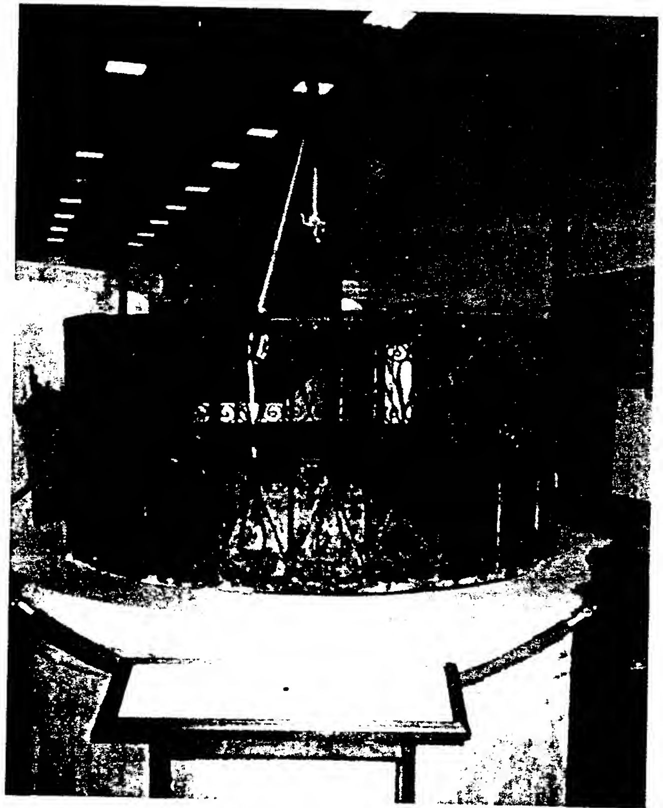
وزَمْزَم: ـ كجعفر ـ : بئر عند الكعبة معروفة وهو عَلَم منقول، وقيل: مرتجل، سميت بذلك لكثرة مائها، إذ الزَّمّ الكثير، أو لضم هاجر أم إسماعيل لمائها حين انفجرت، والزمّ: الضّم، أو لزَمة جبريل، أي: تكلمه عند فجره لها، أو لأن الفَرَس لما كانت تحج تزمزم عندها، والزمزم: صوت تخرجه الفرس من خياشيمها، وقيل غير ذلك.

{١٦٢} [متىٰ تستجاب عند زمزم]:

والمراد: أن مما يستجاب فيه الدعاء عند الوقوف علىٰ قرب بئرها، أو مع شرب مائها، فإن ماء زمزم لما شرب له، كذا قال الملا علي.

وظاهره: أن الإجابة تكون مع القرب ولو لم يشرب، ومع الشرب ولو لم يقرب؛ ولذا قال بعض العلماء: ينبغي أن يكون ذلك عند شربها ولو بالصين، وذلك وإن استبعد، ففضل الله عظيم، واستظهر بعض الشافعية: أنها تكون بالقرب مع الشرب.

وعلىٰ ذلك فهل هي قبل الشرب أو بعده؟ الظاهر: الإطلاق؛ لأن ذلك لشرف المكان أو الماء، وقيده النقاش بعد الغروب والله أعلم بغيبه.



ما كان على بئر زمزم قديما (معروض في أحد متاحف مكة)



صورة لأحد عيون بئر زمزم من الداخل يظهر تدفق الماء

{١٦٣} [فضل بئر زمزم]:

وزمزم: بئر شريفة وعظيمة، وهي أشرف آبار الدنيا.

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «خير واديين في الناس: وادي مكة، وواد بالهند الذي هبط به آدم عليه السلام، ومنه يؤتىٰ بهذا الطيب الذي يتطيب به الناس، وشر واديين في الناس: واد بالأحقاف، وواد بحضرموت يقال له: برهوت، وخير بئر في الناس زمزم، وشر بئر في الناس برهوت»(١). وأمّا ماؤها فورد في فضله أحاديث كثيرة وآثار شهيرة، فمنها ما رواه الطبراني وغيره: أنه صلىٰ الله عليه وسلم جاء إلىٰ زمزم فنزعوا له دلوا فشرب، ثم مجّ في الدلو ثم صبه في زمزم، ثم قال: ﴿لولا أن تغلبوا عليها لنزعت معكم(٢)﴾. وفي رواية: أنه غسل وجهه وتمضمض منه ثم أعاده فيها.

ورُوي أن الذي نزع له الدلو: العباس رضي الله عنه.

وروىٰ الواقدي أنه نزع لنفسه. وهو ضعيف.

{١٦٤} [حديث زمزم لما شرب له]:

وروىٰ جابر عنه صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: ﴿ماء زمزم لما شرب له﴾، قال العلامة الجلال السيوطي رحمه الله تعالىٰ: هذا الحديث أخرجه ابن ماجه، وأخرجه الخطيب في التاريخ بسند صححه الدمياطي، والمنذري، وضعّفه النووي، وحسّنه ابن حجر بوروده من طريق جابر، وورد من حديث ابن عباس، وابن عمر رضي الله تعالىٰ عنهم، قال الشيخ ابن الجزري رحمه

(١) أخرجه الأزرقي ٢/٥٥، وقال ابن حجر في الدراية: «روىٰ الأزرقي من طريق ابن طاووس عن أبيه مرسلاً» ٢/٣٠.
(٢) أخرجه الأزرقي ٢/٥١.

الله تعالىٰ في الحصن الحصين: «ولما أتىٰ الإمام الحجة عبد الله بن المبارك زمزم استقىٰ منه شُربة ثم استقبل القبلة، ثم قال: اللهم إن ابن أبي الموالي حدثني، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ماء زمزم لما شرب له(١)، وهذا أشربه لعطشي يوم القيامة ثم شرب﴾ هذا سند صحيح والراوي عن ابن المبارك ذلك سويد بن سعيد ثقة. وروىٰ له مسلم في صحيحه وابن أبي الموالي ثقة، روىٰ له البخاري في صحيحه، فصح الحديث والحمد لله، انتهىٰ.

قال: وفيه تأمل وبين وجهه، والحاصل أن الحديث فيه كلام كثير، وقد ألّف الحافظ ابن حجر فيه جزءاً، وحاصل ما ذكره أنه مختلف فيه، فضعفه جماعة، وصححه آخرون، قال: والصواب أنه حسن؛ لشواهده، وقال العلقمي في شرح الجامع الصغير: قال شيخنا يعني الجلال السيوطي: هذا الحديث مشهور علىٰ الألسنة كثيراً، واختلف الحفاظ فيه، فمنهم: من صححه، ومنهم من حسّنه، ومنهم من ضعّفه، والمعتمد الأول، وجازف من قال: حديث ﴿الباذنجان لما أكل منه(٢)﴾ فإن حديث الباذنجان موضوع كذباً. اهـ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: ﴿ماء زمزم لما شرب له، فإن شربته تستشفي شفاك الله، وإن شربته مستعيذاً أعاذك الله، وإن شربته لتقطع ظمأك قطعه الله، وإن شربته لشبعك أشبعك الله، وهي هزمة جبريل، وسقيا

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٠٦٢)؛ والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٥/١٤٨؛ والدار قطني في السنن ٢/٢٨٩؛ ومصنف ابن أبي شيبة ٣/٢٧٤.
(٢) أورده الشوكاني في الفوائد وقال: «باطل لا أصل له باتفاق العلماء» ١/٩٠.

إسماعيل[١]﴾، ومما بلغ من الصحة والحسن ﴿إنها شفاء سقم[٢]﴾، رواه الطبراني، وفي صحيح مسلم: ﴿إنها مباركة وإنها طعام طعم[٣]﴾، وضبط بعض العلماء: طَعِم بفتح الطاء وكسر العين، وبعضهم بضم الطاء وسكون العين، قال الكازروني وهي طعام طعم، أي: طعام طاعمين كثير في الأكل؛ لأن طعم جمع طعوم، وهو كثير الأكل.

وقال العلقمي: وإنها طعام طعم بالإضافة، والطعام اسم لما يطعم، فكأنه قال: طعام إشباع، أو طعام شبع من إضافة الشيء إلىٰ صفته.

وقال الجوهري: والطعم بالضم الطعام، وبالفتح ما يشتهى[٤].

{١٦٥} [ما ورد في ماء زمزم]:

وعن ابن عباس [رضي الله عنهما]: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿الحُمَّىٰ من جهنم فأبردوها بماء زمزم﴾ رواه أحمد وابن أبي شيبة وابن حبان، وفي البخاري بالشك بالماء أو بماء زمزم[٥].

وعنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم[٦]﴾ أخرجه الطبراني في معجمه بسند من رجاله ثقات وصححه ابن حبان.

---

(١) أخرجه الدار قطني في السنن ٢/٢٨٩؛ وعبد الرزاق في المصنف ٥/١١٨.

(٢) أخرجه البيهقي في معرفة السنن ٤/١٥١؛ المطالب العالية ٧/١٣٧.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٧٣).

(٤) الصحاح: (طعم).

(٥) أخرجه البخاري (بالشك) (٣٢٦١)، (٥٧٢٣).

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١/٩٨؛ وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات وصححه ابن حبان» ٣/٢٨٦.

وعنه أيضاً أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: ﴿آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم[١]﴾ رواه البخاري في التاريخ، وابن ماجه والحاكم.

وعنه أيضاً: ﴿أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يُتْحِفَ الرجل، سقاه من زمزم[٢]﴾ رواه ابن أبي شيبة عن ابن عدي، قال في الجواهر: وهذا إسناد صحيح.

ويُروىٰ أن في بعض كتب الله المنزلة: «زمزم لا تنزف ولا تذم، ولا يعمد عليها فيتضلع منها ابتغاء بركتها، إلاّ خرجت منه مثلَي ما شرب من الداء، وأحدثت له شفاء، والنظر إليها عبادة، والطهور منها يحط الخطايا حطّاً، وما امتلأ جوف عبد مؤمن من ماء زمزم إلاّ ملأه الله علماً وبراً»[٣].

وعن وهب بن منبه أنه قال: ﴿والذي نفسي بيده إن زمزم لفي كتاب الله تعالىٰ مضنونة، وإنها لفي كتاب الله بَرّة، وإنها لفي كتاب الله شراب الأبرار، وإنها لفي كتاب الله طعام طعم وشفاء سقم[٤]﴾.

وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ـ لأبي ذر وقد أقام بين الكعبة وأستارها ما بين أربعين يوماً وليلة ليس له طعام غيرها: ﴿إنها طعام طعم[٥]﴾، وزاد غير مسلم بإسناده و﴿شفاء سقم﴾.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٠٦١)؛ والدار قطني ٢/٢٨٨؛ والبيهقي في الكبرىٰ ٥/١٤٧.

(٢) أورده المناوي في التيسير وقال: «غريب والمحفوظ وقفه» ٢/٢٣٧.

(٣) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة ٢/٥١.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٥/١١٧.

(٥) أخرجه مسلم (٢٤٧٣).

وعنه أيضاً قال: ﴿لما قدمت مكة مكثت أربعة عشر يوماً بلياليها، ومالي طعام ولا شراب غير زمزم، حتىٰ تكسَّرت عكن بطني، وما أجد على كبدي سخفة الجوع﴾ ـ بفتح السين المهملة وضمها وسكون الخاء المعجمة ـ يعني: رقته وهزاله، وقيل: هي الخفة التي تعتري الإنسان إذا جاع.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان أهل مكة لا يسابقهم أحد إلاّ سبقوه، ولا يصارعهم أحد إلاّ صرعوه، حتىٰ رغبوا عن زمزم، فأصابهم المرض في أرجلهم»(١).

وأخرج ابن عساكر عن أبي الدرداء قال: «إلياس والخضر يصومان شهر رمضان في بيت المقدس، ويحجان في كل سنة، ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من قابل»(٢).

{١٦٦} [شرب الأئمة زمزم لنيل العلم]:

وفضائله كثيرة، فمنها: ما لا يحصىٰ كم شَرِبَه من الأئمة العارفين لأمور نالوها:

فلقد نقل عن الإمام الشافعي أنه قال: شربته لثلاث: للرمي فكنت أصيب العشرة من العشرة والتسعة من العشرة، وللعلم فهذا أنا كما ترون، ولدخول الجنة وأرجوها.

وقيل لابن إسحاق من أين أوتيت العلم؟ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ماء زمزم لما شرب له﴾ وإني لما شربته سألت الله علماً نافعاً.

---

(١) الأزرقي في أخبار مكة ٢/٤٦.

(٢) المطالب العالية ١٤/٢٧٨ ، وقال: «ضعيف جداً».

وذكر الحافظ ابن حجر عن نفسه وقال: شربته مرة وسألت الله وأنا في بداية طلب الحديث أن يرزقني حالة الذهبي في حفظ الحديث، ثم حججت بعده مدة تقرب من عشرين سنة وأنا أجد في نفسي المزيد على تلك الرتبة، فسألته أعلىٰ منها فأرجو الله أن أنال ذلك.

وذكر العلامة شمس الدين بن علي الداودي المالكي في ترجمة شيخه الجلال السيوطي ما نصه: ولما حج شرب ماء زمزم لأمور، منها: أن يصل في الفقه إلىٰ رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر، إلى أن قال: والذي نفسي بيده إن الذي أعتقده وأدين الله به، أن الرتبة التي وصل إليها من العلوم واطلع عليها لم يصل إليها أحد، ولا وقف عليها غيره من مشايخه فضلاً عن غيرهم هم دونه.

ومكث والد الشيخ ابن الجزري أربعين عاماً لا يولد له ولد، فشربه بنية أن يرزقه الله ولداً صالحاً، فولد له الشيخ محمد الجزري.

وناهيك به علماً وصلاحاً.

{١٦٧} [ما يُروىٰ ويُحكىٰ في شفاء المرضىٰ بشرب زمزم]:

وحصر بعضهم بالبول في ليلة ظلماء في المطاف، وتعذر خروجه من المسجد، فشربها وتضلع منها فذهب منه إلى الصباح.

واعترضت إبرة في حلق إنسان، فصار لا يطبق فمه، فشربه بجهد، وغلبت عيناه فنام، وانتبه وليس به بأس.

وحصل لبعضهم عمىٰ، فشربه وغسل عينيه فبرأ منه.

وحصل لعالم كبير من أهل اليمن استسقاء عظيم، واشتد به، فذهب إلىٰ طبيب فلما رآه أعرض عنه وقال: هذا يمكث ثلاثة أيام، فألقىٰ الله بباله أن يشرب ماء زمزم بنية، عملاً بالحديث، فقصدها فتضلع منها، فأحس بشيء في جوفه، فبادر إلىٰ جهة مدرسة قايتباي فأسهل كثيراً، ثم عاد وشرب وتضلع، ثم أسهل كذلك، فشفاه الله تعالىٰ. وبينما في بعض الأيام برباط ربيع يغسل ثوبه وإذا بالطبيب رآه فقال: أنت صاحب تلك العلة؟! قال: نعم، فقال: بم تداويت ؟ قال: بماء زمزم، فقال الطبيب: لَطَفَ بك الله.

وكان في باطن العارف بالله تعالىٰ الشيخ عبد الوهاب الشعراني دبلة قدر البطيخة، وكان قد أجمع حكماء مصر على أن يشقوا جنبه، ويخرجوها، فألهمه الله تعالىٰ أن يشربه بنية الشفاء، فحصل له بعد الشراب حرارة، طبختها وأخرجتها سوداء مقطعة مهبرة حتى ملأت طشتاً.

حُكي ذلك في العهود، والأخبار من هذا كثيرة، وهي مؤيدة للحديث السابق، مع أنه صحيح الإسناد كما سبق، ولم يصنف ابن الجوزي في ذكره في الموضوعات، لكونه إما صحيحاً وإما حسناً.

{١٦٨} [مزايا وفوائد زمزم]:

وذكر بعضهم أن أحد الأبدال مقيم بزمزم يُؤَمِّن لمن شرب منها ودعا عندها.

ومنها: أنه يبرد الحمى، ويذهب الصداع، ويقوي القلب، ويسكن الروع، ولذا قال الحافظ العراقي: إن الحكمة في غسل صدر النبي صلى الله عليه وسلم؛ ليقوىٰ بها على رؤية ملكوت السموات والأرض، والجنة والنار، وهي الأشربة المفرحة، وفيها ما في الأمراق من التغذية والتقوية.

ومنها: أن جميع المياه العذبة ترفع وتفور قبل يوم القيامة إلاّ زمزم. ذكره الضحاك.

ومنها: أنه كان يحلو في ليلة النصف من شعبان ويطيب، ويقال: إن عين السلوان تتصل بزمزم تلك الليلة، ويفيض ماؤها إلى رأس البئر، لكن لا يرىٰ ذلك إلاّ العارفون.

ومنها: أن من حثاه على رأسه لا تلحقه زلة أبداً. كما نقله الفاسي وغيره.

ومنها: أنه لا يجتمع هو وجهنم في جوف عبد. كما نقله المحب الطبري.

ومنها: أن النظر فيه عبادة، قال صلى الله عليه وسلم: «خمس من العبادة: النظر إلى المصحف، والنظر إلى الكعبة، والنظر إلى الوالدين، والنظر في زمزم، وهي تحط الخطايا، والنظر في وجه العالم[١]». رواه الدارقطني. وقيل: النظر إليها ساعة كعبادة سنة والنظر في بئرها يجلو البصر، ويحط الخطايا.

ومنها: اجتماع أرواح المسلمين فيها.

{١٦٩} [خصائص زمزم]:

كما ورَدَ لها أسماء كثيرة[٢]، ومنها: أنه لا يُرَدُّ ماؤها كما لا يرد الطيب،

---

(١) وأورده المناوي في الفيض ٣/٤٦٠.

(٢) «ومن أسماء زمزم: هزمة جبريل، وسقيا الله إسماعيل، وبركة، وسيّدة، ونافعة، ومضنونة، وعَونة، وبشرىٰ، وصافية، وبرّة، وعِصمة، وسالمة، وميمونة، ومباركة، وكافية، وعافية، ومغذية، وطاهرة، وقَرَمِيَّة، ومُروِية، ومُؤنسة، وطعام طُعْم، وشفاء سُقْم». هداية السالك ١/٧٩-٨٠.

ولا يشرب شيء من المياه قائماً إلاّ هو، وفضل وضوئه ومغاسله: أنه إذا خيف ضرر ماء يقول عليه: يا ماء ماء زمزم يقرئك السلام، فإنه يأمن ضرر ذلك الماء، ذكره الشيخ زَرُّوق في نصائحه.

والحاصل: أنه شراب الأبرار.

{١٧٠} [زمزم أفضل المياه]:

وسيد المياه وأفضلها كلها طباً وشرعاً، حتى قال بعض العلماء: هي أفضل من ماء الكوثر، إلاّ ما نبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم، وتوقف في كونه أفضل من ماء الكوثر بعضهم كالعلامة السيوطي، والفخر بن ظهيرة، وقد سئل الجلال السيوطي عن ذلك بما صورته:

يا غرة في جهـــة الدهـر أفتنـا   لا زلت تفتي كل مـن جال يسأل
في زمزم أو مـــاء كوثـر حشرنـا   ما منها يا ذا المعالي أفضــــل
جوزيت بالإحسان عنـــا كلنـــا   وبجنة المأوىٰ جزاؤك أكمــــل

فأجاب بما صورته:

لله حمدي والصلاة على النبـ   ـي محمد مَن لـلبرية يفضـــل
ما جاءنا خبر بذلك ثابـــت   فالوقف عن خوضٍ بذلك أجمل
هذا جواب ابن السيوطي راجياً   من ربه التثـــبيت فيما يسأل

ومال في رسالته (ساجعة الحرم) إلى تفضيل زمزم على الكوثر، وله قول ثالث بتفضيل الكوثر عليها؛ لأنه عطية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم خاصة، بخلاف زمزم فإنه عطية لإسماعيل عليه السلام؛ وللتصريح بالكوثر في القرآن

مع الإسناد إلى نون العظمة مع خصوصيته أنه من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

فإن قيل: هذه الفضيلة لعينه، أم للبقية ؟

فالجواب: أنها لعينه، وإلاّ لزم حصولها لغيرها لو حفرت بالمسجد، ولا قائل بهذا، أجاب الفخر العلامة ابن ظهيرة في منسكه والله أعلم.

وللشيخ العلامة بدر الدين أحمد بن محمد المصري أبيات في مدح زمزم، منها قوله:

شفيتَ يـا زمـزم داء السقيم   فأنت أصفىٰ ما تعاطىٰ النديم
وكـم رضيـع لـك أشـواقـه   إليك بعد الشيب مثل الفطيم

وقوله:

مـاء زمـزم الطيبة المخبر   يا من علت غوراً على المشتري

وقوله:

رضـيع أخـلافـك لا يشتهي   فطامه إلاّ لـدىٰ الكوثرى
بـالله قـولـوا لـنيـل مصر   بـأنـنـي عـنـه فـي غـنـائـي
بـزمـزم الـعـذب عـنـد بيت   مـخـلـق الـسـتـر بـالـوفـاء

{١٧١} [عيون زمزم]:

فائدة: أخرج الأزرقي: أن في بئر زمزم ثلاثة عيون: عين حذاء الركن الأسود، وعين حذاء أبي قبيس والصفا، وعين حذاء المروة[1].

(١) الأزرقي ٢/٦١؛ الفاكهي ٢/٧٤.

ونقل الفاكهي: عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، عن كعب الأحبار: أن العين التي من الحجر الأسود هي أغزر العيون الثلاثة.

قال الفخر بن ظهيرة رحمه الله تعالىٰ: إنها من عيون الجنة.

وقال بعضهم: عمق البئر ستة وستون ذراعاً، وعرض رأسها أربع في أربع بالذراع التي هي أربع وعشرون أصبعاً، وبينها وبين البيت ثلاثة وثلاثون ذراعاً[1].

{١٧٢} [آداب ودعاء شرب زمزم]:

تتمة: يستحب شرب ماء زمزم، والإكثار منه، والتضلع به، وينبغي لمن أراد شربه أن ينزع الدلو بنفسه إن تيسر، وأن يكون الدلو مما يلي الحجر الأسود، ويأخذ بيمينه، ويستقبل القبلة ويقول: اللهم إنه بَلَغَني عن نَبِّيك صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿ماء زمزم لما شرب له﴾ اللهم إني أشربه لكذا، ويعيّن مراده ويقول: بسم الله والحمد لله، والصلاة على رسول الله، وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا شرب ماء زمزم قال: اللهم إني أسألك

(١) بئر زمزم:

تقع على بعد ٢١م من الكعبة المشرفة، وأفادت الدراسات الحديثة أن العيون المغذية للبئر تضخ ما بين ١١ إلى ١٨,٥ لتراً من الماء في الثانية».. ومن العيون المغذية فتحة في اتجاه الحجر الأسود بطول ٧٥سم وارتفاع ٣٠سم ويتدفق منها القدر الأكبر من الماء وهناك فتحة باتجاه المكبرية بطول ٧٠ سم وارتفاع ٣٠سم، وفتحات صغيرة أخرى باتجاه الصفا والمروة. وفيما يلي معلومات عن البئر:

فتحة البئر تحت المطاف ١,٥٦م، عمق البئر من الفتحة ٣٠م، عمق مستوى الماء من الفتحة ٤م، عمق العيون المغذية ١٣م، من العيون إلى القعر ١٧م، القطر يتراوح بين ١,٤٦ و ٢,٦٦م . ولتوسعة المطاف أزيل البناء الذي كان يغطي البئر، ونقل مكان شرب ماء زمزم. انظر مكة المكرمة قديماً وحديثاً، ص ٧٨ وما بعدها.

علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كل داء، ـ وزادِ بعضهم ـ وسقم، واغسل قلبي من كل ذنب، واملأه من خشيتك، وارْوني يوم العطش الأكبر يا أرحم الراحمين، ويتنفس ثلاثاً، ويسمي الله تعالىٰ في ابتداء كل مرة، ويحمده في فراغها، ولا يشربه مجرِّباً بل مخلصاً.

ورُوِي عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: «كنت جالساً عند ابن عباس فجاءه رجل فقال: من أين جئت؟ قال: من زمزم، قال: فشربت منها كما ينبغي؟ قال: وكيف ينبغي؟ قال: إذا شربت منها فاستقبل الكعبة، واذكر اسم الله، وتنفس ثلاثاً، وتضلع منها، فإذا فرغت فاحمد الله»[1]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إن آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من ماء زمزم[2]﴾ رواه ابن ماجه واللفظ له، والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

{١٧٣} [الوضوء والغسل والاستنجاء بزمزم]:

قال في المنسك الكبير: ولا بأس بالاغتسال والتوضؤ بماء زمزم، ولا يكره عند الثلاثة خلافاً لأحمد، ثم عن أحمد أنه يكره، وقيل يحرم، وقيل يكره الغسل لا الوضوء.

وعن بعض أصحابه: يستحب الوضوء به، وينبغي أن لا يستعمل إلاّ على شيء طاهر على وجه التبرك وتجديد الوضوء.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٠٧/٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٠٦١)؛ والدار قطني ٨٨/٢ .

وأما إزالة النجاسة به كالاستنجاء ونحوه فذكر بعض العلماء تحريم ذلك، وبعضهم كراهته، ويقال: إنه استنجىٰ به بعض الناس فحدث به الباسور[١].

وذكر الفاكهي: «أن أهل مكة كانوا يغسلون موتاهم بماء زمزم، إذا فرغوا من الغسل تبركاً به»[٢]، وأن أسماء بنت أبي بكر غسلت ابنها عبد الله بن الزبير بماء زمزم رضي الله عنهم.

{١٧٤} [نقل زمزم]:

ويستحب نقله إلى البلاد، وروىٰ الترمذي عن عائشة رضي الله عنها: «أنها كانت تحمله وتخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحمله[٣]، وكان يصبه على المرضىٰ ويسقيهم، وأنه حنّك به الحسن والحسين[٤]».

(١) انظر: حاشية ابن عابدين، ٧/٤٧٥ (الطبعة المحققة) دار الثقافة والتراث (ط، الأولىٰ ١٤٢١هـ).
(٢) الفاكهي ٢/٤٨.
(٣) الترمذي (٩٦٣) وقال: «هذا حديث حسن غريب»؛ الفاكهي ٢/ ٤٩.
(٤) الفاكهي ٢/٤٩.

{١٧٥}

١١-[من أماكن الإجابة مقام إبراهيم عليه السلام]

مقام: أي مما يستجاب فيه الدعاء خلف مقام إبراهيم عليه السلام، إما مطلقاً على ما عرف، أو بقيد وقت السحر كما ذكره النقاش.

وهل ذلك بالقرب منه، أو بما يصدق عليه خلف المقام الذي خصه العرف بما فرش خلفه من حجارة الرخام؟ الأخير أنسب بمذهبنا.

وهل يختص بمن فرغ من ركعتي الطواف، أمْ لا؟ جزم المُلاَّ علي إلى الأول، والأحسن الإطلاق إنشاء الله تعالىٰ؛ لأن ذلك لشرف المحل، ولله الإكرام والفضل.

والمقام في اللغة: موضع قدم القائم. هي حجارة، وكان يقوم عليها [إبراهيم عليه السلام] حين نزوله وركوبه من الإبل حين يأتي إلى زيارة هاجر وولدها إسماعيل عليه السلام.

وذكر القاضي في تفسيره: أن الحجر الذي فيه أثر قدميه، هو الموضع الذي كان فيه حين قام ودعا الناس إلى الحج.

وقيل: لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف إبراهيم عليه السلام عن رفع الحجارة، قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه.

وقيل: إنه جاء زائرا من الشام إلى مكة، فقالت له امرأة إسماعيل: انزل حتى تغسل رأسك، فلم ينزل، فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الأيمن، فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه، ثم حولته إلى شقه الأيسر حتى

غسلت الشق الآخر، فبقىٰ أثر قدميه عليه، وهذا القول منسوب إلى ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم.

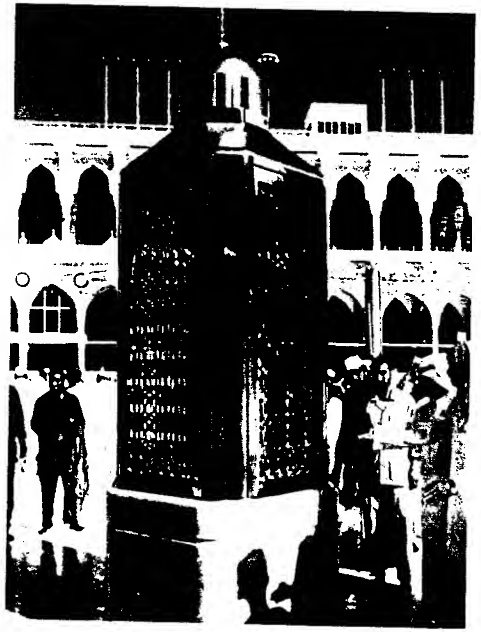
وذكر الأزرقي: «أنه لما فرغ من التأذين جعله قِبَلَهُ، فكان يصلي إليه مستقبل الباب»[1]، قال المُلاَّ علي: قال في البحر والذي رجحه العلماء أن المقام كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ملصقاً بالبيت، قال ابن جماعة: وهو الصحيح، وذكر الأزرقي: «أن موضع المقام هو الذي به اليوم في الجاهلية وعهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، وعمر رضي الله عنهما»[2]. انتهى.

والأظهر: أنه كان ملصقاً بالبيت، ثم أخر عن مقامه لحكمة هنالك تقتضي ذلك، وأيّاً، فالآية توجب أنه أين يوجد فهو المصلى وهو المدعىٰ ا.هـ كلامه.

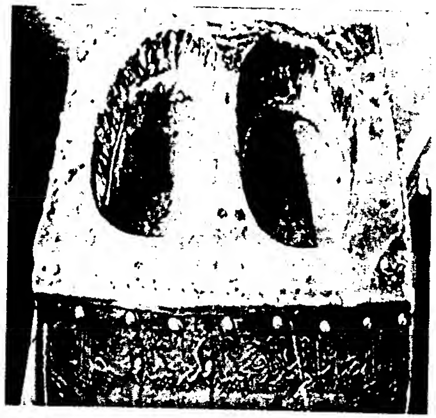
وقال المُلاَّ علي ـ رحمه الله ـ في الكبير: وأما ترجيح صاحب البحر لذلك القول فالله أعلم بمستنده في ذلك. قال ابن حجر ـ في شرح البخاري ـ : وقد روىٰ الأزرقي في أخبار مكة بأسانيد صحيحة: أن المقام كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر في الموضع الذي هو فيه الآن، حتى جاء سيل في خلافة عمر رضي الله عنه؛ فاحتمله حتى وجد بأسفل مكة، فأتى به فربط بأستار الكعبة حتىٰ قدم عمر، فاستثبت في أمره حتى تحقق موضعه الأول، فأعاده إليه فاستقر ثَمَّ إلى الآن، وروي عن بعض العلماء: أنه كان عند الكعبة موضع الحفرة ا.هـ.

---

(١) الأزرقي ٢/٣٠؛ الفاكهي ١/٤٤٣.
(٢) الأزرقي ٢/٣٦.



مقصورة مقام إبراهيم عليه السلام



مقام إبراهيم عليه السلام

أقول: ومستند صاحب البحر وغيره ما ذكر مالك في المدونة: أن المقام في عهد إبراهيم كان في مكانه اليوم، وكانت قريش في الجاهلية ألصقته بالبيت خوفاً من السيول، واستمر كذلك في عهده صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر، فلما ولّي عمر رضي الله عنه رده إلى موضعه الآن.

واعترضه المحب الطبري: بأن سياق حديث جابر الصحيح الطويل، وما روي نحوه يشهد لما قاله الأزرقي(١).

ورُدّ بأنه يمكن حمله على قول مالك، ولا منافاة بين ذلك والله أعلم بما هنالك. وذكر الأزرقي رضي الله عنه: أن ذرع المقام ذراع، وأن القدمين داخلان فيه سبعة أصابع(٢).

وروىٰ ابن جماعة: أنه حرّر مقدار ارتفاعه من الأرض: فكان نصف ذراع وربع وثمن، بذراع القماش المستعمل بمصر في زمنه، وأعلى المقام مربع من كل جهة نصف ذراع وربع، وموضع غوص القدمين ملبس بالفضة، وعمقه من فوقها سبع قراريط ونصف قيراط بالذراع المتقدم، وهذا آخر الكلام عليه(٣).

{١٧٦} [فضل المقام]:

وأما فضله فعظيم، قال تعالىٰ: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ﴾ [آل عمران: ٩٧].

---

(١) انظر: القرىٰ لقاصد أم القرىٰ ص ٣٤٤، ٣٤٥.

(٢) الأزرقي ٢/٣٩.

(٣) وتكملة تحرير ابن جماعة «.. والمقام اليوم في صندوق من حديد، حوله شباك من حديد ... وطول الشباك إلى جهة الكعبة خمسة أذرع إلاّ قيراطين .. ومن صدر الشباك الذي داخله المقام إلى شاذروان الكعبة عشرون ذراعاً وثلثا ذراع وثمن ذراع، وكل ذلك بالذراع المتقدم ذكره» هداية السالك ٣/١٣٥١.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وروي أن عمر ـ رضي الله ـ عنه قال: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلىٰ !(١) وقال عليه الصلاة والسلام: «لم أؤمر بذلك»، فلم تغب الشمس حتى نزلت هذه الآية. وهذه أحد المواطن التي وافقت عمر فيها رأيه.

وعنه عليه الصلاة والسلام: «من صلىٰ خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وحشر يوم القيامة من الآمنين(٢)» أخرجه في الشفاء، وفي المنسك الكبير.

{١٧٧} [فضل الصلاة خلف المقام]:

وإذا أتىٰ مقام إبراهيم عليه السلام فصلىٰ عنده ركعتين إيماناً واحتساباً، كتب الله له عتق أربعة عشر من ولد إسماعيل، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. وهو بعض حديث بريدة مرفوعاً:

«لما أهبط آدم إلى الأرض طاف بالبيت سبعاً، وصلىٰ خلف المقام ركعتين، ثم قال: اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي، وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي، وتعلم ما عندي فاغفر لي ذنوبي، اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي، ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لي، ورضّني بقضائك! فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: يا آدم إنّك دعوتني بدعاء استجبت لك فيه، وغفرت ذنوبك، وفرجت همومك وغمومك، ولن يدعو به أحد من

---

(١) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث وقال: «غريب بهذا اللفظ» ١/٨٠؛ وأخرجه البخاري بلفظ آخر (٤٢١٣).

(٢) أخرج نحوه الواحدي في تفسيره الوسيط كما ذكر الزبيدي في إتحاف السادة ٤/٣٥٩.

ذريتك من بعدك إلاّ فعلت ذلك به، ونزعت فقره من بين عينيه، واتجرت له من وراء كل تاجر، وأتته الدنيا وهي كارهة وإن لم يردها»[1] رواه الأزرقي، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في الدعوات وابن عساكر.

وورد أن آدم دعا ربه خلف المقام[2]، وفي رواية عند الملتزم، وفي أخرى: عند الركن اليماني.

ولا منافاة بين الروايات؛ لاحتمال أنه دعا ربه في المقامات.

فإن قلت: في نقل العلماء لدعاء آدم تفاوت في بعض الألفاظ فما سبب ذلك؟ أقول: لعل ذلك لاختلاف الروايات، والله أعلم.

{١٧٨} [أحكام ركعتي الطواف]:

تتمة: ينبغي إكثار الصلاة عند المقام إذا لم يؤذ أحدا من الأنام؛ لأنه من أعظم الأماكن التي صلّىٰ فيها صلّى الله عليه وسلم، خصوصاً ركعتي الطواف، فإنه يستحب مؤكداً أداؤهما خلفه[3]، وهو أفضل أماكنها، ثم الكعبة، ثم الحِجْر، ثم تحت الميزاب، ثم كلما قرب من الحجر إلى البيت ثم باقي الحجر، ثم ما قرب من البيت، ثم المسجد الأصلي، ثم باقيه، ثم الحرم كله إلى أعلامه، ثم لا فضيلة بل الإساءة.

(١) الأزرقي ٤٤/١، وأورده الهيثمي في المجمع وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه النضر بن طاهر وهو ضعيف» ١٨٣/١٠.
(٢) كما في رواة الأزرقي ٤٤/١؛ وأورده المحب الطبري في القرىٰ ص ٣١٧.
(٣) هذا إذا أمكن أداؤهما من غير أن يؤذي أو يؤذىٰ، وإلاّ فإنه يؤكد عدم أداء الصلاة خلف المقام، وبخاصة ما يحصل الآن من شدة الازدحام بسبب تعنت البعض في أداء الركعتين خلف المقام، مما يؤدي إلى الايذاء بالطائفين.

وهما واجبتان مطلقاً عندنا، ولا يؤديان في أوقات الكراهة على المذهب خلافاً لما اختاره الطحاوي[1].

ويستحب عند الأربعة أن يقرأ في الأولى: الكافرون، وفي الثانية: الإخلاص.

ويستحب أن يدعو بعدهما بدعاء آدم عليه السلام.

والسنة أن يوالي بينهما وبين الطواف، إلاّ في وقت مكروه، فلذا قالوا: لو طاف ثم صلى المغرب يصليهما قبل سنة المغرب.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه إذا أراد أن يركع خلف المقام، جعل بينه وبين المقام صفاً أو صفين، أو رجلاً أو رجلين. رواه عبد الرزاق.

والظاهر: أنه لرجاء مصادفة مصلىٰ سيد الخلق على الإطلاق.

{١٧٩} [بدع تقع في المقام]:

وأما ما أحدثه بعض الناس من إتيان المقام في وقت كراهة الصلاة، والوقوف عنده للدعاء مع استقبال القبلة أو المقام، فلا أصل له في السنة، ولا رواية عن فقهاء الأمة من الأئمة الأربعة، كذا قال الملا علي.

ونقل العلامة ابن خليل المالكي: أن الحجرين المفروشين خلف المقام اللذين يقف عليهما المصلي، صلىّ عليهما بعض الصحابة.

(١) صلاة ركعتي الطواف: واجب في وقت مباح فيه الصلاة لا كراهة فيه، وواجب أيضاً عند المالكية، وسنة عند الشافعية والحنابلة.
انظر: فتح القدير ١٨٠/٢؛ الشرح الصغير ٤٦/٢؛ مغني المحتاج ٤٨٥/١ وما بعدها؛ المغني ٤٤٠/٣ وما بعدها.

وقال: مسح المقام ومسّه وتقبيله ليس بسنة، إنما أمرنا بالصلاة عنده. وبحث فيه العلامة ابن ظهيرة فقال: كون المسح والتقبيل ليس بسنة، لا يمنع من الإتيان به على وجه التبرك، فمن فعل ذلك تبركاً، فالظاهر أنه لا بأس به فتأمل هذا. انتهى[١].

{١٨٠} [إنكار البدع]:

أقول: وما ذكره علماؤنا في المنع عن مسّ جدار الحجرة الشريفة وتقبيلها، وتقبيل القبر الشريف ونحوه؛ معللين بأن ذلك لم يفعله العلماء الأكابر، يؤيد ابن خليل ويؤذن بالمنع، والله أعلم.

---

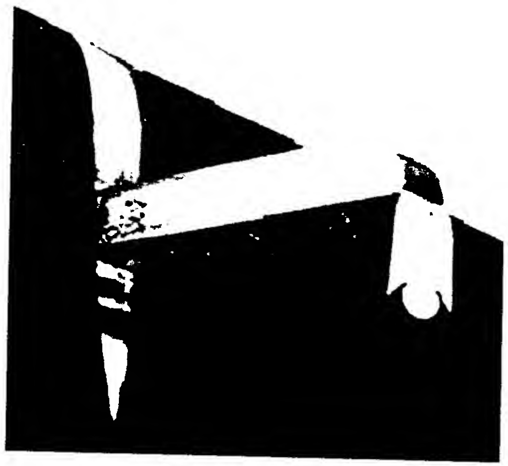
(١) الجامع اللطيف ص ٣٧.

{١٨١}

١٢-[من أماكن الإجابة الميزاب]

وميزاب[١]: أي ومما يستجاب فيه الدعاء تحت الميزاب، وهو معروف.

قال المُلا: الظاهر أنه من داخل الحِجْر، ويحتمل أن يراد به محاذيه من الطواف، وقيده النقاش بوقت السحر، ويمكن الإطلاق تعويلاً على عظيم فضل الخلاق، ويُروىٰ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أحد يدعو تحت الميزاب إلاّ استجيب له[٢]».



الميزاب

---

(١) وقياس الميزاب: طوله ٢,٥٣م، والظاهر منه خارجاً ١,٩٥م، وارتفاعه ٢٣سم، وعرضه ٢٦سم . انظر: تاريخ مكة المكرمة قديماً وحديثاً ص ٤٩.

(٢) الأزرقي ١/٣١٦.

ونقل ابن جماعة عن بعض السلف: من صلّىٰ تحت الميزاب ركعتين ثم دعا بشيء مئة مرة وهو ساجد استجيب له[١].

وعن عطاء بن أبي رباح: من قام تحت مثقب الكعبة ودعا استجيب له[٢].

والمثقب: مجرى الماء ومسيله.

ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «صلوا في مصلّىٰ الأخيار، واشربوا من شراب الأبرار، فقيل له: ما مصلّىٰ الأخيار، وما شراب الأبرار؟ فقال: تحت الميزاب، وماء زمزم»[٣]، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في الحِجر.

في رسالة الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ: إن إسماعيل عليه السلام شكىٰ إلى ربه ـ حَرَّ مكة، فأوحىٰ الله إليه: إني أفتح لك باباً من الجنة في الحِجر، يخرج عليك الرَّوح منه إلى يوم القيامة.

الروح ـ بفتح الراء ـ نسيم الريح.

وفيها عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه أقبل ذات يوم، فقال لأصحابه: «ألا تسألوني من أين جئت؛ فسألوه»، فقال: «كنت قائماً على باب الجنة». وكان قائماً تحت الميزاب يدعو الله عنده[٤].

(١) هداية السالك ١/٧٨.
(٢) مثير العزم الساكن ١/٣٧٩.
(٣) الأزرقي ١/٣١٦.
(٤) أوردها ابن جماعة في هداية السالك ١/٧٨.

ويروى أن أبا هريرة، وسعيد بن جبير، وزين العابدين رضي الله عنهم، كانوا يلتزمون ما تحت الميزاب من الكعبة. والحاصل أنه من أماكن الإجابة الفاضلة، ومما يرتجى فيه حصول الرحمة النازلة، أي تعتبر بما تقدم من الأماكن في حكم الإجابة، يعني: يستجاب عندها الدعاء مطلقاً.

{١٨٢}

١٣-١٤-١٥-[من أماكن الإجابة الجمرات]

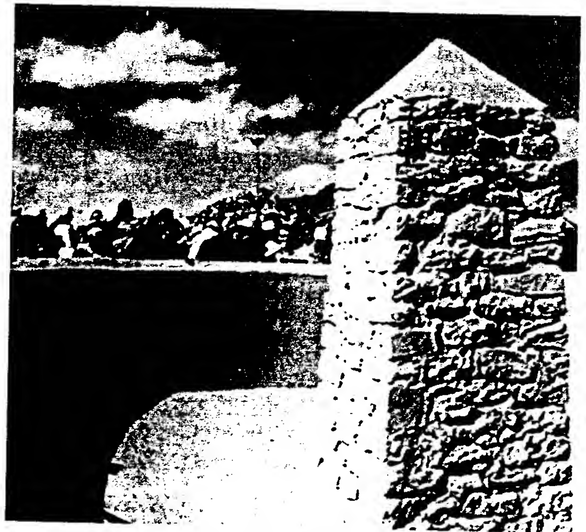
أو بعد الرمي، وعند طلوع الشمس، قال الملا علي: والظاهر تقييدها بأوقاتها المعروفة، أي: لأنه يمكن الدعاء مع المشي.

وأما الأولىٰ والوسطىٰ فأمرهما ظاهر؛ لأن الوقوف عندهما سنة. والجمار: ـ هي الصغار من الحجارة، ـ جمع جمرة، وبها سَمَّوا المواضع التي ترمىٰ جماراً وجمرات، لما بينهما من الملابسة من تسمية المحل بالحال، وقيل لجمع ما هناك من الحصىٰ، من تجمر القوم إذا تجمعوا، أو جَمَرَ شعره إذا جمعه على قفاه.

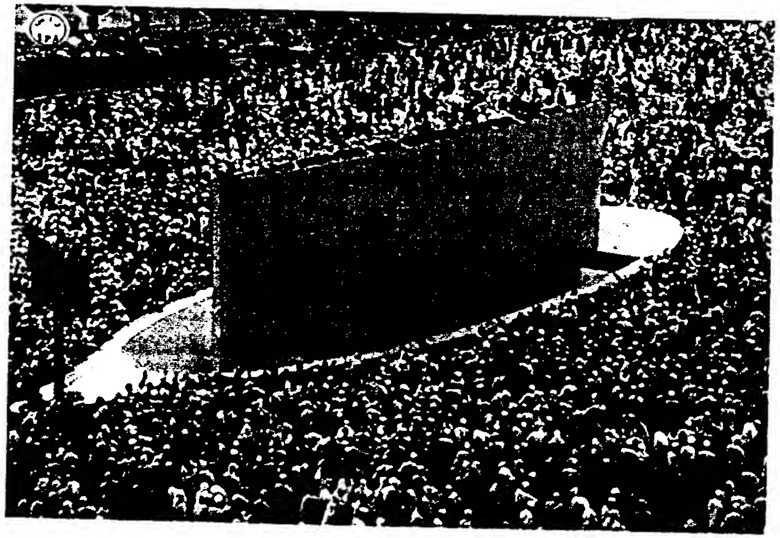
{١٨٣} [الحكمة من رمي الجمار]:

وهي من أماكن الإجابة ومنازل العبادة، و لا ينافيه ما رُوي من أن الرمي لطرد الشيطان ونحوه؛ لأن الحق أنه فعلٌ تعبّدي أُمِرْنا به، ولا ندرك حِكمته كالطواف، والسعي، وهو الصحيح الذي عوّل عليه المحققون من علمائنا والشافعية وغيرهم، ولذا قال بعضهم: لو كان القصد بالرمي النكاية لجاز بنحو النشاب، أو الإهانة لجاز بنحو البعر، أو الإكرام لجاز بنحو النقد، فلم يبق إلاّ التعبُّد المحض وإتباع النص وأخرج سعيد بن منصور أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن رمي الجمار؟ فقال: ﴿الله ربكم تكبرون ملّةَ أبيكم إبراهيم تتبعون، ووِجهةَ الشيطان ترجمون، وسنةَ نبيكم تتبعون[١]﴾.

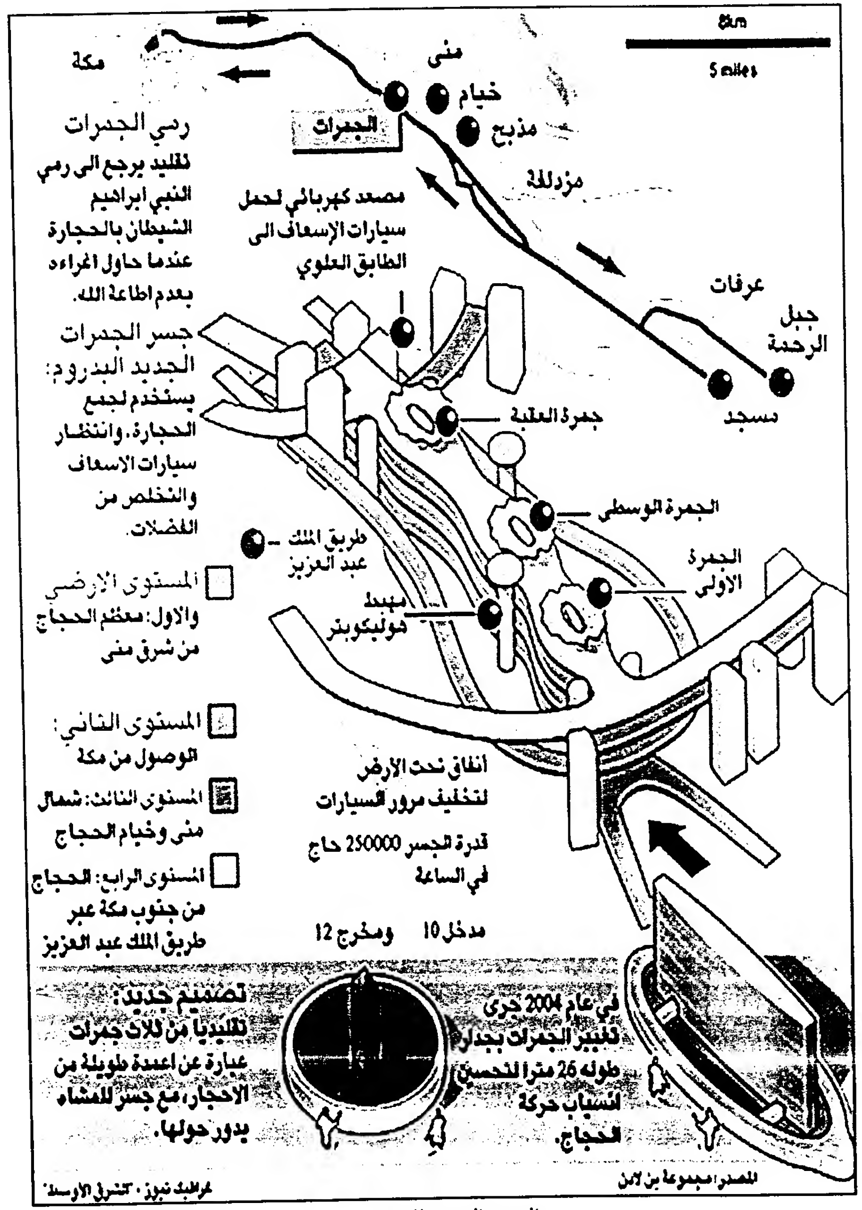
(١) رواها البيهقي عن ابن عباس موقوفاً ٥/١٥٣.



الجمرة (الدور العلوي) سابقا



الجمرة حديثا



الجسر الجديد للجمرات

{١٨٤} [تعليم جبريل المناسك للنبي صلى الله عليه وسلم]:

وأخرج الحاكم عنه وصححه: ﴿جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليريه المناسك، فانفرج له ثبير، فدخل منىً فأراه الجمار، ثم أراه جمعاً، ثم أراه عرفات، فنبغ الشيطان للنبي صلى الله عليه وسلم عند الجمرة الأولىٰ فرماه بسبع حصيات حتى ساخ[١]﴾، ونبغ ـ بنون فموحدة مفتوحات ـ أي ظهر، وساخ ـ بمهملة ثم معجمة ـ غَارَ في الأرض، وقوله: ﴿فانفرج له ثبير﴾ هذا في صراحة بأن ثبير عن يمين الذاهب وعن يساره، وبأن كُلاً منهما ثبير ولا خلاف حينئذٍ، ويقال: لأن ثبير اسم لثمانية أماكن: سبعة منها في مكة والحرم. كذا في شرح الشيخ إدريس.

وروى البيهقي وغيره: «أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لما أوتي بالمناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض»[٢].

{١٨٥} [فضل رمي الجمرات]:

ورُوي أن الكبش لما هرب من سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقف عند الجمرة! فرماه بسبع حصيات حتى أخذه، فصار سنة.

وفي حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ الذي رواه الطبراني والبزار وابن حبان في صحيحه: ﴿وأما رميك الجمار فلك بكل رمية حصاة رميتها تكفير

---

(١) أخر الحاكم في المستدرك ١/٦٥٠، وابن خزيمة في صحيحه ٤/٣١٥.
(٢) السنن الكبرىٰ ٥/١٥٣.

كبيرة من الموبقات[١]». وروىٰ أنس ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «أنه يغفر له بكل حصاة رماها كبيرة من الكبائر الموبقات الموجبات» رواه سعيد بن منصور[٢]. وهو وإن كان خلاف ما عليه الجم الغفير ففضل الله عظيم كبير.

{١٨٦} [أحكام الرمي]:

تتمة: المقصود من الجمار رميها، وهو واجب[٣].

---

(١) رواه البزار والطبراني في الكبير كما في المجمع ٣/ ٢٧٤.

(٢) ورواه البزار وفيه إسماعيل بن رافع وهو ضعيف كما في الزوائد ٣/ ٢٥٧، لكن له شواهد تعضد معنى الحديث، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رمي الجمار (جمرة العقبة يوم النحر، والجمار الثلاث أيام التشريق) واجب اتفاقاً، اتباعاً لفعل النبي ﷺ، قال جابر: « رأيت النبي ﷺ يرمي الجمرة على راحلته يوم النحر، ويقول: لتأخذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه» رواه أحمد ومسلم والنسائي كما في نيل الأوطار ٥/ ٦٥، والواجب في الحج: ما يقابل ركن الحج، باعتبار أن للحج عند الفقهاء أركاناً وواجبات وسنناً، فالركن أو الفرض: هو ما ثبت بدليل قطعي لا شبهة فيه، وفوت الركن يوجب الفساد والبطلان، كالوقوف بعرفة، وطواف الإفاضة (الزيارة).

أما الواجب: فهو ما ثبت بدليل فيه شبهة (وواجبات الحج مختلف فيها بين الفقهاء) والتي يجزئ بتركها الدم، وهي مثل: الوقوف بمزدلفة، ورمي الجمار، والحلق أو التقصير، وطواف الوداع عند الحنفية.

وعند المالكية: طواف القدوم، والوقوف بمزدلفة، ورمي الجمار، والحلق أو التقصير والمبيت بمنى.

وعند الشافعية: الإحرام من الميقات الزماني والمكاني، ورمي الجمار، والمبيت بمزدلفة، والمبيت بمنى، وطواف الوداع.

وعند الحنابلة: الإحرام من الميقات، والوقوف بعرفة نهاراً للغروب، والمبيت بمزدلفة، والمبيت بمنىٰ ورمي الجمار مرتباً، والحلق أو التقصير، وطواف الوداع.

انظر بالتفصيل: الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي ٣/ ٢١٤٦ـ ٢٢٤٤.

ومكانه: ثلاثة أذرع من الأرض، حول الشاخص من كل جانب[١]، فما وقع في الزائد على ذلك لا اعتبار به، وإذا أصاب الشاخص فليتنبه له، فإن كثيراً من الناس عنه غافلون.

{١٨٧} [وقت الرمي]:

ووقته: يوم النحـر من طلوع فجـره إلى فجر الثاني، وفي الثاني: إلى فجر الثالث، وفي الثالث: إلى الغروب، وقيل: فيهما من الفجر أيضاً، ورجحه شيخنا الشيخ رحمه الله تعالىٰ، وسبقه إلى ذلك كثير من محققي المتأخرين، والرابع: كالثالث.

{١٨٨} [صفة الحصاة]:

وعدد حصاه: سبع لكل واحدة، مثل النواة أو الباقلاء أو أكبر بيسير.

---

(١) والأمر مختلف تماماً الآن عن ما كان عليه الحال في أيام المؤلف رحمه الله تعالى، حيث حصلت توسعة عظيمة في الجمرات؛ تسهيلاً لأداء فريضة الحج، وذلك لكثرة الحجيج المطرد في الزيادة سنة عن أخرىٰ، مما أدىٰ إلى الازدحام الشديد المؤدي إلى الدهس والموت، فقد جددت الحكومة السعودية الجمرات ووسعتها وما حولها لمرات، وبصورة لا يتصورها الخيال، ولا زالت التوسعة مستمرة (سنة ١٤٢٧هـ) حتى تصل توسعة الجمرات وطريق المشاة إليها لعدة طوابق، وجهات مختلفة للمشاة، مما يقضي بإذن الله تعالى على ما يخافه الناس... وبفضل الله عز وجل ثم بجهود ولاة الأمر بالسعودية يأتي اليوم الذي لا نسمع فيه شيئاً من حوادث الجمرات المفجعة، ويصبح الماضي تاريخاً بإذن الله تعالى، مع كتابة التاريخ لجهود ولاة الأمر بالحكومة السعودية بمداد من الذهب، لسعيهم الحثيث وجهودهم المشكورة لإقامة المشروعات العظيمة لتسهيل وتيسير أداء فريضة الحج، في جميع المشاعر والطرق المؤدية إليها، وطرق مرور الحاج بين مكة والمدينة بل في جميع أنحاء المملكة، فجزاهم الله تعالى عن المسلمين خير الجزاء وأجزل لهم المثوبة.

{١٨٩} [الشرط في الرمي]:

والشرط: الرمي أو الطرح، لا الوضع، وأن يكون ما يرمي به من جنس الأرض، وأن يكون متفرقاً، ويُكره أن يأخذ حجراً كبيراً فيكسره، مع أنه يجوز.

{١٩٠} [كيفية الرمي]:

وكيفيته في اليوم الأول: أن يأتي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس ـ وهو السنة ـ يستقبلها، ويرفع يديه بحيث يرى إبطه ويقول: بسم الله أكبر رغماً للشيطان وحزبه، ورضىً للرحمن، اللهم اجعله حجاً مبروراً، وسعياً مشكوراً، وذنباً مغفوراً، ويفعل هكذا مع كل حصاة.

وفي الثاني: يذهب بعد الزوال ويأتي للجمرة الأولى من أسفلها إلى ورائها، ويقف مستقبل القبلة، ويجعل أكثر الجمرة عن يمينه، ويرمي كما تقدم.

وإذا فرغ تقدم إلى أمامها من جهة اليسار مستقبلاً، ويدعو بما تيسر له ولوالديه ومشايخه والمسلمين، ويطيل الوقوف بالإخلاص بقدر عشرين آية وأكثر، من غير أن يؤذي أحداً؛ لأنه من أماكن الإجابة.

وكذا يفعل في الثانية إلا أنه يقف بعدها إلى جهة اليمين؛ كيلا يؤذي ولا يُؤْذَى.

ويرمي الثالثة كاليوم الأول، ولا يقف، وكل رمي بعده رمي فالركوب فيه أفضل، وما لا فلا.

وإلى هنا انتهى الكلام على بيتي صاحب النهر، وهذا تكلم في الزيادة.

{١٩١}

١٦-[منى من أماكن الإجابة]

{١٩٢} [تعريف منى][1]:

يصرف فيكتب بالألف، وإذا منع من الصرف فيكتب بالياء، والغالب التذكير والصرف، وجزم الجوهري بتذكيره وصرفه[2]، وأنشد على تذكيره:

سقى منىً ثم رَوَّاه وساكنه ومن ثوى فيه واهي الودق مغتبق

وجاء في تأنيثه للفرحي:

ليومنا بمنىً إذ نحن ننزلها أَسَرُّ من يومنا بالعرج أو طلل

وهي قرية بينها وبين مكة فرسخ[3].

---

(١) ومنىٰ: تذكر وتؤنث بحسب القصد إن قصد الموضع فمذكر، وإن قصد غير الموضع فمؤنث، وإن ذُكّر صُرف وكتب بالألف، وإن لم يذكر لم يصرف وكتب بالياء، والمختار تذكيره و تنوينه. قاله النووي. انتهى.

(٢) قال الجوهري: «منى مقصور: موضع بمكة، وهو مذكر يصرف» الصحاح (منى).

(٣) ومنى «شعب طويل يبتدئ من ضفة وادي (مُحسِّر) الغربية، وينتهي بجمرة العقبة، ويحيط به جبلان: الجنوبي منهما اسمه الصابح، والشمالي ثبير الأثِبرة، ووجها هذين الجبلين مما يلي منى منها» نيل المآرب ٢٥٨/٢.

ويبعد منى عن المسجد الحرام (٧كم) (ومنى من الحرم بلا خلاف) وقد امتد البنيان حتى أصبح منى حياً من أحياء مكة المكرمة .

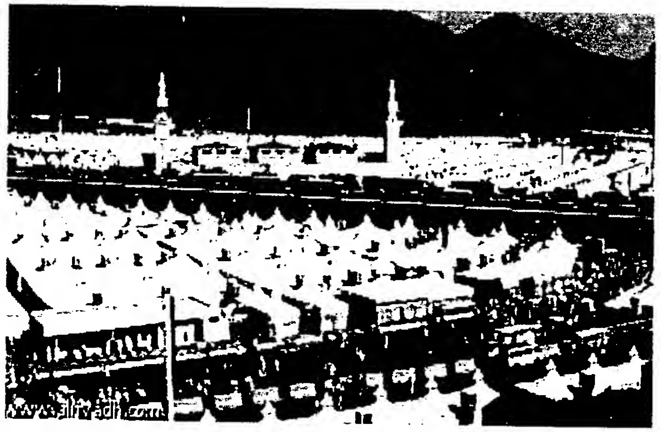
{١٩٣} [سبب التسمية بمنى]:

سميت بذلك؛ لما يمنى فيها من الدماءِ، أي: يراق، وهو المشهور الذي ذكره جمهور اللغويين وغيرهم، أو لأن جبريل ـ عليه السلام ـ لما أراد أن يفارق آدم، قال له: تَمَنَّ! قال: أتمنى الجنة، فسميت بذلك لأمنية آدم. كذا قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أي: لما يمنى أي يقدر، أو لاجتماع الناس بها؛ لأن العرب تسمى كل مجتمع للناس منى، أو لِمَنِّ الله تعالىٰ على الخليل بفداء ابنه عليهما السلام، أو لِمَنِّ الله تعالىٰ على عباده بالمغفرة، أو غير ذلك.

والمراد أنه يستجاب الدعاء فيها مطلقاً، أو في نصف ليلة البدر ـ على ما قاله النقاش ـ أو ليالي التشريق كلها؛ لأنها من الأماكن الشريفة والمنازل المنيفة، وظاهره أن جميع أماكنها محل الإجابة؛ لأنها من المشاعر العظام ومنازل الأنبياء الكرام، ومجمع الأولياء والحُجاج، ودعواتهم مستجابة، فالدعاء هناك مستجاب بفيض فضل الوهاب لاسيما في أثناء العبادة، خصوصاً في مسجد الخيف.

وهل يختص ذلك بأيام المناسك أو يعم جميع السنة؟

كِلا الأمرين ممكن، والفضل واسع.



خيام ضد الحريق في منى

{١٩٤} [فضل أعمال منى]:

ومنى مكان شريف، وله فضل منيف، فمن فضلها: ما شرعه الله من العبادة التي يحصل بها أجر عظيم فيها.

وروي عن أنسَ ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: أنه يُغفر له بكل حصاة رماها كبيرة من الكبائر الموبقات الموجبات. رواه سعيد بن منصور[١].

وتقدم عن زيد بن أرقم مرفوعاً في الأضحية: «بكل عضو حسنة قالوا: والصوف؟ قال: بكل شعرة من الصوف حسنة[٢]». رواه ابن ماجه.

وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها: «فإنه يغفر لك عند أول قطرة تقطر من دمها كل ذنب عملتيه» الحديث. رواه الحاكم مصححاً[٣].

---

(١) رواه البزار وفيه إسماعيل بن رافع وهو ضعيف كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧٥/٣.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣١٢٧)؛ والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٢٦١/٦.

(٣) المستدرك ٢٤٧/٤.

[وهذا]... وإن كان ليس من خصوصيات منى، فقد يقاس عليه ثواب هدي القِران والتمتع والتطوع، والله أعلم.

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿للحالق بكل شعرة سقطت عن رأسه نور يوم القيامة﴾. رواه ابن حبان[1].

وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال للأنصاري ـ الذي سأله عن مشاعر الحج ـ: ﴿إن لك بكل شعرة حلقتها حسنة، ويمحىٰ عنك بها خطيئة، قيل: يا رسول الله، فإن كانت الذنوب أقل من ذلك؟ قال: إذاً يدخر لك ذلك﴾. رواه أبن سعيد[2].

وروى ابن الحاج في منسكه عن أبي سهل بن يونس ـ الرجل الصالح ـ أنه قال: ﴿كأني في سفينة تجري على وجه الأرض، [فقلت: سبحان الله، سفينة تجري على وجه الأرض!!] فقال: فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقفزت من موضعي وقلت: يا رسول الله استغفر لي، فقال لي: حججت؟ فقلت: نعم، فقال: حلقت رأسك بمنى؟ قلت: نعم، قال: رأسٌ حُلقت بمنىٰ لا تمسه النار أبداً[3]﴾.

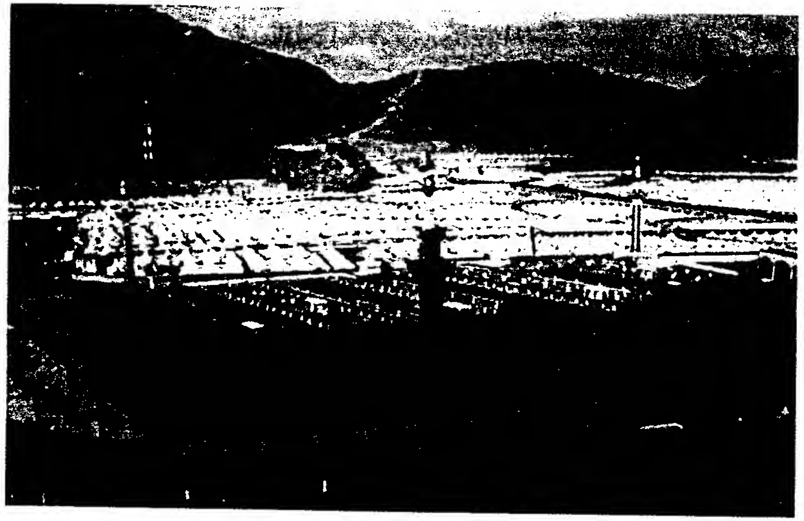
ومن ذلك ما فيها من المآثر الشريفة، ولو لم يكن إلا ذلك لكفىٰ.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٥/٢٠٧.

(٢) انظر: مجمع الزوائد ٣/٢٧٥، وسبق تخريجه .

(٣) أورده ابن جماعة في هداية السالك ١/٩٩، ١٠٠.



مسجد الخيف

{١٩٥} [فضل مسجد الخَيْف]:

فأعظم مآثرها: مسجد الخيف وهو معروف مشهور[1]، وسمي به لأنه ناحية من منى، والخيف: الناحية، أو لأنه هبوط وارتفاع في سفح الجبل، أو لانحداره عن غلظ الجبل، وارتفاعه عن مسيل الماء، والخيف كذلك.

وهو مسجد عظيم الفضل، ووردت في فضله أحاديث، فمنها ما أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد:

---

(١) مسجد الخيف ـ بفتح الخاء وسكون الياء ـ وكان هذا المسجد موضع اهتمام وعناية الخلفاء والأمراء والملوك على مر التاريخ، وآخر تعمير وتوسعة لهذا المسجد العظيم كانت في سنة ١٤٠٧هـ: وهي توسعة خادم الحرمين الشريفين (الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله تعالى) فزيد في المسجد مساحات شاسعة، فأصبحت مساحة المسجد أضعاف أضعاف ما كان عليه قبل ذلك، كما أضيفت المرافق الهامة لراحة الحجاج بمشعر منى، حيث يقضي الحجيج معظم أوقات الحج بمنى.

مسجد الخيف، والمسجد الحرام، ومسجدي[١])﴾. وإسناده ضعيف كما نص عليه الحفّاظ، وإنما ذكرته لغرابته، ولجواز العمل به في فضائل الأعمال، كما ذكره النووي وغيره من علماء الحديث. كذا قال الشيخ محمد بن جابر الظهيري.

وأخرج أيضاً في الكبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «صلّىٰ في مسجد الخيف سبعون نبياً، منهم موسىٰ» رواه الأزرقي أيضاً[٢]، وعن مجاهد: «خمسة وسبعون نبياً».

وأنه قال: «وإن استطعت أن لا تفوتك الصلاة فيه فافعل»[٣].

وفي مسند البزار، من حديث عبد الله بن العاص ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿(في مسجد الخيف قبر سبعين نبياً[٤])﴾. وروى الفاكهي بسنده إلى عروة بن الزبير: أن آدم عليه السلام دفن بمسجد الخيف بعد أن صلّىٰ عليه جبريل بمكة بالكعبة.

{١٩٦} [فضل الصلاة بمسجد الخيف]:

وروى العلامة صاحب القاموس في كتابه (الوصل والمُنَى في فضل مِنى) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يقول: «لو كنت من أهل مكة لأتيت مسجد منى كل سبت»، وذكر ابن ظهيرة أن سنده جيد. وروى الأزرقي عن أبي هريرة بلفظ: «لو كنت من أهل مكة لأتيت مسجد الخيف كل سبت»،

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/٣٣٧.

(٢) الطبراني في المعجم الكبير ١١/٤٥٢ وقال الهيثمي: «رواه الأوسط وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط» ٣/٢٢٦؛ الأزرقي ١/٦٩.

(٣) رواه الفاكهي في أخبار مكة ٤/٢٦٨، وقال محققه (إسناده حسن).

(٤) وأورده الهيثمي في المجمع وقال: رجاله ثقات ٣/٢٩٧.

وقال الحميدي: حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا الدفرة، قال: ذكر ابن جريج عن عطاء: أنه سمع أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ يقول: «لو كنت امرءًا من أهل مكة ما أتىٰ علي سبت حتى آتي مسجد الخيف فأصلي فيه»[١].

{١٩٧} [الإنكار على المنكرات]:

قال العلامة ابن حجر المكي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : في هذا إشعار بشرفها، ولا يؤخذ منه ندب ذلك؛ لتوقفه على صحته عن أبي هريرة، وأنه لا يقال رأياً، فمن أخذ ذلك عن الغفلة عما ذكرنا، فهو جاهل ضال، كيف وقد ترتبت على ذلك من المفاسد الواقعة في السبت المشهور بمنى ما يتعين على كل ذي قدرة السعي في إزالته، وكف من يغتر العامة به عن الذهاب إليه؛ معتلاً بقصد الزيارة والبركة، غافلاً عما فيه من الإعانة على المعصية وإيقاع غيره في الضلال والهلكة. انتهىٰ[٢].

فانظر يا أخي في هذا الكلام ما أقربه إلى الصواب وأحراه برأي ذي الألباب الذين كشف الله عن قلوبهم رين الحجاب، لاسيما على مذهبنا، يعرف ذلك من له اطلاع على الأحوال المكفرات ونحوها، مع ذكر ما في حضور الوليمة المُشَابة بمعصية، ومعاصي ذلك اليوم عامة في سائر منى، يعرف ذلك من شاهده وعاينه. فنسأل الله العفو والسلامة!

{١٩٨} [مصلى النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد]:

وأما تعيين مُصلّى النبي صلى الله عليه وسلم منه، فعند المحراب الذي في القُبّة الذي في وَسَط المسجد، فإنه بني في موضع أحجار كانت هناك،

(١) رواه الأزرقي ٢/١٧٥.

(٢) رواه الفاكهي في أخبار مكة ٤/٢٦٧ وقال محققه «إسناده حسن».

وكان مصلاه صلى الله عليه وسلم عندها، والقُبّة هي المسجد الأصلي، قيل: إنه محل الأنبياء، ومصلى الأخيار، وفيه قبر آدم عليه السلام، وأمّا ما زاد على القبة فمن زيادة الملك الأشرف قايتباي.

وأخرج الأزرقي عن خالد بن مضرس، أنه رأى أشياخاً من الأنصار يتحرون مصلاه صلى الله عليه وسلم أمام المنارة قريباً منها، وقال عن جده: الأحجار التي بين يدي المنارة هي موضع مصلىّ النبي صلى الله عليه وسلم، لم نزل نرى الناس وأهل العلم يصلون هنالك، ويقال له مسجد العيشومة كنت فيه أبداً خضراء في الجدب والخصب بين حجرين من القبلة وتلك العيشومة قديمة لم تزل ثَمَّ. انتهى[1]. ولا وجود [لها] الآن.

{١٩٩} [غار المرسلات]:

ومنها: غار المرسلات، وهو قريب من مسجد الخَيْف، معروف مشهور، نزلت فيه سورة المرسلات، وفي صحيح البخاري في باب ما يقتله المحرم من الدواب من رواية ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم في غارٍ بمنى إذ نزلت ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾ وإنه ليتلوها وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها، إذ وثبت علينا حية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اقتلوها! فابتدرنا فذهبت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وقيتْ شركم، كما وقيتم شرها[2]». ومن عجيب ما اتفق أن صاحب القاموس دخله وجماعةٌ فقراءُ في المرسلات، فخرجت عليهم حية، فابتدروا لقتلها، فهربت.

(١) أخبار مكة للأزرقي ٢/١٧٥.
(٢) أخرجه البخاري (١٧٣٣).

وروى ابن جبير: «أنه صلى الله عليه وسلم جلس بهذا الغار مُستظلاً فيه، فمس رأسه الكريم الحجر فَلَأن حتى أثر فيه تأثيراً بقدر دورة الرأس»، فصار الناس يبادرون بوضع رؤوسهم في هذا الموضع تبركاً واستجارة لرؤوسهم بموضع مسه الرأس الكريم، أن لا تمسه النار برحمة الله تعالىٰ[1].

{٢٠٠} [مسجد السَّرَر]:

ومنها مسجد السرر، ويسمى بمسجد عبد الصمد بن علي لكونه بناه، وهو بين محسر ومنى في شرقيها، قال أبو سعيد الحسن ابن الحسين السكري: السَّرَر: على أربعة أميال من مكة عن يمين الجبل بطريق منى، وكان عبد الصمد بن علي اتخذه مسجداً؛ لأن به شجرة، ذكر أنها سر تحتها سبعون نبياً، ولا يعرف الآن إلا جهته، والسَّرَر - بكسر السين وفتح الراء - كـ «عِنَب» على ما في القاموس. وقال ابن حجر في شرح الإيضاح: والسرر: مثلث السين، جمع سرة - وبعد الباقي بعد القطع[2] - وهو محل شريف.

روى مالك والنسائي وغيرهما عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا كنت بين الأخشبين من منىٰ - ونفخ بيده نحو المشرق - فإن هناك وادياً يقال له: وادي السِرَر، به سَرحة سر تحتها سبعون نبياً[3]»..[4]

(١) ولا أثر لهذا المسجد الآن، إلا أنه كان «مشهوراً بمنىٰ خلف مسجد الخيف نحو الجبل، كذلك يأثره الخَلَف عن السلف والله أعلم» كما ذكر المحب الطبري في القرىٰ ص ٥٤٠.
وبفضل الله عز وجل اندثرت البدع التي وجدت بمنىٰ في تلك الأيام كما ذكر المؤلف وغيره - في عهدهم - مع شدة النكير على مرتكبيها والدعوة لإزالتها.
(٢) قوله «سُرّ تحتها»: أي قطعت سررهم، والسرر: ما تقطعه القابلة من المولود، والباقي بعد القطع يقال له السُرّة، والمقطوع السرر والسُرّ أيضاً بالضم، والمراد: أنهم ولدوا تحت تلك السرحة، والموضع التي هي فيه يُسمىٰ وادي السرر. القرىٰ لقاصد أم القرىٰ ٥٤٠.
(٣) موطأ مالك ١/٤٢٣؛ النسائي (٢٩٩٥)؛ صحيح ابن حبان ١٤/١٣٧.
(٤) وحصل هنا إقحام لعبارة طويلة ما يساوي اثني عشر سطراً: حيث جاء بعد الحديث «وابن

(سبعون نبياً) أي قطعت سررهم، يعني: أنهم ولدوا تحتها، والسرحة: الشجرة العظيمة، وهي غير موجودة الآن، بل ولم يعرف موضعها.

{٢٠١} [مسجد النحر]:

ومنها مسجد النحر: وهو بين الجمرة الأولىٰ والوسطىٰ على يمين الذاهب إلى عرفة، يقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم صَلىّ فيه الضُحى، ونحر هديه عنده، كذا وجد في حجر مكتوب فيه.

{٢٠٢} [مسجد الكبش]:

ومنها مسجد الكبش: على يسار الصاعد إلى عرفة، بسفح ثبير، وهو مشهور سُمي به؛ لأنه ذبح فيه الكبش الذي فدى به إسماعيل وإسحاق عليهما السلام[١] على الخلاف.

أبي الموالي ثقة روى له البخاري في صحيحه فصح الحديث والحمد لله انتهى.

وفيه تأملٌ وبيّنٌ وجهه، والحاصل: أن الحديث فيه كلام كثير، وقد ألف الحافظ بن حجر فيه جزءاً، وحاصل ما ذكره أنه مختلف فيه، فضعفه جماعة وصححه آخرون، قال: والصواب انه أحسن لشواهده، وقال العلقمي في شرح الجامع الصغير: قال شيخنا ـ يعني الجلال السيوطي ـ : هذا الحديث مشهور على الألسنة كثيراً، و اختلف الحفاظ فيه، فمنهم من صححه، ومنهم من حسنه، ومنهم من ضعفه، والمعتمد الأول، وجازف من قال حديث «الباذنجان لما أكل منه» فإن حديث الباذنجان موضوع كذب، وروى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً: «ماء زمزم لما شرب له، فإن شربته تستشفي شفاك الله، وإن شربته مستعيذاً أعاذك الله، وإن شربته لتقطع ظمأك قطعه الله، وإن شربته لشبعك أشبعك الله، وهي حزمة جبريل وسقيا إسماعيل». ومما بلغ من الصحة والحسن أنها شفاء سقم رواه». ويدل أن العبارة مقحمة من الناسخ؛ لأن موضوعها في (فضل زمزم) وقد سبق ذكرها في موضعها، فوجودها هنا إقحام لا محل لها، ولذلك حذفت العبارة هنا، واكتفيت بالتنبيه. والله أعلم.

(١) الأزرقي ٢/١٧٥.

ونقل الفاسي عن الفاكهي: ما يقتضي أن الكبش نُحِر بين الجمرتين، ويؤيده ما أخرج الطبراني عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : «(أن النبي صلى الله عليه وسلم نحر في منحر الخليل عليه السلام الذي نحر فيه الكبش المفدىٰ)»، ثم قال: وذلك في سفح الجبل المقابل له، يعني لثبير، فيكون ذلك عند مسجد النحر المتقدم ذكره. والله أعلم.

وفي البيضاوي: قيل كان كبشاً من الجنة، وقيل: كان وعلاً أهبط إليه من ثبير.

{٢٠٣} [موضع محاولة ذبح سيدنا إسماعيل]:

وأما موضع سيدنا إسماعيل للذبح، فقال البيضاوي: كان ذلك عند الصخرة، محلٌ بمنى، أو في الموضع المشرف على مسجده، أو المنحر الذي ينحر فيه اليوم.

{٢٠٤} [مسجد عائشة رضي الله عنها]

ومنها مسجد عائشة رضي الله عنها: وهو بسفح ثبير أيضاً فوق مسجد الكبش، وهو غار لطيف، عليه بناء دائر، ويسمى: معتكف عائشة، وبيت أم المؤمنين.

{٢٠٥} [مغارة الفتح]:

ومنها مغارة الفتح: هي في سفح ثبير قريباً من معتكف عائشة، أنشأها صاحب القاموس رحمه الله تعالىٰ.

{٢٠٦} [جبل ثبير]:

ومنها: جبل ثبير، ويسمى: ثبير الأثبرة، وعرف بذلك؛ لأنه أعلاها وأطولها، قيل: إنما سمى ثبير باسم رجل من هذيل دفن فيه، وهو على يسار الذاهب إلى عرفة، وقيل على يمينه.

وقد تقدم ما يشير إلى إمكان الجمع بين القولين، وقد ذكروا في اللغة أن ثبيراً اسم لسبعة أماكن بمكة وما في بلاد مزينة، وهو جبل عظيم، أحدُ شظايا جبل الطور، الذي تجلى له الرب، وكان صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه قبل النبوة [أمام] ظهور الدعوة؛ ولذا جاورت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أيام إقامتها بمكة، كذا ذكره صاحب القاموس.

ومن فضله ما قاله القاضي عياض، والسهيلي في الروض: ﴿إن قريشاً لما طلبوا النبيَ صلى الله عليه وسلم، كان على ظهر ثبير، فقال: اهبط عني يا رسول الله، فإني أخاف أن تقتل وأنت على ظهري، فيعذبني الله. فناداه حراء: إليَّ يا رسول الله﴾.

وذكر بعض العلماء: أن مما يستجاب فيه الدعاء بمنى مسجد الخيف، وذكر النقاش: في ثبير الأثبرة، وفي مسجد الكبش، ومسجد النحر[١].

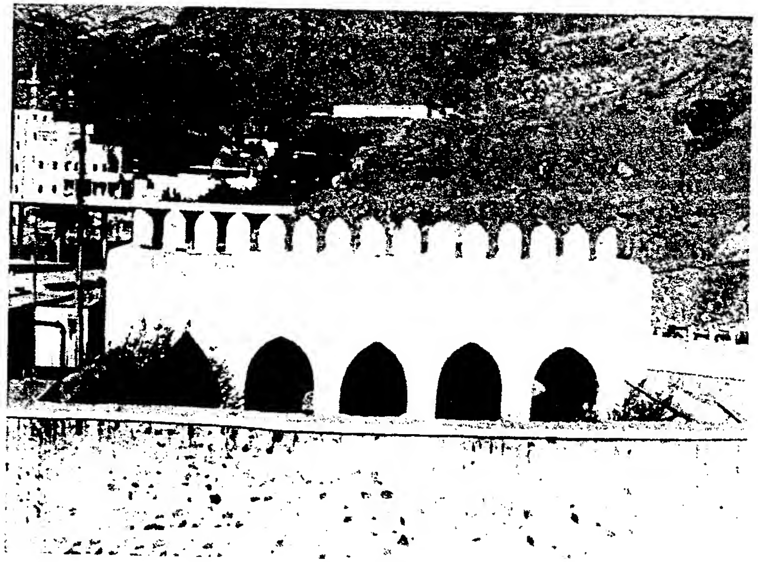
{٢٠٧} [مسجد البيعة]:

وذكر ابن الجوزي: مسجد البيعة، وغار المرسلات، ومغارة الفتح؛ لأنها من ثبير.

ومما قرب منهما مسجد العقبة، ويسمى مسجد البيعة، وهو في شِعبٍ

(١) راجع ما سبق ذكره في فضل هذه المساجد.

علىٰ يسار الذاهب إلى منى قبل العقبة بيسير، وهو معروف، وهو الذي بايع النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار فيه بحضرة عمه العباس، ولعله إنما سمي بمسجد العقبة لقربه منها، وإلا فليس على العقبة مسجد مأثور[١].



مسجد البيعة

{٢٠٨} [خصائص منى]:

ومن خصائصها: أن حصى الجمار على كثرته وتزايده في كل عام ينمحق ويذهب، ويرى على قدر واحد، وقد ورد إنّ ما تُقُبِّل رفع، ولولا ذاك لصار آكاماً.

ومنها أن اللحوم تشرق في ثبير من أماكنها وهي محروسة بحفظ الله تعالىٰ

(١) والمسجد معروف ومشهور على بعد أمتار من يسار العقبة ملاصق للجبل وبناؤه عثماني قديم، جدد وظهر الآن بعد التوسعة لساحة الجمرات الحديثة أكثر.

من الطيور مع ما يشاهد من [الحِدْآن][1]، مع انقضاضها لخطف ما تراه من شيء أحمر بيد إنسان أو رأسه، وهي تحوم عليها ولا تستطيع أن تأخذ منها شيئاً.

ومنها: أن الذباب لا يقع في أيامها على شيء من الطعام ولو عسلاً، بل ولا يحوم عليه مع كثرة العفونات الجالبة له، وإذا مضت أيامها تهافتت على ذلك حتى لا يطيب طعام لطاعم.

ومنها: اتساعها للحجيج، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله! إنَّ أمرَ مُنى لعجيب هي ضيّقة، فإذا نزلها الناس اتسعت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «منى كالرحم إذا حملت وسعها الله»[2].

ومنها: أن البعوض كثيرة جداً بها طول السنة، إلا في أيام الموسم، فيقل جداً، بل لا يوجد، وإن وجد القليل فلا يؤذي، كما قال العلامة بن ظهيرة وجرّبه.

والحاصل: أن منىٰ محل شريف، ومنزل لطيف، وقد تغزل الشعراء والأخيار فيها وفي خيفها بأشعار: فمن ذلك ما قاله الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله:

بوادي منى نلنا المنا إذ تبسمت	ليال وأيـام مِـلاَح المباسم
سـرور بعيد واجتـماع أحبة	وقـرب وقـربـان وعـز مواسم

(١) في الأصل (الحدات) جمع الحِدأة «طائر من الجوارح ينقض على الجرذان والدواجن والأطعمة ونحوها» وجمع الحَدَأة: حدأ وحداء، وحدآن» كما في المعجم الوسيط (حدأه).

(٢) «رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه من لم أعرفه» كما قال الهيثمي في المجمع ٢٦٥/٣.

ولبعضهم:

مـا لقلبي مـا يقـر قـراره	حتى تُقَضّى من منى أوطـارُه
ما ذاك إلا من تلهب شـوقه	يسبيه من وادي منى تذكـارُه
يا حادي الأظعان إن جزت الحِمىٰ	سـلِّم على من بالمحـصّب دارُه
واشرح لهم ما يلتقى مشتـاقه	من فرط شـوق أحرقتـه نارُه
يصبو إلى ذكر الحطيم وزمزم	والركن والبيت المكرم جـارُه

ولآخر رحمه الله تعالىٰ:

أيا حادي الأظعان جُزْ بي على منىٰ	وبـرد لظىٰ أحشاي بالجمرات
وقِفْ بي على ذاك المقـام فإن لي	بـه أربـاً أقضيـه قبل وفاتي
ومُرْ بي إلى البيت العتيـق وخلني	لديه ومـا أبديـه من زفراتي

والمجنون بني قيس العامري:

ولم أرَ ليلىٰ غير موقف ساعة	بخيف منىٰ ترمي جمار المحصب
وتبدي الحصى منها إذا قذفت بها	من البُرد أطراف البنان المخضب
فأصبحت من ليل الغداة كناظر	مع الصبح في أعقاب نجم مغرب

ومن ذلك قول ابن الجوزي:

سقىٰ منى ولياِلي الخَيْفِ ما شربت	مـن المياه وحيَّـاهـا وحيَّـاكِ
الماء عندك مبذول لشاربـه	ولا تُـرويـك إلا دمعة الباكي
ثم انثنيـنـا إذا ما هزنا طرب	على الرحال تعللنا بذكـراكِ

وله أيضاً رحمه الله تعالىٰ:

فلما قضينا من منى كل حاجة ... ومسّح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطي الأباطح
بكينا على ما كان من زمن الهوىٰ ... ولم يعلم الغادي بمن هو رايح[1]

(١) انظر الأبيات: الجامع اللطيف لابن ظهيرة، ص ٣١٤، ٣١٣.

{٢٠٩}

١٧-[من أماكن الإجابة الركن اليماني]

يمان، أي مما يستجاب فيه الدعاء عند الركن اليماني، وأيضاً ما بين الركنين، وقيده النقاش بوقت الفجر، والإطلاق هو الظاهر. والله أعلم.

وهو من الأماكن العظيمة، وله فضل كبير قال في العهود المحمدية، وروى الإمام أحمد بإسناد حسن والطبراني مرفوعاً: ﴿أن الركن اليماني يوم القيامة أعظم من أبي قبيس، له لسان وشفتان﴾، زاد في رواية الطبراني: يشهد لمن استلمه بالحق، هو يمين الله عز وجل التي يصافح بها خلقه[2]. وروى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ما مررت بالركن اليماني إلا وعنده ملك ينادي آمين آمين، فإذا مررتم به فقولوا: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار[3]﴾.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «ملكان يؤمنان»[4].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: ﴿وُكِّل بالركن اليماني سبعون ملكاً، من قال: اللهم إني أسالك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار. قالوا: آمين[5]﴾.

(١) انظر الأبيات: الجامع اللطيف لابن ظهيرة، ص ٣١٤،٣١٣.
(٢) الإمام أحمد في المسند، ٢/١١؛ والحاكم في المستدرك ١/٤٥٧، وضعفه الذهبي في تلخيصه.
(٣) أخرجه الأزرقي ١/٣٣٨؛ الفاكهي ١/١٤٠.
(٤) الأزرقي ١/٣٥.
(٥) أخرجه ابن ماجه بإسناد ضعيف (٢٩٥٧).

قال الشيخ ابن جماعة: ولا تعارض بين الأحاديث على تقدير الصحة[١]، إذ يحتمل أن السبعين موكلون به، لم يكلفوا التأمين، وإنما يؤَمّنون عند سماع الدعاء، والملكان كُلفا قول آمين.



الركن اليماني

وروى الحاكم أنه صلى الله عليه وسلم قال: «ما انتهيت إلى الركن اليماني قط إلا وجدت جبريل عنده. فقال: قل يا محمد! قلت: وما أقول؟ قال: اللهم إني أعوذ بك من الكفر، والفاقة، ومواقف الخزي في الدنيا والآخرة. ثم قال

(١) وعلق محقق كتاب الهداية لابن جماعة (الدكتور نور الدين عتر) هنا بقوله: «وأشار المصنف رضي الله تعالىٰ عنه بهذا إلى ضعف الأحاديث التي ذكرها بشأن دعاء المَلَك عند الركن اليماني، وإن كانت تدل على فضل الدعاء عنده، وذلك ثابت بأدلة أخرىٰ صحيحة، وتثبت هذه الأحاديث بجملتها فضل الدعاء عند الركن اليماني، كما أن تأمين الملائكة على دعاء المؤمن عامة ثابت في الأحاديث المشهورة الصحة، ولا يدعو الإنسان على نفسه إلا بخير .. » بهامش هداية السالك ١/٦٢.

جبريل: إن بينهما ألف مَلَك، فإذا قال العبد هذا، قالوا: آمين». قال العلامة ابن حجر: قوله (سبعون) كذلك رأيته، فإن صح فهو على حذف ضمير الشأن، أو على ألْفٍ. انتهى.

وعن عطاء قال: يا رسول الله إنك تكثر من استلام الركن اليماني؟! قال: «ما أتيت عنده قط إلا وجبريل قائم عنده يستغفر لمن يستلمه[١]».

وعنه صلى الله عليه وسلم قال: «عند الركن اليماني باب من أبواب الجنة، والركن الأسود باب من أبواب الجنة».

وعن مجاهد: «ما من إنسان يضع يده على الركن اليماني ويدعو إلا استجيب له، وإن بين الركن اليماني والركن الأسود سبعين ألف ملك لا يفارقونه هم هنالك منذ خلق الله البيت[٢]».

{٢١٠} [استلام الركن اليماني]:

تتمة: استلام الركن اليماني مستحب في كل شوط.

واستلامه: لمسه بكفيه، أو بيمينه دون يساره ـ كما يفعله الجهلة والمتكبرة، ـ من غير تقبيل ولا سجود عليه، وقال محمد: هو سنة، ويُقبّله مثل الحجر الأسود.

قال في البحر: والدلائل تشهد له، وعن محمد: يستلمه ويقبل يديه ولا يقبله، ولا خلاف في أن تقبيله ليس بسنة، وإن عجز عن استلامه لا يشير إليه إلا على رواية عن محمد[٣].

(١) الأزرقي في أخبار مكة، وقال المحقق «إسناده ضعيف» ١/ ٤٧٠.
(٢) الأزرقي، وقال المحقق: اسناده حسن، ١/ ٤٧٠.
(٣) واستلام الركن مسنون عند الإمام مالك، والشافعي، وأحمد، ومحمد بن الحسن الشيباني

ويستحب أن يدعو عنده بدعاء آدم عليه السلام، وبالوارد المتقدم وبما تقدم في أدعية الطواف.

وأما الركنان الآخران: فلا يستلم واحداً منهما عند جمهور أهل العلم.

من الحنفية رحمهم الله تعالى، وذهب أبو حنيفة وأبو يوسف رحمهما الله تعالى إلى القول: بأنه مندوب. كما اتفقت المذاهب الأربعة على أنه لا يقبّله، ولا يسجد عليه.

وذهب الحنفية: إلى أنه لا يقبل يديه أو يمينه بعدما استلم الركن اليماني، ولا يشير إليه عند العجز عن الاستلام باليدين.

وقال المالكية: إن لم يستطع لمْس الركن بيده كبّر ومضىٰ.

وعند الشافعية: لا يقبّل الركن اليماني، ولكن يقبل ما استلم به الركن اليماني بعد الاستلام ويشير إليه عند العجز عن الوصول.

وقال الحنابلة: يشير عليه عند العجز. الحج والعمرة للعتر ص ٨٦؛ انظر منسك الكرماني ١/٣٩٩؛ هداية السالك ٢/٨٢٥.

والخلاصة: أنه يستلم الركن اليماني في آخر كل شوط، ولا يقبله؛ لأنه لم ينقل، لما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (كان صلى الله عليه وسلم لا يستلم إلا الحجر والركن اليماني).

{٢١١}

١٨-[حالة رؤية البيت من مواطن الإجابة]

رؤية البيت الأغر، أي: مما يستجاب الدعاء فيه، المكان الذي أول ما يرى البيت منه، وتقدم أنه من أحوال الإجابة، ولا مانع أن يكون في كليهما، والمراد أنه يستجاب في كل مكان يراه.

وهل هو مختص بالقادم من سفر أو بالمتلبس بالنسك؟، أم لكل راءٍ عند قصده له، أو رؤيته من غير قصد إليه؟ والله أعلم بغيبه.

وروى الطبراني عن أبي هريرة: «(يستجاب دعاء المسلم عند رؤية الكعبة[1])»، وهو وإن كان سنده ضعيفاً فيعمل به في الفضائل.

وقد ذكر في المناقب: أن أبا حنيفة ـ رحمه الله تعالىٰ ـ أوصىٰ رجلاً يريد السفر إلى مكة أن يدعو الله عند مشاهدة البيت باستجابة دعائه، فإذا استجيبت هذه الدعوة صار مستجاب الدعوة.

{٢١٢} [ما ينبغي فعله عند رؤية الكعبة]:

ويُسَنُّ التكبير والتهليل والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند رؤية البيت للقادم بالنسك، لحديث جابر رضي الله عنه[2]: «(أنه صلى الله عليه

---

(١) الطبراني في الكبير ٨/١٩٩؛ السنن الكبرى للبيهقي ٣/٣٦٠.

(٢) لعله أراد بذلك: ما رواه ابن خزيمة (عن المهاجر قال: سئل جابر عن الرجل الذي يرى البيت يرفع يديه؟ فقال: ما كنت أرى أحداً يفعل هذا إلا اليهود، وقد حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن يفعله). صحيح ابن خزيمة ٤/٢٠٩، وحسنه النووي في المجموع ٨/١٠، وقال الطحاوي في مختصر اختلاف العلماء: «فحديث جابر

وسلم كبر ثلاثاً وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، سبحان الله والحمد لله، ثم قال بلا رفع يد على المذاهب: اللهم زد بيتك هذا تعظيماً وتشريفاً وتكريماً وبراً ومهابة، ويقول: أعوذ برب البيت من الكفر والدَّين والفقر، ومن ضيق الصدر وعذاب القبر، ويدعو بما بداله».

ومن أهم الأدعية: طلب [تيسير] [1] الحساب، وينبغي أن يقول ذلك عند أول كل رؤية والأعز الأنور.

أولىٰ .. فانتفىٰ بذلك رفع اليدين عند رؤية البيت». ١٣٢/٢، والمسألة مختلف فيها بين الفقهاء بسبب ما ورد في ذلك من آثار، انظر بالتفصيل القرىٰ لقاصد أم القرىٰ ص ٢٥٥ وما بعدها، وروى البيهقي في السنن الكبرى جزءاً من هذا الدعاء. ٧٣/٥.

(١) في الأصل (طلب الحساب) والسياق يدل على حذف كلمة، ويدل عليه أيضاً الدعاء عند رؤية البيت (..... أسألك أن ترحمني، وتقيل عثرتي، وتغفر ذنبي، وتضع عني وزري برحمتك يا أرحم الراحمين)، كما نقل الكرماني عن جماعة من التابعين. منسك الكرماني، ٣٨٢/١.

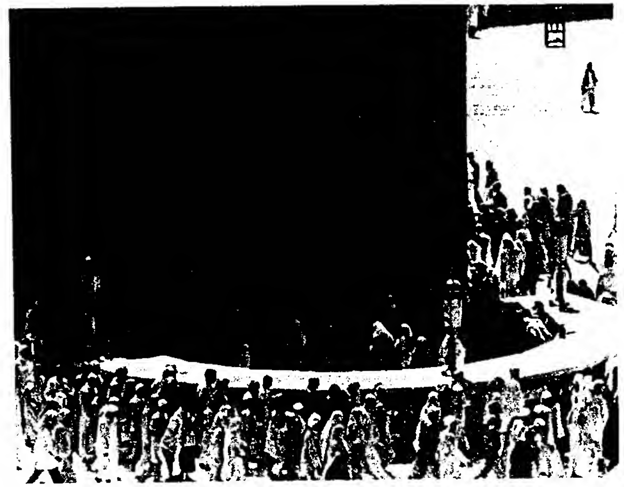
{٢١٣}

١٩-[إجابة الدعاء في الحِجْر]

وحِجْر، أي: مما يستجاب فيه الدعاء بجميع الحِجْر، لا خصوص تحت الميزاب فقط، والحِجر ـ بكسر الحاء ـ عَرْصَة مرخمة عليها جدار على صورة نصف دائرة خارجة عند جدار البيت في جانب الشمال، ذرعه من جدار الكعبة، الذي فيه الميزاب إلى مالا يقابله خمسة عشر ذراعاً، وما بين الفرجتين سبعة عشر وقيراطان[1]، وأول من رخمه العباس في سنة أربعين ومائة لمَّا حَجَّ، في بعض ليلة، ثم جدد بعد ذلك مراراً: وهو الحطيم عندنا، وسمي حِجْراً؛ لأنه حجر من البيت، أي: منع من الدخول فيه، وحطيماً؛ لأنه حطم من البيت، أي: لأنه كسر منه، أو لأن من دعا عليه فيه حطمه الله كما جاء في الحديث[2]، وهو من أفضل أماكن الإجابة؛ لأنه كله أو بعضه من البيت.

(١) الحِجْر ـ الحطيم ـ حجر إسماعيل: هو بناء مستدير على شكل نصف دائري، ارتفاعه ١,٣١م، وعرض جداره من الأعلى ١,٥٢م، ومن أسفل ١,٤٤م، وهذا البناء مغلف بالرخام، وأحد طرفيه محاذ للركن الشامي والآخر محاذ للركن الغربي. وسعة الفتحة التي بين طرفه الشرقي وآخر الشاذوران ٢,٣٠م وسعة الفتحة الأخرىٰ التي بين طرفه الغربي ونهاية الشاذوران ٢,٢م والمسافة التي بين طرفي نصف الدائرة ثمانية أمتار. والأرض التي بين جدار الكعبة الشمالي وبين الحطيم (هي المعروفة بالحجر) وهي مفروشة بالرخام، وفي أعلى الجدار الشمالي في منتصفه الميزاب الذي وضع لتصريف ماء المطر الذي ينزل على سطح الكعبة. انظر: مرآة الحرمين ٢٦٦/١ ؛ الجامع اللطيف ص ١٣٢.

(٢) روى الأزرقي: «قال ابن جريج: الحطيم ما بين الركن والمقام وزمزم والحِجْر، وسمي هذا الموضع حطيماً لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالأيمان، ويستجاب فيها الدعاء للمظلوم على الظالم، فقلّ من حلف هنالك كاذباً إلا عجلت له العقوبة، وكان ذلك يحجز الناس عن المظالم، فلم يزل ذلك كذلك حتى جاء الإسلام، فأخر الله تعالى ذلك لما أراد إلى يوم القيامة» ٢٣/٢-٢٤.



الحِجْر (الحطيم)

{٢١٤} [أحاديث إدخال الحطيم في الكعبة]:

وروي: أن عائشة رضي الله عنها نذرت لئن فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم [مكة لتصلين في الكعبة] فأخذ بيدها وأدخلها الحطيم، وقال: ﴿صلّي هاهنا فإن الحطيم من البيت، إلاّ أن قومك قصرت بهم النفقه فأخرجوه من البيت، ولولا حدثان قومك بالجاهلية لنقضت بناء البيت، وأظهرت قواعد الخليل وأدخلت الحطيم في البيت وألصقت العتبة بالأرض، وجعلت له باباً شرقياً وباباً غربياً، ولئن عشت إلى قابل لأفعلن ذلك[١]﴾. فلم يعش ولم يتفرغ لذلك أحد من الخلفاء الراشدين، حتى كان في زمن عبد الله بن الزبير ـ وكان سمع الحديث منها ـ ففعل ذلك وأظهر قواعد الخليل عليه السلام، وبنىٰ البيت على قواعد الخليل صلى الله عليه وسلم بمحضرٍ من الصحابة وأدخل الحطيم، فلما قُتِل، كره الحَجّاج بناء الكعبة على ما فعله ابن الزبير فنقض بناءها، وأعاده على ما كان عليه في الجاهلية.

(١) أخرجه البخاري (١٥٠٧)؛ ومسلم (١٣٣٣).

{٢١٥} [سبب إخراج قريش الحطيم]:

كذا ذكره مشايخنا في كتبهم، وسبب إخراج قريش له كما قيل: أنه لما قصرت نفقتهم كرهوا أن يدخلوا فيه شيئاً من المال الخبيث، ورأوا أن إخراج ذلك أهون من إدخال الخبيث فيه، وكان ذلك قبل البعثة بخمس سنين[١].

ورُوي عنها أيضاً قالت: كنت أحب أن أدخل البيت فأصلي فيه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي وأدخلني الحِجْر، وقال: ﴿صلي فيه إن أردت دخول البيت، فإنما هو قطعة من البيت[٢]﴾.

{٢١٦} [قدر الكعبة في الحطيم]:

وعنها أيضاً: ﴿سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحِجْر هل هو من البيت؟ قال: نعم﴾، وكان هذا يدل على أن جميعه من البيت. والصحيح: أن ستة أذرع منه من البيت أو ما يقارب السبعة، كما جاء مصرحاً في حديثها الآخر، ﴿لولا قومك﴾ إلى أن قال: ﴿ولزدت فيه ستة أذرع من الحجر، تركتها قريش لقصر النفقة﴾.

وفي آخر عنها ﴿فهلمي لأريك ما تركه قومك، فأراها قريباً من سبعة أذرع[٣]﴾؛ لأنه يحمل المطلق المتقدم على هذا المقيد، وإطلاق اسم الكل على البعض جائز على سبيل المجاز، كما أشار إليه المحب الطبري[٤].

وعن هذا قال ابن العربي: خلصنا الله به من ضيع سَدَنَة الكعبة.

(١) انظر: الجامع اللطيف لابن ظهيرة، ص ٨١ وما بعدها.
(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٢٨)؛ والترمذي (٨٧٦) وقال (حسن صحيح).
(٣) انظر بالتفصيل: مسلم، باب النقص الكعبة وبنائها (١٣٣٣).
(٤) الجامع اللطيف ص ١٣٠.

{٢١٧} [فضل الحطيم]:

ومن فضله ما رُوى عن علي رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي هريرة: ﴿إن على باب الحِجْر مَلَكاً يقول لمن دخله وصلى فيه ركعتين: مغفوراً لك، امض فاستأنف العمل، وعلى بابه الآخر ملك منذ خلق الله الدنيا إلى يوم يرفع الله البيت، يقول لمن صلّى فيه وخرج: مرحوماً إن كنت من أمة محمد تقيّاً[١]﴾.

ومن فضائله أن فيه قبر إسماعيل وأمه هاجر عليهما السلام.

وفي البحر العميق لابن الضياء عن الفقيه إسماعيل الحضرمي أنه لما حج سأل المحب الطبري عن ثلاث مسائل: الحفرة الملاصقة للكعبة، وعن البلاطة الخضراء التي في الحجر، وعن القبرين اللذين يرجمان بأسفل مكة عند جبل البكاء؟، فأجاب: بأن الحفرة مصلى جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم، والبلاطة الخضراء قبر إسماعيل عليه السلام، ويشبر من رأسها إلى ناحية الركن العراقي مما يلي باب بني سهم ستة أشبار، فعند انتهائها يكون رأس إسماعيل عليه السلام، وأما القبران المرجومان فهو: أن البيت الشريف أصبح يوماً في دولة بني العباس، وقد لطخه رجلان بالعذرة، فقبض عليهما أمير مكة، واستأذن الخليفة في أمرهما، فأمر بصلبهما في هذا الموضع وصارا يرجمان إلى الآن[٢].

{٢١٨} [أحكام الحجر]:

تتمة: لا يجوز استقبال الحِجْر في الصلاة عوضاً عن الكعبة، وإن قلنا

(١) الجامع اللطيف لابن ظهير ص ١٣٠.
(٢) البحر العميق، ١/ ١٩٨.

إن بعضه من البيت أو كله؛ لأن ذلك بالظن[١]، وأما الصلاة في القدر منه من البيت، فقال العلامة أبن ظهيرة: حكمها حكم الصلاة في الكعبة، يجرى فيه الخلاف المذكور فيها، والطواف به واجب[٢]، وإتيان الحجر والصلاة فيه مستحب، وينبغي أن يقول إذا دخله: يا رب أتيتك من مسافة بعيدة فأنلني معروفاً من معروفك، تغنيني به عن معروف من سواك، يا معروفاً بالمعروف.

(١) قد سبق في الحديث الصحيح: ﴿... ولزوت فيه ستة أذرع من الحجر﴾ أو ﴿.. فأراها قريباً من سبعة أذرع﴾، وذكر ابن ظهير «أما ذرعه: فمن جدر الكعبة الذي فيه الميزاب إلى جدار الحجر المقابل له خمسة عشر ذراعاً» ص ١٣٢، ومن ثم تظهر الزيادة في الحجر عن الكعبة.
(٢) الجامع اللطيف ص ١٣٢.

{٢١٩}

٢٠-[السدرة بعرفات]

ولدىٰ السدرة، أي: ومما يستجاب فيه الدعاء، عند السدرة بعرفات، أي: تحتها وبقربها بوقت الظهر، أو علىٰ الإطلاق، وهي لا تُعرف اليوم ولا محلُّها.

عشرون غرر، أي: عدتها عشرون محلاً نيرات لما يستجاب فيه من الدعوات، وهذا ما ذكره الحنفية في المناسك، وليس فيه حصر، فلا ينبغي أن [لا] يكون هناك أخر يستجاب فيها الدعاء؛ لأن الحرم مكان شريف، حتى قال بعضهم: إن الدعاء يستجاب في جميعه.

{٢٢٠} [مواضع أخر يستجاب فيها الدعاء]:

ونقل بعضهم عن الإمام أبي بكر بن محمد بن الحسن النقاش رحمه الله: أنه يستجاب الدعاء في أربعين بقعة بمكة بعضها مؤقت، وبعضها مطلق، فذكر منها ما تقدم نظماً في متنها.

ومنها: عند الدخول من باب بني هاشم. قال الشيخ إدريس: وهو باب السلام، والمعروف بباب بني هاشم هو باب علي.

وفي دار خديجة ليلة الجمعة.

وفي مولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين عند الزوال.

وفي دار الخيزران بين العشاءين.

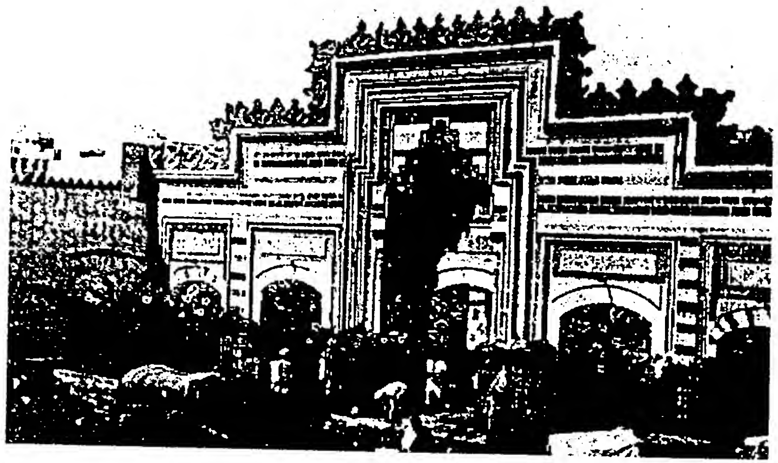
وفي مسجد الشجرة يوم الأربعاء.

وفي المتكأ غداة الأحد.

وفي جبل ثور عند الظهر.

وفي حراء مطلقاً.

وذكر الشيخ أبو سهل النيسابورى: أن المواضع التي يستجاب فيها الدعاء بالمسجد الحرام خمسة عشر، وعد منها: باب بني شيبة، يسمىٰ الآن باب السلام، وهو معروف.



باب السلام في البناء العثماني

وذكر بعضهم في المناسك ما يدل على أنه العقد الذي خلف المقام.

وباب إبراهيم خياط عنده، ونسبه إلى الخليل بعده.

وباب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو المعروف بباب الحريرين، ويسمى باب الجنائز، وقيل إنه هو باب السلام.

وباب الصفا.

ومجاور المنبر حيث يقف المحمديون والله أعلم[١].

{٢٢١} [فضل الحرم وفضائله]:

خاتمة: ختم الله لنا بالحسنى، اعلم أن كل ما قدم يرجع إلى الحرم الشريف، فينبغي الكلام عليه وعلى شيء من فضله وفضائله، وخصائصه وفضل أهله.

{٢٢٢} [حدود الحرم]:

أما الحرم: فهو ما أحاط بمكة من جوانبها إلى الحدود، وسمي بذلك لحرمته.

وفي سبب كونه حرماً أقوال:

{٢٢٣} [أنصاب الحرم]:

إما أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض خاف على نفسه من سكان الأرض، وهم يومئذٍ الجن والشياطين، فبعث الله ملائكة يحرسونه، فوقفوا

(١) بعض هذه الأماكن سبق ذكرها، وبعضها ملحقة بأبواب المسجد الحرام؛ حيث أثر باستجابة الدعاء عند مشاهدة البيت كما سبق، فكان الداخل إلى المسجد من هذه الأبواب يشاهد الكعبة؛ لذا ضمنت إلى مواضع الإجابة ـ والله أعلم.

ونوع ثالث ضمن مواضع من الحرم الشريف، حيث تعبد النبي ﷺ فيها، ونزل الوحي في بعضها فبوركت، مثل دار خديجة ﵂؛ فقد ذكر (المؤلفون عن فضائل مكة) عنها: «وهو أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام» كما ذكر الطبري في القرى ص ٦٦٤، وغيره.

في موضع أنصاب الحرم من كل جانب، فصار ما بينه وبين وقوفهم حرم.



أحد أنصاب الحرم (القديمة)

أو لأن الحجر الأسود لما وضعه الخليل عليه السلام في الكعبة حين بناها أضاء يميناً وشمالاً، وشرقاً وغرباً، فحرم الله عز وجل من حيث انتهى النور.

أو لأنه لما أهبط اللهُ البيتَ إلى آدم وهو من ياقوتة حمراء تلتهب التهاباً، وله بابان شرقي وغربي، فأضاء نوره ما بين المشرق والمغرب، ففزع لذلك سكان الأرض، ورَقَوا في الجوّ ينظرون من أين ذلك النور، فلما رأوه من مكة أقبلوا إليه، فأرسل الله الملائكة فقاموا في مكان الأنصاب فمن ثم ابتدأ اسم الحرم[١].

(١) الأزرقي ٢/١٢٨ـ ١٢٩.

وقال السهيلي رحمه الله: روي في تفسيرٍ أن الله تعالىٰ لما قال للسموات والأرض ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت]، لم يجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم؛ فلذلك حرمها، فصارت حرمتها كحرمة المؤمن، إنما حرم دمه وعرضه وماله بطاعته لربه، وأرض الحرم لما قالت أتينا طائعين، حرم صيدها وشجرها وخَلاها، فلا حرمة إلا لذي طاعة، جعلنا الله من أهل طاعته.

{٢٢٤} [تجديد الأنصاب]:

وأول من نصبها: الخليل عليه السلام بتوقيف جبريل عليهما السلام، ثم جددها قُصي بن كلاب بعده، وقيل: بل جددها إسماعيل بعد أبيه عليهما السلام، ثم قُصَي بعده، وقيل: أول من نصبها عدنان ابن الدحيل؛ لخوفه أن يُدْرَسَ الحرمُ، ثم نزعتها قريش بعد ذلك، والنبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة قبل الهجرة، فاشتد ذلك عليه، فجاءه جبريل وأخبره أنهم سيعيدونها، فرأى عدة من قريش في المنام كأن قائلاً يقول: حَرمٌ أعزكم به ومنعكم نزعتم أنصابها، الآن تخطفكم العرب، فأعادوها، فأخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: هل أصابوا في ذلك؟ فقال: ما وضعوا نصباً إلا بيد مَلَكٍ، ثم جددت عام الفتح بأمره صلى الله عليه وسلم، وجددت أيضاً في زمن عمر، وعثمان، ومعاوية، وعبد الملك بن مروان، والمهدي العباسي[١].

{٢٢٥} [خصائص الحرم]:

وأما فضله فقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [العنكبوت ٦٧] وقال: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص].

(١) الأزرقي ٢/١٣٠.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة فقال: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل إلا ساعة من نهار فهو حَرَمٌ بحرمة الله تعالىٰ إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاه» إلى آخر الحديث، فقال العباس رضي الله عنه: إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم، فقال: «إلاّ الإذخر»، متفق عليه[١].

{٢٢٦} [الحرم آمن]:

ولفظ الصحيحين: ولا يعضد شجرها، يعني: مكة والمراد: إلا الحرم، وهذا يدل: على أن الحرم كان آمنا منذ خلق الله السمٰوات والأرض، وهو الصحيح.

وقال بعض العلماء: إنه كان بسؤال الخليل عليه السلام، فإن قيل ثبت عنه صلى الله عليه وسلم: «إن إبراهيم حرّم مكة، وإني حرّمت المدينة[٢]» أجيب: إن إبراهيم عليه السلام إنما أظهر حكم التحريم بعد أن كان مهجوراً.

وسببه: أن الطوفان لما وقع اندرس البيت الحرم الشريف، ونسي ذلك الحكم وهجر، والذي تجدد بسؤال إبراهيم هو أن يجعله آمناً من الجدب والقحط وأن يرزق أهله من الثمرات. كذا قاله العلامة الظهيري.

فائدة: ذكرتها للتنبيه عليها: قال الشيخ محمد بن جار الله: وفي حكم الإدخر السّنا ونحوه مما يُحتاج إليه. أهـ.

(١) البخاري (٣٠١٧)؛ ومسلم (١٣٥٣).
(٢) أخرجه مسلم (١٣٦٠).

أقول: وفيه نظر لا يخفىٰ، فإن الحطب والحشيش ونحوه مما يحتاج إليه أكثر من ذلك ولم يستثن العلماء إلا الإذخر[١] والكمأة اليابسة، فقول الشيخ ذلك، يظهر أنه خلاف المذهب. والله أعلم.

نعم إن قيل يباح ذلك مع لزوم الجزاء للضرورة فغير بعيد.

{٢٢٧} [فضل الموت في الحرم]:

ومن حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في شأن الكعبة: ﴿أن آدم سأل ربه عز وجل فقال: يا رب أسألك مَنْ حجّ هذا البيت من ذريتي لا يشرك بك شيئاً أن تلحقه بي في الجنة. فقال الله تعالىٰ: يا آدم من مات في الحرم لا يشرك بي بعثته آمناً يوم القيامة﴾.

وعن سليمان مرفوعاً: ﴿من مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي، وكان يوم القيامة من الآمنين[٢]﴾.

وعنه صلى الله عليه وسلم: ﴿من مات في أحد الحرمين بُعث يوم القيامة آمناً[٣]﴾ .

---

(١) (الإذخر): «بكسر الهمزة والخاء ـ نبات معروف ذكي الريح إذا جف ابيضّ»

(الكمأة): الكَمْءُ: فطر من الفصيلة الكمئية، وهي أرضية تنتفخ حاملات أبواغها: فتجنىٰ وتؤكل مطبوخة، ويختلف حجمها بحسب الأنواع. المعجم الوسيط (الكمء).

(السنا): «نبات شجيري من الفصيلة القرنية، زهره مصفر وحبه مفلطح رقيق كلوي الشكل تقريباً، يتداوىٰ بورقه وثمره ..» المعجم الوسيط (السنا) .

(٢) «رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الغفور بن سعيد وهو متروك» كما قال الهيثمي في المجمع ٣١٩/٢.

(٣) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه رجال تكلم فيهم، وقال الهيثمي: «إسناده حسن» المجمع ٣١٩/٢.

{٢٢٨} [تعظيم الحرم]:

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كانت الأنبياء عليهم السلام يدخلون الحرم مشاة حفاة»[١].

وعنه قال: «حجّ الحواريون، فلما بلغوا الحرم، مشوا تعظيماً له».

ورُوي ﴿أنه صلى الله عليه وسلم كان بمكة إذا أراد قضاء حاجته يخرج إلى المُغَمَّس﴾[٢] وهو على يمين الواقف بجبل عرفات.

وروىٰ أبو علي بن السكن في سننه: ﴿أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة إذا أراد حاجة، خرج إلى العمرة﴾.

وحكي ذلك عن كثير من أكابر التابعين وغيرهم، حتى نقل عن الشيخ أبي عمرو الزجاجي أحد السادة الصوفية المشهورين: أنه أقام بمكة أربعين سنة لم يبل ولم يتغوط في الحرم.

وعن جابر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لما عقر ثمود الناقة وأخذتهم الصيحة، لم يبق منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله فمنعه الحرم، فقالوا من هو يا رسول الله؟ فقال: أبو رغال أبو ثقيف، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه﴾ رواه مسلم[٣]. ورغال ـ بالغين المعجمة ـ ككتاب، ويقال إن قبره بالمغمس باقٍ إلى الآن، والحديث فيه ردّ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٩٣٩).

(٢) المغمس: ـ بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الميم مع الفتح وآخره سين مهملة ـ «سهل أفيح يمتد من الشمال إلى الجنوب مبدؤه من الصفاح وأسفل حنين، ومنتهاه عرفة وجبل سعد .. فهو شرق مكة على ٢٠ كيلاً» معالم مكة ص٢٨٠.

(٣) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٥١/٢ وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

لما نقله الزمخشري: أن النبي صالحَ عليه السلام وجهه على صدقات ثقيف فأساء السيرة فقتلوه، وهو الذي يُرجم قبره بمكة.

وكذلك ما قال في القاموس من سنن أبي داود [ودلائل النبوة] وغيرهما: عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجنا معه إلى الطائف مررنا بقبر فقال: «هذا قبر أبي رِغال وهو أبو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يَدْفَع عنه، فلما خرج منه أصابته النِقمة التي أصابت قومه بهذا المكان، فدُفن فيه» الحديث(١).

وقول الجوهري: كان دليلاً للحبشة حين توجهوا إلى مكة، فمات في الطريق. غير جيد، وكذا قول ابن سيدة: كان عبداً لشُعيب وكان عشّاراً جائِراً. اهـ(٢).

انتهى كلامه، وكلا الحديثين يشهدان للقول بأنه بالمُغَمّس.

{٢٢٩} [فضائل الحرم]:

وأما فضائله فغير محصورة:

فمنها: كون مكة المشرفة منه، وقد اختُلف فيها، فقيل: هي القرية.

وقيل: الحرم كله، وقيل: ذي طوىٰ، وقيل: ما حوالى البيت.

{٢٣٠} [سبب التسمية بمكة وبكة وبغيرهما]:

سميت بذلك، لأنها تمك الجبابرة؛ أي: تهلكهم و تذهب نخوتهم، أو

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٨٨).

(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادي (رعل).

لأنها تمك الفاجر عنها، أي: تخرجه، [أو: لأنها تجهد] أهلها من قولهم: تمككت العظم إذا أخرجت مخه، والتمكك الاستقصاء؛ أو لأنها تجذب الناس إليها، أو لقلة مائها، أو لأنها تمك الذنوب أي تمحقها.

وتسمى بكة: لأنها تبك أعناق الجبابرة، أو لازدحام الناس فيها، والبك الزحام.

وأم القرى: لأن الأرض دحيت من تحتها، قاله ابن عباس، أو لكونها قِبلة يؤمها الناس، أو لأنها أعظم القرى شاناً، أو لأن فيها بيت الله تعالىٰ، وجرت العادة بأن المَلِك وبيته وبلده مقدمون على غيرهم، وأصل لهم.

والسلام كذلك، والقرية، والبلد، والبلدة، ومَعاد - بفتح الميم -، والوادي، وهذه الثمانية في القرآن، وأسماؤها كثيرة، قال النووي رحمه الله تعالىٰ: لا يعلم بلد أكثر أسماء من مكة والمدينة؛ لكونهما أفضل بقاع الأرض. وقد ذكر منها ابن ظهيرة ما يقارب الخمسين ونيفاً، ونظم منها القاضي بن الضياء من الحنفية ما ينوف على ثلاثين فقال:

لمكة أسماءٌ ثلاثون عدَّتِ ... ومن بعد ذاك اثنان منها اسم بكة
صلاح، وكوثي، والحرامُ وقادس ... وحاطمةُ، البلدُ، العريشُ، بقريةِ
ومعطشةٌ، أم القرىٰ رُحُمٌ باسَّة ... ونساسه رأس بفتح الهمزة
مقدسة، والقادسية، ناسة ... ورأس رتاج أم كوثي كبرَة
سَبُّوحةٌ عرش أم رحمٰن عرشنا ... كذا حرم البلد الأمين كبلدة
كذاك اسمها البلد الحرام لأمنها ... وبالمسجد الأسنىٰ الحرام تَسَمَّتِ(١)

قال العلامة الظهيري: ومن أراد الوقوف على اشتقاق كل اسم مع ذكر شواهده وفوائده، فليراجع صحيح البخاري للقاضي مجد الدين رحمه الله تعالىٰ إن وجده[٢]، مع أنه معنى كثير منها.

{٢٣١} [ما جاء في فضل مكة بالكتاب والسنة]:

وأما فضلها فقال تعالىٰ حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦] و﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] يعني: مكة، وقال: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ [النمل: ٩١] وقال: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾ [البلد] ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين] والمراد في كل ذلك بمكة.

وفي الصحيح: «أنه ليس من بلد إلا سيطؤه الدّجال إلا مكة والمدينة، ليس نَقْبٌ من نقابها إلا وعليه الملائكة صافين يحرسونها[٣]»، والنقب ـ بفتح النون وسكون القاف ـ: الباب، وقيل: الطريق.

وروى النسائي، وأحمد، وابن ماجه، وعبد الرزاق، وابن حبان، والضياء المقدسي، والطبراني عن عبد الله بن عدي بن المعمر الزهري رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته واقفاً بالحَزْوَرة يقول: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت» حديث حسن، أخرجه أصحاب السنن وصححه جماعة منهم الترمذي[٤].

(١) البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق.
(٢) الجامع اللطيف ص ١٤٩.
(٣) أخرجه البخاري (١٧٨٢)، ومسلم (٢٩٤٣).
(٤) أخرجه الترمذي (٣٩٢٥)؛ ابن ماجه (٣١٠٨)؛ المسند ٤/ ٣٠٥. وغيرهم.

وفي رواية أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بالحَزْوَرة وقال: «إنكِ لخير أرض الله، ولو تركت فيك ما خرجت منك».

وفي أخرىٰ: «لقد عرفت أنك أحب البلاد إلى الله، وأكرمها على الله، ولولا أن قومي أخرجوني ما خرجت» الحديث.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «ما سكنت غيرك»، وأيضاً أن ذلك كان في عمرة القضية حين سألته قريش أن يخرج من مكة بعد الثلاثة الأيام التي وقع الشرط عليها، لا حين خروجه إلىٰ الهجرة؛ لأنه خرج مستخفياً كما قاله بعض العلماء.

وذكر الأزرقي في تاريخه: أن ذلك عام الفتح.

فيحتمل أنه قاله مرتين، ولا تنافي، ويكون فيه من كمال تعظيم مكة ما ليس بخافٍ.

والحَزْوَرة[١] ـ بحاء مهملة وزاي ـ كقسورة، والمُحَدِّثون يشددونها كالحديبية، والصواب: التخفيف، كذا قال الشافعي، والدار قطني رحمهما الله تعالىٰ.

وهذا يدل على فضل مكة على سائر البقاع، إلا ما ضم أعضاءه الشريفة، فإنه أعظم منها بالإجماع، بل ذلك من العرش وما حوله بلا نزاع[٢].

(١) الحَزْوَرة: ـ بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي ـ وهي الرابية الصغيرة، كانت سوق مكة من جهة (باب أم هاني) وجهة (السوق الصغير) ثم دخلت في المسجد الحرام، وقف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح، كما في الأزرقي ٢/ ٢٩٦.
(٢) قال القاضي عياض: «ولا خلاف أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض»، الشفاء ٢/ ٦٨٢، تحقيق البجاوي، طبعة الحلبي، ونقل المحقق في الهامش: «قال السبكي: الإجماع على

{٣٤} [هل مكة أفضل من المدينة؟]:

وكون مكة أفضل، فقول أكثر العلماء: كأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، ووهب وابن حبيب. ومطرف من المالكية، وروي عن جماعة من أكابر الصحابة منهم: عمر، وعلي، وابن مسعود، وجابر، وعبد الله بن الزبير، وقتادة رضي الله عنهم.

وحكىٰ ابن عبد البر أنه روي عن مالك ما يدل على: أن مكة أفضل الأرض كلها.

وذهب مالك، وجمهور أصحابه، وأكثر أهل المدينة، وإحدى الروايتين عن أحمد رحمهم الله تعالىٰ: إلى تفضيل المدينة عليها، وهو مذهب عمر بن الخطاب، وكثير من الصحابة رضي الله عنهم[١].

واستدلوا على ذلك بأحاديث، منها: قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة[٢]﴾ مع قوله عليه الصلاة والسلام: ﴿موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها[٣]﴾.

قال ابن عبد البر: هذا استدلال بالخبر في غير ما ورد فيه، ولا يقاوم النص الوارد في فضل مكة، وساق حديث أبي سلمة عن ابن الحمراء وقال:

أن قبره صلى الله عليه وسلم أفضل البقاع وهو مستثنىٰ من تفضيل مكة على المدينة. ونقل البهوتي عن ابن عقيل في الروض المربع: «قال في الفنون: الكعبة أفضل من مجرّد الحجرة، فأما والنبي صلى الله عليه وسلم فيها فلا والله، ولا العرش، وحملته، ولا الجنة، لأن بالحجرة جسداً لو وزن لرجح»، الروض (مع حاشية ابن عثيمين)، ص ٣٦٩.

(١) انظر: الإيضاح ص ٧٢؛ الدرر المختار ٢/٣٥٢؛ القوانين الفقهية ص ١٤٣؛ أعلام المساجد ص ١٨٥. انظر بالتفصيل: البحر العميق لابن الضياء المكي، ١/١٢٧ وما بعدها.

(٢) أورده الدارقطني في العلل ٨/٢٢٠.

(٣) أخرجه الترمذي (١٦٦٤)؛ والبيهقي في الكبرى ٩/٣٨.

هذا نص في محل الخلاف، فلا ينبغي العدول عنه.

وأما ما روي من أنه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿اللهم إنك تعلم أنهم أخرجوني من أحب البلاد إلي، فأسكني في أحب البلاد إليك[١]﴾ فلا يختلف أهل العلم في نكارته ووضعه، وسئل عنه الإمام مالك رحمه الله؟ فقال: لا يحل لأحد أن ينسب الكذب الباطل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى تقدير صحته فلا دلالة فيه؛ إذ العادة والعرف أن الإنسان لا يسأل ما أخرج منه، فإنه قال: أخرجني منها فأسكني، فدل على إرادة غير المخرج منه، فتكون مكة مسكوتاً عنها [من الحديث]. كذا قال المحب الطبري رحمه الله تعالىٰ[٢].

وأما حديث: ﴿المدينة خير من مكة﴾ فضعيف، بل قيل بوضعه[٣].

وأما ما في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما بمكة من البركة[٤]﴾ فهو ونحوه إنما يدل على فضيلتها لا أفضليتها كما لا يخفىٰ. كذا قال الفخر العلامة ابن ظهيرة[٥].

وأما قوله عليه الصلاة والسلام: ﴿اللهم حبِّب إلينا المدينة كحبنا مكة وأشد﴾ وفي رواية ﴿لأشد﴾ فذلك تسلية عنها بعد وجود المانع من سكناها. والله أعلم.

(١) أورده صاحب مرقاة المصابيح، وقال: «فقد أجمعوا على أنه موضوع كما قاله ابن عبد البر وابن دحية ...» ٥/٦١٢.

(٢) القرىٰ لقاصد أم القرىٰ ص ٦٧-٦٨.

(٣) الحديث رواه الطبراني، وفيه ممد بن عبد الرحمن بن دواد، وهو مجمع على ضعفه، كما ذكر الهيثمي في المجمع، ٣/٢٩٩.

(٤) أخرجه البخاري (١٨٨٥)، مسلم (١٣٦٩).

(٥) الجامع اللطيف ص ١٤٠ـ ١٤٣.

{٢٣٤} [هل مكة أفضل من المدينة ؟]:

وكون مكة أفضل، فقول أكثر العلماء: كأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، ووهب وابن حبيب، ومطرف من المالكية، وروي عن جماعة من أكابر الصحابة منهم: عمر، وعلي، وابن مسعود، وجابر، وعبد الله بن الزبير، وقتادة رضي الله عنهم.

وحكىٰ ابن عبد البر أنه روي عن مالك ما يدل على: أن مكة أفضل الأرض كلها.

وذهب مالك، وجمهور أصحابه، وأكثر أهل المدينة، وإحدى الروايتين عن أحمد رحمهم الله تعالىٰ: إلى تفضيل المدينة عليها، وهو مذهب عمر بن الخطاب، وكثير من الصحابة رضي الله عنهم[١].

واستدلوا على ذلك بأحاديث، منها: قوله صلى الله عليه وسلم: «وما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة[٢]» مع قوله عليه الصلاة والسلام: «موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها[٣]».

قال ابن عبد البر: هذا استدلال بالخبر في غير ما ورد فيه، ولا يقاوم النص الوارد في فضل مكة، وساق حديث أبي سلمة عن ابن الحمراء وقال:

أن قبره صلى الله عليه وسلم أفضل البقاع وهو مستثنىٰ من تفضيل مكة على المدينة. ونقل البهوتي عن ابن عقيل في الروض المربع: «قال في الفنون: الكعبة أفضل من مجرّد الحجرة، فأما والنبي صلى الله عليه وسلم فيها فلا والله، ولا العرش، وحملته، ولا الجنة، لأن بالحجرة جسداً لو وزن لرجح»، الروض (مع حاشية ابن عثيمين)، ص ٣٦٩.

(١) انظر: الإيضاح ص ٧٢؛ الدرر المختار ٢/٣٥٢؛ القوانين الفقهية ص ١٤٣؛ أعلام المساجد ص ١٨٥، انظر بالتفصيل: البحر العميق لابن الضياء المكي، ١/١٢٧ وما بعدها.

(٢) أورده الدارقطني في العلل ٨/٢٢٠.

(٣) أخرجه الترمذي (١٦٦٤)؛ والبيهقي في الكبرى ٩/٣٨.

هذا نص في محل الخلاف، فلا ينبغي العدول عنه.

وأما ما روي من أنه عليه الصلاة والسلام قال: «اللهم إنك تعلم أنهم أخرجوني من أحب البلاد إلي، فأسكني في أحب البلاد إليك[١]» فلا يختلف أهل العلم في نكارته ووضعه، وسئل عنه الإمام مالك رحمه الله؟ فقال: لا يحل لأحد أن ينسب الكذب الباطل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى تقدير صحته فلا دلالة فيه؛ إذ العادة والعرف أن الإنسان لا يسأل ما أخرج منه، فإنه قال: أخرجني منها فأسكني، فدل على إرادة غير المخرج منه، فتكون مكة مسكوتاً عنها [من الحديث]. كذا قال المحب الطبري رحمه الله تعالىٰ[٢].

وأما حديث: «المدينة خير من مكة» فضعيف، بل قيل بوضعه[٣].

وأما ما في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما بمكة من البركة[٤]» فهو ونحوه إنما يدل على فضيلتها لا أفضليتها كما لا يخفىٰ. كذا قال الفخر العلامة ابن ظهيرة[٥].

وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم حبِّب إلينا المدينة كحبنا مكة وأشد» وفي رواية «لأشد» فذلك تسلية عنها بعد وجود المانع من سكناها. والله أعلم.

(١) أورده صاحب مرقاة المصابيح، وقال: «فقد أجمعوا على أنه موضوع كما قاله ابن عبد البر وابن دحية ...» ٥/٦١٢.

(٢) القرىٰ لقاصد أم القرىٰ ص ٦٧-٦٨.

(٣) الحديث رواه الطبراني، وفيه ممد بن عبد الرحمن بن دواد، وهو مجمع على ضعفه، كما ذكر الهيثمي في المجمع، ٣/٢٩٩.

(٤) أخرجه البخاري (١٨٨٥)، مسلم (١٣٦٩).

(٥) الجامع اللطيف ص ١٤٠ـ١٤٣.

{٢٣٣} [في فضل سكني مكة والموت فيها]:

وفي المدارك عنه صلى الله عليه وسلم: «من صبر على حَرِّ مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائتي عام[1]».

وأخرج الجندي عنه صلى الله عليه وسلم: «من مات بمكة بعثه الله من الآمنين يوم القيامة[2]».

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات بمكة أو بطريق مكة بعث من الآمنين[3]» ذكره ابن جماعة في منسكه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لولا الهجرة لسكنت مكة، إني لم أرَ السماء بمكان أقرب منها، ولم يطمئن قلبي ببلدٍ ما اطمأن بمكة[4].

ويروىٰ أن قريشاً وجدوا بالركن كتاباً بالسريانية فلم يدروا ما فيه، حتى قرأه رجل من اليهود فإذا فيه: «أنا الله ذو بكة، خلقتها يوم خلقتُ السموات والأرض، وصورت الشمس والقمر، وحفظتها بسبعة أملاك حتفاً لا تزول حتى يزول أخشابها، مبارك لأهلها في الماء واللبن»[5]، وفي رواية: في الماء واللحم.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٣٠)، مسلم (١٣٧٦).

(٢) أخرجه الفاكهي ١/٣٨٧، وابن الجوزي في الموضوعات وقال: «هذا حديث لا يصح والمتهم به إسحاق بن ظهير» ٢/٢١٧، انظر بالتفصيل ما ورد في هذا الباب: البحر العميق ١/٩٨.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) الأزرقي ٢/١٥٣.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٥/١٤٩؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٣/٢٦٩.

والأخشبان: أبو قبيس، والجبل المقابل له.

والحاصل: أن فضل مكة عظيم، وقد أطال الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ من فضائلها في رسالته.

وقد يدفن في البقعة التي أخذ منها ترابه عندما خُلق، قال الحافظ ابن حجر: وعلى هذا فقد روىٰ الزبير بن بكّار: «أن جبريل عليه السلام أخذ التراب الذي خُلق منه النبي صلى الله عليه وسلم من تراب الكعبة فرجع الفضل المذكور إلى مكة[1]». والله تعالىٰ أعلم.

تنبيه لطيف: قال بعض العلماء: يؤخذ من (قولهم المرء يدفن في البقعة التي أخذ منها ترابه) أفضلية سيدنا أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ لاقتضائه أنهما خلقا من البقعة التي خلق منها النبي صلى الله عليه وسلم.

فائدة: قال ابن حزم: التفضيل المذكور لمكة ثابت لعرفة أيضاً، وإذا كانت من الحِل[2].

{٢٣٤} [إطلاق المسجد الحرام]:

وأنها المسجد الحرام وهو يطلق على أربعة معانٍ عند العلماء:

الأول: الكعبة ومنها قوله تعالىٰ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

الثاني: الكعبة وما حولها من المسجد، قال النووي: وهو الغالب، ومنه ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١] الآية، وهو قول

---

(١) أورده ابن حجر في الفتح ٣/٦٨.

(٢) الجامع اللطيف ص ١٤٣ ـ ١٤٤.

أنس، ورجّحه الطبري[١].

الثالثة: جميع مكة ومنه ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٧].

الرابع: جميع الحرم منه، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [التوبة: ٧] وكان العهد بالحديبية: وهي الحرم. وكذلك ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٦] و﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [التوبة: ٢٨] قاله ابن عباس.

قال الماوردي: حيث ذكر الله المسجد الحرام في كتابه العزيز فالمراد: الحرم، إلا قوله تعالىٰ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فإن المراد به: الكعبة شرفها الله تعالىٰ[٢].

{٢٣٥} [فضل المسجد الحرام]:

وفضل المسجد الحرام كثير، وقد ذكره الله تعالىٰ في كتابه العزيز في نحو خمسة عشر موضعاً، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى[٣]».

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن أول مسجد وضع في الأرض المسجد الحرام، ثم المسجد الأقصى، وما بينهما أربعون سنة[٤]».

---

(١) انظر: القرىٰ لقاصد أم القرىٰ ص ٦٥٧؛ انظر بالتفصيل: تفسير ابن عطية ص ١١٢٦، (ابن حزم).
(٢) الجامع اللطيف ص ١٦١ - ١٦٢.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) الحديث أخرجه الشيخان وأصحاب السنن (عن طريق سؤال أبي ذر رضي الله عنه) البخاري

وقال صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه[١]». رواه أحمد، وابن ماجه.

وروي «بألف ألف صلاة»، وفي رواية: «بمائة ألف ألف»، وفي أخرىٰ: «بمائة ألف ألف» بتكرير الألف مرتين وثلاثاً[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام، أفضل من مائة صلاة في مسجدي[٣]». رواه الإمام أحمد بإسناد على رسم الصحيح، ورواه ابن حبان في صحيحه، وصححه ابن عبد البر، وقال: إن مضاعفة الصلاة بالمسجد الحرام على مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بمائة صلاة، وقال: إنه مذهب أهل الأثر.

وفي الصحيحين: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه في المساجد إلا المسجد الحرام[٤]».

وروى البيهقي: «صلاة في المسجد الحرام مائة ألف صلاة، وصلاة في

الأنبياء (٣٣٦٦)، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٣٧٠).
(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٧٨، وأورده الهيثمي في المجمع وروي بروايات مختلفة (بزيادة أو نقصان) في بعضها، ٤/ ٥؛ ابن ماجه (١٤٠٤).
(٢) انظر الروايات في الفاكهي ٢/ ٩١ وما بعدها.
(٣) مسند الإمام أحمد (١٦١٦٢)، وقال النووي في شرح مسلم: «حديث حسن رواه أحمد بن حنبل في مسنده؛ والبيهقي وغيرهما بإسناد حسن» ٩/ ١٦٤؛ صحيح ابن حبان في الصلاة (١٦٢٠).
(٤) سبق تخريجه.

مسجدي ألف صلاة، وفي بيت المقدس خمسمائة صلاة[١]».

ورُوي: «صلاة في المسجد الأقصىٰ بخمسين ألف صلاة، وصلاة المسجد الحرام بمائة ألف صلاة[٢]».

ثم قيل على حديث الصحيحين: إن الصلاة بالمسجد لمسجد المدينة، ورجحه بعضهم، وقيل: بل أنقص، وعليه مالك، وقيل: بل أفضل بمائة، وقيل بمائة ألف.

{٢٣٦} [المسجد الحرام الذي تضاعف فيه الصلاة]:

واختلفوا في معنى المسجد الحرام الذي تضاعف فيه الصلاة على أربعة أقوال:

الأول: أنه الحرم.

الثاني: أنه مسجد الجماعة، وهو يؤخذ من كلام الحنفية، فإنهم قالوا: التفضيل مختص بالفرائض، وأما النوافل فالبيت أفضل، فجعلوا حكم البيت غير حكم المسجد، واختاره بعض الشافعية.

الثالث: أنه مكة، واختاره بعضهم، وقال: التضعيف ثبت لكل بقاع مكة فضلاً عما زيد في مسجدها.

الرابع: أنه الكعبة، وهو أبعدها[٣].

فإن قيل: قد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن حسنات الحرم

(١) البيهقي في شعب الإيمان ٤٨٦/٣.
(٢) ابن ماجه (١٤١٣) وغيره.
(٣) انظر: هداية السالك، ١٧٤/١؛ البحر العميق، ١٤٨/١ وما بعدها.

كلها الحسنة بمائة ألف[١]»، فعلى هذا يكون المراد بالمسجد الحرام في الاستثناء الحرم كله؟.

قلنا: نقول بموجب حديث ابن عباس: أن حسنة الحرم مطلقاً بمائة، لكن الصلاة في مسجد الجماعة تزيد على ذلك، ولذا قال: بمائة صلاة في مسجدي، ولم يقل: حسنة، «وصلاة في مسجدي بألف» صلاة، وكل صلاة بعشر حسنات، فتكون الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف حسنة، وتكون في المسجد الحرام بألف ألف حسنة، وعلى هذا تكون حسنة الحرم بمائة ألف حسنة، والمسجد الحرام بألف ألف، ويلحق بعض الحسنات ببعض، أو يكون ذلك مختصاً بالصلاة لخاصية فيها، والله أعلم. كذا في الجامع اللطيف نقلاً عن المحب الطبري[٢].

{٢٣٧} [المضاعفة في الصلاة]:

وهل تختص المضاعفة بالمكتوبات أو تعم [النوافل]؟ فذهب مشايخنا ـ إلاَّ الطحاوي ـ إلى أنها تختص بالفرائض؛ لأن النوافل في البيت أفضل، وبه قال المالكية، وبعض الشافعية ومذهبهم التعميم، قال الحافظ ابن حجر: ويمكن إبقاء حديث «أفضل صلاة المرء[٣]» على عمومه، فتكون النافلة في بيت بالمدينة أو مكة تضاعف على صلاتها في البيت بغيرها. وكذا في المسجدين، وإن كانت في البيوت أفضل مطلقاً.

(١) المقدسي في الأحاديث المختارة ٥١/١٠؛ وابن خزيمة في الصحيح ٢٤٤/٤؛ والبيهقي في الكبرى ٣٣١/٤؛ و الهيثمي في مجمع الزوائد، ٢٠٩/٣.
(٢) انظر: القرى لقاصد أم القرى ص ٦٥٥ وما بعدها.
(٣) تكملة الحديث « ... في بيته إلا الصلاة المكتوبة » أخرجه البخاري (٦٨٦٠).

{٢٣٨} [المضاعفة بين المسجد والحرم]:

وقال الفخر بن ظهيرة: لا يلزم من المضاعفة في المسجد أن يكون أفضل من البيت؛ إذ فضيلة المسجد المذكور من حيث التضعيف. أ هـ .

ثم قيل: إنها مختصة بالرجال دون النساء؛ لأن صلاتهن في البيت أفضل، ثم التضعيف المذكور يرجع إلى الثواب لا إلى الإجزاء عما في الذمة من الفوائت إجماعاً، لاكما يوهمه قول النقاش: حسبت الصلاة في المسجد الحرام، فبلغت صلاة واحدة عمر خمسة وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة[١].

وحسب الشيخ بدر الدين ابن الصاحب الإرشاري رحمه الله تعالىٰ: ثواب صلاة الجماعة في المسجد الحرام، ثم قال: فتلخص أن صلاة واحدة في المسجد الحرام جماعة بفضل ثوابها على ثواب من صلّى في بلده فرادى، حتى بلغ عمر نوح عليه السلام بنحو الضعف[٢].

وهذا كله بالنظر إلى الروايات المشهورة، وأما على الروايات الأخر فكذلك يبلغ آلاف كرات من السنين على ما جمعه بعضهم.

{٢٣٩} [المضاعفة عامة]:

قال في المنسك الكبير: ثم اعلم أن هذا التضعيف لا يختص بالصلاة بل يعم جميع الأعمال؛ لما صرّح به بعض العلماء الكبار، وقال الحسن البصري في رسالته: ما أعلم اليوم من بلد على وجه الأرض بلدة يرفع فيها من الحسنات وأنواع البِرّ كل واحدة منها بمائة ألف، ما يرفع بمكة، ثم ما

(١) الأزرقي ١/٣٥٠، والشافعي في المسند ١/٢٦.
(٢) الجامع اللطيف، ص ١٧٦.

أَعلم من بلدة على وجه الأرض كتب لمن صلى فيها ركعة واحدة بمائة ألف ركعة غير مكة، ثم ما أعلم من بلدة على وجه الأرض يتصدق فيها بدرهم واحد فيكتب بمائة ألف درهم إلا بمكة انتهى[١].

فتفطن يا أخي في هذه الفضيلة العظيمة، وابذل جهدك لنيلها، فيا لها من نعمة ما أشرفها، وفضيلة ما أكبرها[٢].

(١) انظر: رسالة الحسن البصري (فضائل مكة والسكن فيها) ص ٢١ وما بعدها.
(٢) وذكر محب الدين في فضل الصوم في الحرم:

«عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أدرك رمضان بمكة فصامه، وقام منه ما تيسر له، كُتِبَ له مِئة ألف شهر رمضان فيما سواه، وكتب الله له يوم وليلة عتق رقبة، وبكل يوم حُمْلان فرس في سبيل الله، وفي كل يوم حسنة، وفي كل ليلة حسنة. أخرجه ابن ماجه، وأخرج نحوه الحافظ أبو حفص عمر بن عبد المجيد المَيَّانِشِي في المجالس المكية، ولفظه: من أدرك شهر رمضان بمكة من أوله إلى آخره فصامه وقامه، كُتِبَ له مِئة ألف شهر رمضان في غيره، وكان له بكل يوم مغفرة وشفاعه، وبكل يوم حُملان فرس في سبيل الله عز وجل، وله بكل يوم دعوة مستجابة.

وعن الحسن البصري قال: صوم يوم بمكة بمئة ألف، وصدقة درهم بمئة ألف، وكل حسنة بمئة ألف. أخرجه صاحب مثير الغرام».

وأورد أيضاً في تضعيف حسنات الحرم:

«عن زاذان قال: مرض ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مرضاً شديداً، فدعا ولده، فجمعهم، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: مَن خرج مِن مكة ماشياً حتى يرجع إلى مكة ـ يعني في الحج ـ كتب الله له بكل خَطْوة سبْعَ مِئَة حسنة، كل حسنة مثل حسنات الحرم. قيل: وما حسنات الحرم؟ قال: بكل حسنة مِئَة ألف حسنة. أخرجه أبو ذرّ وأبو الوليد الأزرقي».

ثم قال المحب الطبري:

«وفيما تقدم من أحاديث مضاعفة الصلاة والصوم، دليل على اطراد التضعيف في جميع الحسنات، إلحاقا بهما، ويؤيد ذلك قول الحسن المتقدم في الفصل قبله، ولم يقلد إلا وله مستند في ذلك. وهذا الحديث يدل على أن المراد بالمسجد الحرام في

{٢٤٠} [هل تتضاعف السيئات بمكة]:

فإن قيل: إن كانت الحسنات كذلك فهل السيئات تتضاعف؟

والصحيح الذي عند جمهور العلماء: عدمها، لكن هي في الحرم أعظم منها في غيره بلا ريب، ثم قيل على الأول: مضاعفتها كمضاعفة حسنات غيره، ورَدَّ بعض العلماء الخلاف الأول إلى اللفظ، ويظهر أنه بعيد. والله).

{٢٤١} [ما حوى البيت الشريف من أماكن الإجابة]:

ومن فضائل المسجد: ما حواه من البيت الشريف، وما فيه من أماكن الإجابة، وقد تقدم فضل ذلك.

ومنها: ما حواه من الأماكن التي فيها صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم: وهي خلف المقام، وهو معروف، أو جهة البيت إلى انتهاء فرش الرخام؛ لما قيل: إنه كان ملصقاً بالبيت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، و تلقاء الحجر الأسود على حاشية المطاف، وقرب الركن الشامي مما يلي الباب، وقيل: مما يلي الحجر، وتسمية هذا الركن بالشامي قول بعضٍ، والمشهور تسميته بالعراقي.

فصل تضعيفه، الصلاة في الحرم جميعه، لأنه عمم التضعيف في جميع الحرم؛ وكذلك حديث تضعيف الصوم عممه في جميع مكة، وحكم الحرم ومكة في ذلك سواء باتفاق، إلا أن يَخُصَّ المسجد بتضعيف زائد على ذلك، فيقدر كل صلاة بمئة ألف صلاة فيما سواه ،والصلاة فيما سواه بعشر حسنات، فتكون الصلاة فيه بألف ألف حسنة، والصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بمئة ألف حسنة. ويشهد لذلك ظاهر اللفظ، والله أعلم.

وعلى هذا تكون حسنة الحرم بمئة ألف، وحسنة مسجده: إما مسجد الجماعة، وإما الكعبة على اختلاف القولين، بألف ألف؛ ويقاس بعض الحسنات على بعض، أو يكون ذلك خِصِّيصَى للصلاة، والله أعلم» القرى لقاصد أم القرى، ص ٦٥٨، ٦٥٩.

وعند باب الكعبة قال صلّى الله عليه وسلم: ﴿أمّني جبريل عند باب الكعبة مرتين(١)﴾، وهو يحتمل وِجاه الباب أو الحفرة بهذا الملتزم، والأقرب الأول، كذا قال الفاسي وسيأتي.

والحفرة التي تسمىٰ: معجنة إبراهيم ومقام جبريل؛ حيث أمّ النبي صلى الله عليه وسلم، صلى فيه خمس صلوات أوائل أوقاتها، وهذا هو المشهور عند أهل مكة، ويكاد أن يُعد عندهم متواتراً، على ما قاله في العمدة، وإليه ذهب المحب الطبري، ويقال: إنه مُصلّى آدم عليه الصلاة والسلام.

وتلقاء الركن الذي يلي الحجر من جهة المغرب، وقيل: هو خلف المقام؛ لأنه جاء مصرحاً به في رواية، قال المحب الطبري: والظاهر أن هذا الموضع تلقاء المقام في فناء الكعبة، بحيث يكون المقام خلف ظهر المصلي فيه(٢)، ثم قال: ويحتمل على بُعد أن يكون الموضع الرابع يعني: باب الكعبة.

وورد تفضيل وجه الكعبة على غيره، قال ابن عمر رضي الله عنه: البيت كله قِبلة، وقِبلته وجهه، فإن فاتك ذلك فعليك بقبلة النبي صلى الله عليه وسلم: تحت الميزاب(٣).

وداخل البيت: وهو قِبل الباب المسدود، بحيث يكون بينه وبين الجدار

---

(١) انظر: الجامع اللطيف، ص ١٧٧. وأورد المحب الطبري آثاراً على قول من قال تضاعف السيئة بمكة: «عن مجاهد قال: تُضَاعف السيئات بمكة كما تُضاعف الحسنات.

وسئل أحمد بن حنبل: تُكْتَبُ السيئة أكثر من واحدة؟ فقال: لا، إلا بمكة، لتعظيم البلد.

وعن ابن مسعود: لو أن رجلا همّ بقتل رجل عند البيت وهو بعَدَن أبْيَن، أذاقه الله عزّ وجل في الدنيا من عذاب أليم. أخرجه صاحب مُثير الغرام». القرى ص ٦٥٩.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩٣)؛ والترمذي (١٤٩) وغيرهم من أصحاب السنة.

(٣) انظر: القرىٰ لقاصد أم القرى ص ٣٥٠.

ثلاثة أذرع أو ذراعان.

وبين الركنين اليمانين، قيل: هو موضع الرخامة في وسط هذا الجانب المكتوب فيها عمارة المنصورة، وقيل: في جانب الركن اليماني.

وقال المُلاَّ علي: والأظهر أنه في المستجار، وقيل: إنه قريب الحفرة وقيل غير ذلك والله أعلم بما هنالك[1].

فينبغي لمن قصد هذه الآثار أن يعم الأماكن التي وردت بها الأخبار، رجاءَ أن يظفر بمصلّى سيّد الأخيار صلى الله عليه الواحد القهار آناء الليل وأطراف النهار.

ونظمها المحب الطبري في أبيات فقال:

مواضع بها الرسول صلّى ... بحول بيت كالعروس تجلّى
خلف المقام وباب كعبة ... والمستجاب، الحجر، والمعجنة
وبحذاء الحجر الموقوف ... بأنه الأسود للتشريف
يفصل بينه وبين الحجر ... الطائفون من خيار البشر
وبين حفرة وركن شامي ... وحذو غربي ركنه يا سامي
من صلّى به يسامت ... باباً لعمرة لهذا أثبتوا
وعند قرب ركنه اليماني ... مما يلي الأسود ذا المعاني
والمستجار بين باب سدا ... وبين شامى الركن حُزْت الرشدا
بين اليماني وركن الحجر ... عن ابن إسحاق أتى في خبر
كذا بوجه قبلت ولم يبن ... تعيينه كما يرومه الفطن

(١) أخرجه سعيد، كما أورده المحب الطبري في القرى ص ٣٥١.

وجوف كعبة بها الرسول ... صلّى وكان الفتح والقبول
فهذه البقاع صلّى فيها ... نبينا فزادها تنويهاً
بشرى لمن بهذه قد صلّى ... قد مس ترباً فعلاه حلا
طوبى لمن بوجهه قد مس ما ... مسته أقدام نبي عُظِّما
فالحمد لله وصلى الله ... على نبيه ومصطفاه
وآله وصحبه والعلماء ... والتابعين هديه المعظما

{٢٤٢} [آثار مكة]:

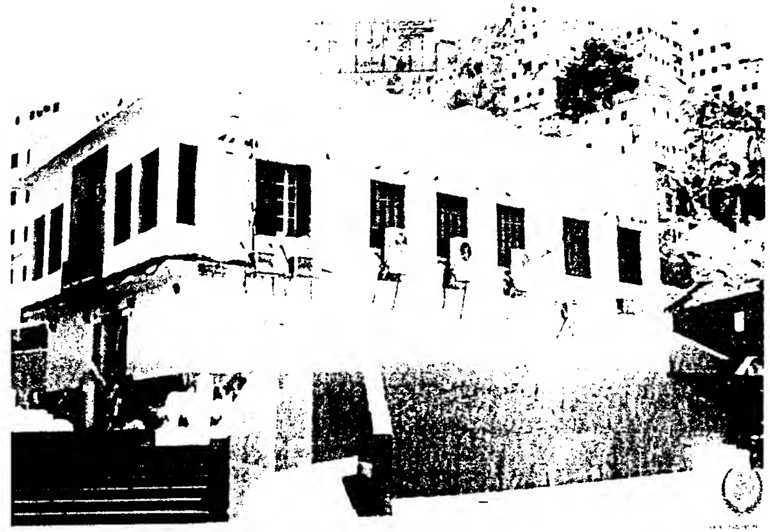
ومنها المآثر العظام: وهي أنواع خمسة: مواليد، ودور، ومساجد، وجبال، ومقابر.

{٢٤٣} [مولد النبي صلى الله عليه وسلم]:

فأما المواليد: فأعظمها مَولد النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعروف المشهور بسوق الليل، وقد استولى عليه عقيل بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ زمن الهجرة، وإليه وإلى غيره أشار صلى الله عليه وسلم بقوله ـ في حجة الوداع ـ: «هل ترك لنا عقيل من ظل أو منزل؟[1]» واستمر بيده ويد ولده حتى باعه بعضهم من أخي الحَجَّاج، فأدخله في داره، ولبث كذلك حتى حجت الخيزران ـ أم الخليفتين موسى الهادي وهارون الرشيد ـ وأخرجته وجعلته مسجداً[2].

(١) أخرجه النسائي في الكبرىٰ (٤٢٥٥)، وأبو داود في السنن (٢٠١٠).
(٢) وهي معروفة ومشهورة بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، وهي في فم شعب أبي طالب وهو الشعب الذي كان يسكنه بنو هاشم، في الجهة الشرقية من الساحة الشرقية للمسجد الحرام، وتحولت الدار أخيراً إلى مكتبة عامة وبناها الشيخ عباس قطان سنة ١٣٧٠هـ من

وقيل: ولد بالدار التي عند الصفا التي كانت لمحمد بن يوسف أخي الحجاج، ثم جعلته زبيدة مسجداً، وهو غريب.



مكان ولادة النبي ﷺ (مكتبة مكة المكرمة الآن)

ويقال: بالردم، وقيل: بعسفان. وهما أغرب، والمراد بالردم: ردم بني جُمح لا المعروف بالمدعى: لأنه أحدث في زمن عمر ـ رضي الله عنه ـ ونسب لبني جمح؛ لأنهم قُتِلوا وردم عليهم فيه، قال ابن ظهيرة: «ولم أقف علىٰ تعيين محله»(1)، والحق الذي عليه الجمهور: هو الأول.

{٢٤٤} [مولد السيدة فاطمة رضي الله عنها]:

ومنها: مولد السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها: وهو في زقاق الحَجَر في دار أمها خديجة التي هي أفضل مواضع مكة

ماله الخاص، ولا زالت قائمة يؤمها رواد العلم وطلابه.

(1) وقال ابن ظهيرة: «.. ولا اختلاف فيه عند أهل مكة». ص ٢٨٥ ، ٢٨٦.

بعد المسجد الحرام، على ما قاله المحب الطبري وغيره من الأعلام(1).

قال الأزرقي: وهذه الدار كان يسكنها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خديجة، وفيها ابتنىٰ بها، وولدت فيها جميع أولادها وتوفيت بها، ولم يزل النبي صلى الله عليه وسلم ساكناً بها حتى هاجر إلى المدينة، فاستولىٰ عليها عقيل بن أبي طالب، ثم اشتراها منه معاوية وهو خليفة فجعلها مسجداً، وفتح فيه باباً من دار أبيه أبي سفيان التي قال فيها صلى الله عليه وسلم يوم الفتح: ﴿من دخل دار أبي سفيان فهو آمن(2)﴾ وتسمى هذه الدار جميعها بمولد فاطمة، وموضع مسقط رأسها معروف، وقال الفاسي: لا ريب في كون فاطمة ولدت في هذه الدار انتهى.



منظر عام لبيت السيدة خديجة رضي الله عنها كما كشفت عنه حفريات التوسعة

(1) وسماها الطبري: دار خزيمة، القرىٰ ص ٦٦٤، وتحولت الدار في سنة ١٣٧٠هـ إلى مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، قد أصبحت الآن ضمن الساحة الشرقية للمسجد الحرام ضمن التوسعة العظيمة لساحات المسجد الحرام.

(2) أورده الهيثمي في المجمع وقال: «رواه أبو داود باختصار، ورواه البزار، وفيه حسين بن عبد الله الهاشمي، وهو متروك، ووثقه ابن معين في رواية» ٦/١٧٥.

وغالب هذه الدار الآن على صفة المسجد، وبها قبة يقال لها: قبة الوحي، وإلى جنبها موضع يزوره الناس، يسمى المختبأ زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختبئ فيه من الحجارة التي يرميه بها المشركون، ولا أصل لذلك كذا قال ابن ظهيرة كما قاله الأزرقي وغيره[١].

{٢٤٥} [مولد علي رضي الله عنه]:

ومنها مولد سيدنا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وهو مشهور معروف عند أهل مكة لا اختلاف فيه بأعلىٰ الشعب المنسوب إليه، وفيه تَربى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه محل كالتنور يقال إنه مسقط رأسه.

ونقل الفخر بن ظهيرة عن سعد الدين الاسفراييني: أن في جدار هذا المحل بالزاوية حجَراً، يقال إنه كان يكلِّم النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل ولد في جوف الكعبة. وضعَّفه النووي رحمه الله تعالىٰ[٢].

{٢٤٦} [مولد سيدنا حمزة رضي الله عنه]:

ومنها مولد سيدنا حمزة بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ بأسفل مكة على طريق الذاهب إلى بركة ماجن[٣] ـ قال الفاسي: ولم أَرَ شيئاً يدل بصحة ذلك، بل في صحته نظر؛ لأن هذا الموضع ليس محلاً لبني هاشم[٤].

---

(١) الجامع اللطيف ص ٢٨٧.

(٢) «وهو بالمحل المعروف بشعب علي وهو مقابل لمولد النبي ﷺ من أعلاه مما يلي الجبل، مشهور عند أهل مكة لا اختلاف فيه ..» الجامع اللطيف ص ٢٨٧ ولا أثر لها الآن، (فأصبحت الآن «مواقف سيارات» التي على يسار المولد للمتجه إلى الحرم الشريف).

(٣) بركة ماجن (بالنون) كما قال ابن ظهيرة، وقال أيضاً «وأهل مكة يقولون (بالدال) وهو خطأ». الجامع اللطيف ص ٢٨٧.

(٤) الجامع اللطيف ص ٢٨٧، إلا أنه كان في طريق الذاهب إلى بركة الماجن مسجد يسمىٰ

{٢٤٧} [مولد سيدنا عمر رضي الله عنه]:

ومنها مولد سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ معروف عند أهل مكة بأعلىٰ جبل النوبة ـ قال الفاسي: ولا أعلم في ذلك شيئاً يُستأنس به، وذكر أن جده من أمه كان يزوره في جَمْعٍ من أصحابه غالباً ليلة أربع عشر من ربيع الأول ـ والله أعلم[١].

ومنها موضع يعرف بدار أبي سعيد، وبدار الدقوقي ـ بقافين ـ، يعرف بقرب باب العجلة، يقال له: مولد جعفر الصادق. كذا قال الفاسي. والله أعلم بحقيقته.

{٢٤٨} [دار السيدة خديجة رضي الله عنها]:

وأما الدور فأشرفها دار خديجة ـ رضي الله عنها ـ وقد تقدمت لشهرتها بمولد فاطمة رضي الله عنها.

{٢٤٩} [دار أبي بكر رضي الله عنه]:

ومنها دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه في زقاق الحجر، يقال: إنه كان له دكان يبيع فيه الخز، وتسمى دار الهجرة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر هاجرا منها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي إليها كل يوم صباحاً ومساءً[٢]، كذا ذكر الشيخ إدريس، وأسلم فيها جمع من الصحابة

بمسجد سيدنا حمزة رضي الله عنه على مسافة نصف كيلٍ من المسجد الحرام تقريباً.

(١) الجامع اللطيف ص ٢٨٨، ويعرف هذا الجبل باسم: جبل عمر، يشرف سطح الجبل من جهة علي مشروع (شركة مكة للإنشاء والتعمير).

(٢) ذكر المؤلف في دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه: بأنه الدكان كما قيل، وحددها بزقاق الحجر، أيضاً أنه من داره التي هاجر منها، ولم يذكر الأزرقي هذه الدار، وهو المعول عليه، ثم لا مانع بأن يكون للصديق رضي الله عنه منزلان: منزله الأصلي، ومنزلاً آخر

منهم: علي، وعثمان، وطلحة، والزبير رضي الله عنهم، وفي جدارها أثر مِرفق النبي صلى الله عليه وسلم، ولذا يُسمى زقاق المرفق كذا في الجامع اللطيف، ويقابل هذه الدار جدار فيها حجر، يقال: إنه كان يُسلِّم على النبي صلى الله عليه وسلم كلما اجتاز. ولعله إن صح هو المعني بقوله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسَلِّم عليَّ ليالي بعثت[1]» كذا قال الفاسي، وفي الشفا: إنه الحجر الأسود، واستبعده المحب الطبري[2].

{٢٥٠} [دار الأرقم بن أبي الأرقم]:

ومنها: دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، المعروفة بدار الخيزران؛ لبنائها لها، وهو محل شريف؛ لأنه صلى الله عليه وسلم استتر فيه في مبدأ الإسلام، وأسلم به جمع من الصحابة السادة الكرام، منهم: حمزة، وعمر رضي الله عنهم أجمعين، وأكمل الله به الأربعين، وأعزّ به الدين، وحقّق بإسلامه دعوة سيد المرسلين، وأظهر الله به الدين ونزل فيه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال][3].

الذي هو (دكانه)؛ ليكون قريباً من المصطفىٰ ﷺ، علماً بأن العامة من المكيين يطلقون على موقع دارٍ ـ بأسفل مكة ـ (دار أبي بكر الصديق) وفيه مسجد يسمىٰ (بمسجد أبي بكر)، وحدد صاحب الجامع اللطيف هذه الدار ـ بقرب من بركة ماجن، ومنها هاجر إلى المدينة المنورة من غار ثور، كما يأتي في ذكر مسجد أبي بكر، وهذا يقوي ما ذكرت بأنه كان له رضي الله عنه منزلان، وبه يجمع بين القولين والله أعلم، انظر بالتفصيل البحر العميق، ٢٦٣٩/٥، الجامع اللطيف، ص ٢٨٨.

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٧)؛ والترمذي (٣٦٢٤).

(٢) الجامع اللطيف ص ٢٨٨.

(٣) الجامع اللطيف ص ٢٨٩، وموقعها الآن بالصفا عند مبدأ السعي على يسار الصاعد إليه من جهة الشرق، وهي الآن في التوسعة و لا تكاد تعرف ويحتمل أن يكون موقعها هو سلم دار الأرقم الكهربائي خلف الصفا.

{٢٥١} [دار العباس رضي الله عنه]:

ومنها: دار العباس رضي الله عنه، وهو معروف برباط العباس الذي فيه أحد الميلين الأخضرين.

{٢٥٢} [رباط المغاربة]:

ومنها: رباط[1] الموقف، ويعرف برباط المغاربة نقل عن الشيخ خليل المالكي: أن الدعاء يستجاب فيه أو عند بابه، ويروى عن الشيخ مطرف الولي المشهور أنه قال: «ما وضعت يدي في حلقة هذا الباب. إلا وخطر في نفسي كم ولي لله وضع يده في هذه الحلقة[2]، وفيها ماء مأثور يغسل به المرضىٰ فيشفون بقدرة الله تعالىٰ».

ومنها: متعبد الجنيد، المعروف بطرف جبل جَزَل، ونقل الفخر بن ظهيرة: أنه متعبد إبراهيم بن أدهم على ما قيل[3].

ومنها: رباط ربيع اليمني بأجياد، مشهور يستجاب فيه الدعاء، يقال إنّ الشيخ النووي والشيخ اليافعي سكنا فيه، وعند بابه داخل مقصد الدعاء.

وأما المساجد فكثيرة، منها ما يعرف، ومنها ما لا يعرف.

{٢٥٣} [مسجد الراية]:

ومنها: مسجد الراية بأعلى مكة، المسمى بالمُدّعىٰ، قال ابن ظهيرة: ويعرف بذلك إلى وقتنا، وبجانبه الآن منارة يقال لها منارة أبي شامة، يقال:

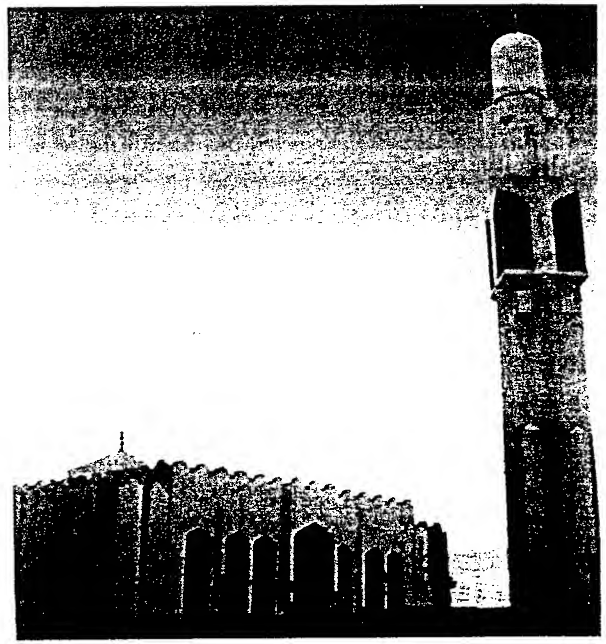
---

(١) الرباط: «ملجأ الفقراء من الصوفية» منزل يُبْنىٰ لإيواء الزهاد والمنقطعين للعبادة من كبار السن بخاصة، وهو قريب بما يعرف بدار المسنّين في هذا الزمن.

(٢) الجامع اللطيف ص ٢٨٩.

(٣) الجامع اللطيف ص ٢٨٩.

إن النبي صلى اله عليه وسلم صلىّ فيه كما نقله الأزرقي[١].



مسجد الراية

{٢٥٤} [مسجد المجزرة]:

ومنها: مسجد بقرب المجزرة في المُدّعىٰ على يسار الصاعد من مكة، يقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم صلّى فيه المغرب، كما هو مكتوب في حجرين هناك[٢].

(١) الجامع اللطيف ص ٢٩٠، موقعه كما ذكر المؤلف (بأعلىٰ مكة عند المدعىٰ) وأنه يبعد من المروة بنحو ٥٠٠م، وكان يعرف بمسجد الجودرية، وجدد بناؤه في عهد الملك عبد العزيز ثم وسع وأعيد بناؤه في عهد خادم الحرمين الشريفين (الملك فهد رحمه الله) ويعرف الآن (بجامع الملك فهد) بالغزة.
(٢) انظر: البحر العميق، ٥/ ٢٦٢٣.

{٢٥٥} [مسجد الغنم]:

ومنها: مسجد الغنم بالمدّعىٰ عند سوقها، روي أنه صلى الله عليه وسلم بايع الناس عنده يوم الفتح، كذا قال الشيخ، والذي ذكره ابن ظهيرة عن الأزرقي من محل مبايعته يوم فتح: هو بين شعب عامر وحرف دار زائفة بمكة. قال: وهو الآن لا يعرف[١].

{٢٥٦} [مسجد المختبأ]:

ومنها: مسجد قريب من مولد النبي صلى الله عليه وسلم، يقال له المختبأ، يزوره الناس الآن. قال الفاسي: «ولم أر من ذكره، ولا عرفت شيئاً من خبره». وذكر العلامة عمر بن فهد: أن هذا المحل معبد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختبئ فيه من الكفار. وعزاه إلى الكوكب المنير لنصر الله الكسائي.

{٢٥٧} [مسجد المتكأ]:

ومنها: مسجد بأجياد ـ بفتح الهمزة ـ أرض بمكة أو جبل بها؛ لكونه موضع خيل تُبّع، والآن محله يسمىٰ: جِياد بكسر الجيم، وهو مناسب لقوله تعالىٰ: ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴾[ص: ٣١]ويقال لهذا المسجد[٢] المتكأ، يقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم اتكأ في موضع منه. قال الأزرقي: إن أهل العلم ينكرون ذلك، وإنما يثبتون أنه صلّى بأجياد الصغير، ولا يوقف على مصلاه أيضاً تحقيقاً: بل حدساً بغير أصل.

(١) والمسجدان صغيران كانا يقعان بالمدعىٰ على مقربة من المروة، حيث كانت المنطقة سوقاً للأغنام ومجزرة، ولعل موقعها الآن بنهاية ساحة التوسعة.
(٢) القرىٰ ص ٦٦٥؛ أخبار مكة للأزرقي، ٢/ ٢٠٣؛ البحر العميق، ٥/ ٢٦٣١.

وبالقرب من باب العمرة موضع يقال له: المتكأ، يروى أنه صلى الله عليه وسلم صلىّ فيه واتكأ، وهو ملاصق لرباط النساء، وبطريق التنعيم موضع آخر يقال له المتكأ، عند العقبة، عليه عَلَم ومبنى بنورة، والناس يقفون عنده يلصقون به ظهورهم. كذا ذكر الشيخ إدريس، والله أعلم بحقيقة ذلك.

أقول: ولعل الذي عند باب العمرة هو الذي قال فيه الشيخ ابن ظهيرة: وأما ما لم يذكر من المساجد ذكره. والله اعلم[١].

{٢٥٨} [مسجد جبل أبي قبيس]:

فمسجد على جبل أبي قبيس يقال له: مسجد إبراهيم، وهو إبراهيم القيسي، كان يسأل عنده لإبراهيم الخليل عليه السلام[٢].

{٢٥٩} [مسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه]:

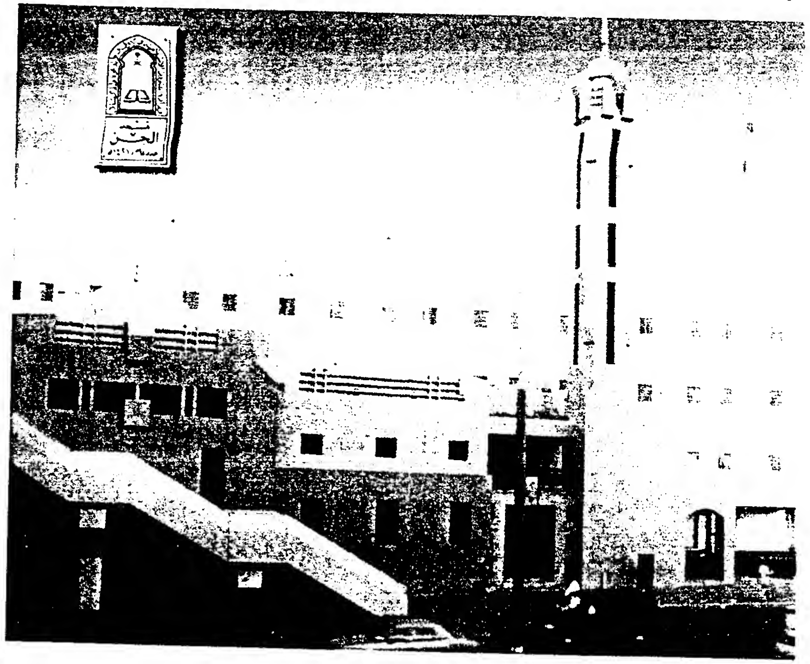
ومسجد بأسفل مكة، ينسب لأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يقال: إنه من داره التي هاجر منها إلى المدينة، ويعرف الآن بدار الهجرة، قال الشيخ أحمد الأسدي: و بها الآن قبة كبيرة فيها تابوت، يزعم الناس أنه مسقط رأس الصديق، ولم أر مَن ذكره ـ على أنه تقدم أن دار الصديق بزقاق الحَجَر ـ انتهى[٣].

(١) قول ابن ظهيرة: «وأما ما لم يذكر من المساجد فمسجد واحد بمكة أمام الصاعد من باب العمرة على يسار الذاهب إلى جهة سوق باب إبراهيم فيه محراب لطيف جداً يقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم صلّى فيه، هذا ما وقفت عليه والله أعلم». الجامع اللطيف ص ٢٩٧.

(٢) انظر: الأزرقي ٢/٢٠٢، الجامع اللطيف ص ٢٩١ ويأتي بالتفصيل في التعريف (بجبل أبي قبيس).

(٣) راجع ما ذكر في (دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه) آنفا، جمعاً بين الروايتين.

وهذه المساجد بمكة.



مسجد الجن

{٢٦٠} [مسجد الجن]:

وأما ما في خارجها فمنها: مسجد الجن، ويقال له: مسجد البيعة، ويسمىٰ مسجد الحرس، وهو معروف مشهور، وهو موضع اجتماعه صلى الله عليه وسلم، ومبايعته لهم، واستماعهم القرآن، أو موضع ترك ابن مسعود [رضي الله عنه] وخط حوله، وقال: ﴿لا تخرج منه حتى أرجع[١]﴾. والله أعلم[٢]،

(١) الحديث أورده السيوطي في الجامع الكبير (مخطوط) ٥/٥٣٣.

(٢) الأزرقي ٢/٢٠١؛ الجامع اللطيف ص ٢٩١. وموقعه: خلف مقبرة المعلا، قبل شارع الحجون على يمين الذاهب إلى الحرم وعلى يسار الصاعد إلى المعلا ـ بل بمحاذاة المعلا ويفصل بينهما الطريق، قريب من شعب الحجون، وهو معروف ومشهور.

ويسمىٰ بمسجد الحرس؛ لأن صاحب الحرس كان يطوف مكة ليلاً وينتظر جماعته يأتون إليه من شعب ابن عامر وثنية المدنيين. قاله الأزرقي[١].

{٢٦١} [مسجد الشجرة]:

ومسجد الشجرة: مقابل مسجد الجن قيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمسجد الحرس فدعا شجرة كانت إليه فأقبلت إليه، فسألها عن شيء ثم أمرها بالرجوع، فرجعت إلى موضعها. وهو غير معروف الآن[٢]. قال الشيخ إدريس: ولعله الذي يقال له مسجد الراية، ويسمىٰ مسجد الحرس.

{٢٦٢} [مسجد المصلّى]:

ومسجد المصلَّى: يصلي فيه العوام المغرب ليلة أربع في شهر الحجة من الرجال والنساء، ثم ينفرون بعد صلاة المغرب، ويقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم صلّى فيه المغرب، وهذا الذي يفعلونه ما له أصل في السنة، بل هو من البدع.

ومعنى قوله: «الذي يقال له مسجد الراية» أي في العرف لا المتقدم ذكره.

{٢٦٣} [مسجد ذي طوىٰ]:

ومسجد بذي طُوَىٰ ـ مثلثة الطاء ـ يصرف ويمنع: موضع قريب الجوخي[٣]

(١) الأزرقي ١/١٦١، انظر: البحر العميق ٥/ ٢٦٢٦.

(٢) انظر: القرىٰ ص ٦٦٤، وموقعه: غير معروف حيث دخل في توسعة الشارع، وبسؤال كبار السن من المنطقة ظهر بأن المسجد كان على مسافة ٣٠٠ متر تقريباً من مسجد الجن في الطرف الثاني من الشارع ـ يمين الذاهب إلى المعابدة ـ ولعل موقعه الآن مركز الدفاع المدني تحت جسر الحجون ـ والله أعلم ـ . وما نقله المؤلف عن الشيخ إدريس، هما مسجدان منفصلان قريبان من مسجد الشجرة وسبق ذكرهما وموقعهما.

(٣) هكذا في المخطوطة ولعل المراد ما يعرف الآن بـ (جرول).

معروف، نزل به صلى الله عليه وسلم حين حجّ، نزل تحت شجرةٍ ثَمَّ، وروى عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أنه قال: حج ألفا نبي من بني إسرائيل عقلوا رواحلهم بذي طُوى واغتسلوا منه. وأفاد الأزرقي: أن زبيدة بنته[١]، وعدّه بن ظهيرة من الغير المعروفة، وهو بعيد جداً.

{٢٦٤} [مسجد الإجابة]:

ومسجد الإجابة في شعب بقرب ثنية إذخر، كذا ذكره الفاسي، وهو مشهور بذلك إلى وقتنا هذا، يقال: إنه صلى الله عليه وسلم صلّى فيه. والله أعلم[٢]. كذا ذكره ابن ظهيرة.

وأما مآثر منىٰ فتقدمت.

{٢٦٥} [مسجد إبراهيم عليه السلام]:

ومسجد عرفة المذكور، ويسمى بمسجد إبراهيم عليه السلام، وجزم به الرافعي والنووي.

وقال ابن جماعة: ليس لذلك أصل، وتبعه الأسنوي. قال الفاسي: وفيه نظر؛ لمخالفتها ما يقتضي كلام الأزرقي، وهو عمدة في هذا الشأن، وهذا المسجد عده في المساجد التي يُستحب زيارتها، قال: وهو أولىٰ بذلك؛ لأن العلة في ذلك إنما هي التبرك، وهذا المسجد من البقاع العظيمة التي لا شك فيها، وكم صلّى فيه من حجّاج الصحابة والتابعين والعلماء والسادات؛ لأن

(١) الأزرقي ٢/٢٠٤، القرىٰ ص ٦٦٥، المسجد اندثر إلا أن الموقع معروف ببئر طوىٰ، وموقعه بجرول أمام مستشفى الولادة، خلف عمائر الجفري.

(٢) الجامع اللطيف ص ٢٩١، وموقعه كما ذكر المؤلف في مدخل ربع ذاخر (بالمعابدة) وقد جدد بنائه.

كون هذا المحل مصلّى الإمام مما يأثره الخلف عن السلف[١].

ومسجد عن يمين الواقف بعرفات يقال له مسجد إبراهيم، وهو غير الذي تقدم، وهو المذكور في المساجد المستحبة الزيارة، ولم يعرف إبراهيم الذي ينسب إليه.

{٢٦٦} [مسجد عائشة رضي الله عنها]:

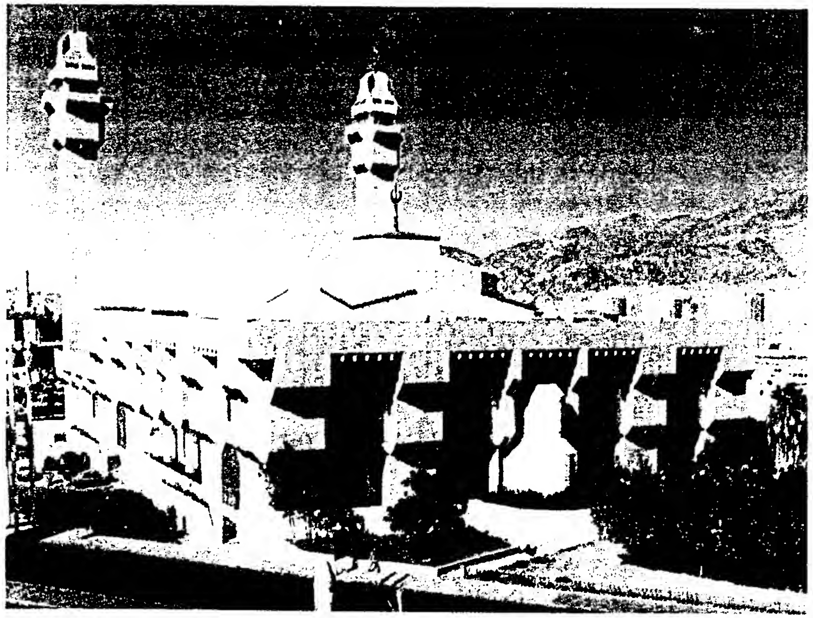
ومسجد عائشة ـ رضي الله عنها ـ بالتنعيم: وهو الذي بقرب الحرم، وقيل: الذي على الأكمة، وقيل: بينه وبين أنصاب الحرم غلوة سهم، قال ابن ظهيرة: والخلاف قديم، ورجح الطبري بأنه الذي بقرب البئر، وهو الموضع الذي يقتضي كلام الخزاعي وغيره. وفي القاموس: والتنعيم موضع على ثلاثة أميال أو أربعة من مكة، أقرب أطراف الحل إلى البيت، سمي به؛ لأن على يمينه جبل نعيم، وعلى يساره جبل ناعم، والوادي اسمه نعمان انتهى[٢].

فائدة: نعمان وادٍ آخر فوق وادي عرفة بقليل، معروف مشهور، وله فضل مسطور، قال البغوي وغيره من المفسرين: إنه وادٍ مقدس وفيه أخذ الله العهد، كذا ذكر ابن ظهيرة وهذا الموضع أفضل مواقيت العمرة.

---

(١) الأزرقي ٢/٢٠٢، الجامع اللطيف ص ٢٩٤، والمسجد بحسب ما ذكر المؤلف أصبح داخل مسجد نمرة من المقدمة حيث محراب المسجد. والله أعلم.

(٢) الجامع اللطيف ص ٢٩٤، ويقع المسجد في التنعيم (ويسمىٰ بمسجد التنعيم) و (مسجد عائشة) و (مسجد العمرة) أيضاً؛ حيث اعتمرت منه السيدة عائشة رضي الله عنها بعد حجها عام حجة الوداع، وموقعه: حي التنعيم، بعد حي الزاهر والشهداء، بعد نهاية حد الحرم من جهة المدينة المنورة، ويبعد عن المسجد الحرام بنحو ستة كيلو مترات، وقد تمّ تجديده وتوسعته في عهد خادم الحرمين الشريفين (الملك فهد رحمه الله تعالىٰ) وأضيفت إليه مرافق كثيرة؛ تسهيلاً للمعتمرين، حيث يعمتر أكثر المعتمرين من داخل مكة المكرمة منه لقربه من المسجد الحرام.



مسجد السيدة عائشة رضي الله عنها

{٢٦٧} [مسجد الجعرانة]:

ومسجد الجِعْرانة[١]: معروف، وهو الذي أحرم منه صلى الله عليه وسلم بعمرة في مرجعه من الطائف بعد فتح مكة، وموضع إحرامه: وراء الوادي عند الحجارة المنصوبة بالعدوة القصوىٰ. ذكره الأزرقي عن مجاهد، واختلف في وقته: والراجح أنه ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة عام الفتح[٢].

---

(١) الجعرانة: موضع بين مكة والطائف، وهو إلى مكة أقرب، وهو من الحل، وهي اليوم قرية في صدر وادي سرف، على بعد نحو ٢٤ كيلومتر من المسجد الحرام في الجهة الشمالية منه، والمسجد قد أعيد بناؤه وتوسعته في عهد خادم الحرمين الشريفين (الملك فهد رحمه الله) وأُضيفت إليه مرافق كثيرة.

(٢) انظر: الجامع اللطيف ص ٢٩٤.

والجِعرانة ـ بجيم مكسورة وعين ساكنة وراء مفتوحة، وبكسرهما وتشديد الراء، وقيل بكسر الجيم وفتح الراء المشددة، وقال الشافعي: التشديد خطأ ـ موضع بين مكة والطائف سُمي بِرِيطَةَ بنت سعد، وكانت تلقب بالجعرانة: وهي امرأة أسد بن عبد العزىٰ، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنها هي التي نزل فيها قوله ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ [النحل: ٩٢]الآية.

{٢٦٨} [فضائل الجعرانة]:

ومن فضائل هذا الموضوع: ما أخرجه الجندي في فضائل مكة بسنده إلى يوسف بن ماهك أنه قال اعتمر من الجعرانة ثلاثمائة نبي[1]، ومنها: ما ذكره الفاكهي أن في جهة الجعرانة ماء شديد العذوبة، يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم فحص موضع الماء بيده الكريمة، وقيل: إنه غرز فيه رمحه الميمون، فنبع الماء من ذلك المحل، فشرب منه وسقى الناس[2].

{٢٦٩} [مسجد الفتح]:

ومسجد بوادي مَرّ الظهران قرب الجموم، يقال له: مسجد الفتح، مشهور بهذا الاسم إلى هذا الزمان يقال إنه صلى الله عليه وسلم صلّى فيه[3]. والله أعلم.

---

(١) أوردها ابن جماعة في هداية السالك ١٢٦٣/٣.

(٢) أخبار مكة للفاكهي ٦٩/٥.

(٣) الجامع اللطيف ص ٢٩٥. موقعه: الجموم وادي مر الظهران، ماء لبني سُليم، يقع على بعد نحو ٢٥كم شمال مكة المكرمة على طريق المدينة المنورة (طريق الهجرة). انظر: تاريخ مكة قديماً وحديثاً ص ١٣٨.

{٢٧٠} [جبال مكة]:

وأما الجبال المأثورة:

{٢٧١} [جبل أبي قبيس]:

فمنها: جبل أبي قبيس أحد أخشبي مكة[1]، سُمي برجل من مَذْحِجٍ حَدَّاد؛ لأنه أول من بنى فيه، كذا في القاموس[2]. وقال ابن ظهيرة في تسميته بأبي قبيس: أرجحها أنه سمي باسم رجل من إياد، يقال له: أبو قبيس، بنىٰ فيه[3]، وكان يسمى الأمين في الجاهلية؛ لأن الحَجَر استودع فيه عام الطوفان، فلما بنىٰ الخليل الكعبة ناداه الجبل: الركن مني بمكان كذا وكذا، فجاء به جبريل فوضعه، وهو أصل الجبال وأولها، كما روي عن ابن عباس وغيره. وذكر الفاكهي: أن الدعاء يستجاب فيه.

وعن وهب بن منبه: أن قبر آدم في غار فيه يقال غار الكنز، وأن نوحا لما جاء الطوفان استخرجه من الغار وجعله في تابوت وحمله في السفينة، فلما غاض الماء أعاده، وهو لا يعرف الآن، وقيل بمسجد الخيف وتقدم، وقيل ببيت المقدس، وقيل بالهند، وصححه الحافظ ابن كثير. وعن

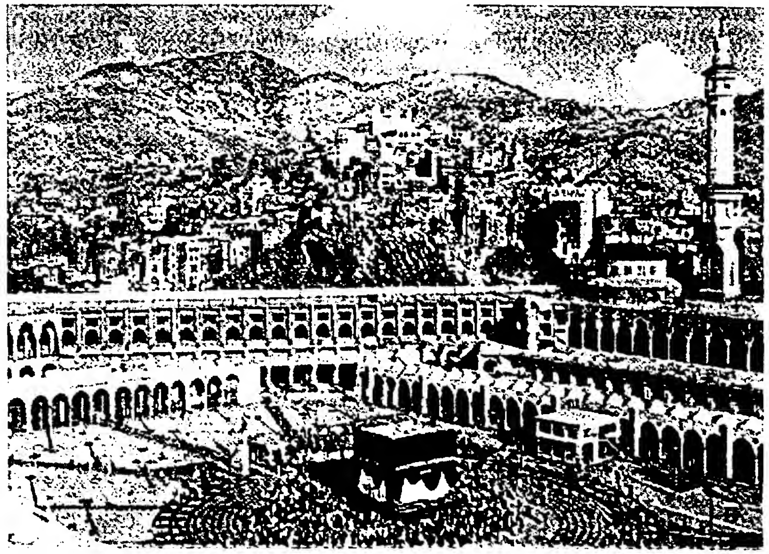
---

(١) وهذا الأخشب الشرقي، والغربي: قعيقعان (ومكة بينهما) وأمام اليوم فلا يعرف الجبل بالاسم المذكور، وإنما تطلق عليه عدة أسماء: جبل السليمانية، والعبادي، والمدافع، قرن، لعلع، الترك، المطابخ، السودان، وجبل الأحمر وهذه أسماء بعضها قديمة وبعضها حديثة. وكلٌ يشرف على حيّ أو أحياء. انظر البحر العميق ١/ ١٢١؛ أودية مكة للبلادي ص ٩٠.

(٢) جبل أبي قبيس ـ بضم القاف ـ وهو الجبل المشرف على الصفا والمسجد الحرام وهو معروف، وإن كان البناء قد ستر الجهة المقابلة للحرم، وتفصل الساحة بينه وبين الحرم. القاموس المحيط (قبس).

(٣) الجامع اللطيف ص ٢٩٨.

الذهبي: أن قبر حواء وشيث فيه أيضاً. والله أعلم(١).



جبل أبي قبيس كما يظهر في خلفية الصورة

وعن بعض العلماء: أنه أفضل جبال مكة حتى من حراء لقربه من الكعبة الشريفة واستشكله الفاسي [من تفضيله على حراء](٢) لكونه صلى الله عليه وسلم كان يكثر إتيانه للعبادة، ويقيم به لأجلها شهراً في كل عام، وفيه أُكْرِم بالرسالة، ولم يتفق له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك في غيره، وذلك مما يقتضي امتيازه بالفضل.

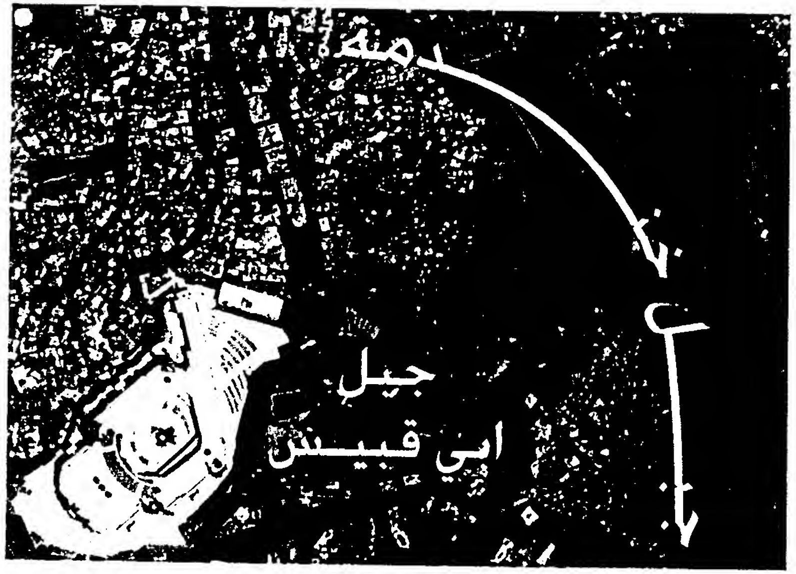
وما فضل دار خديجة على غيرها من دور الصحابة إلا بطول سكناه صلى الله عليه وسلم بها، ونزول الوحي عليه فيها لا لقربه من الكعبة؛ إذ دار

(١) المصدر السابق ص ٢٩٧.

(٢) ما بين المعكوفتين أضيفت من الجامع اللطيف، وبدونها لا تستقيم العبارة. انظر: الجامع اللطيف ص ٢٩٨.

العباس ودار الأرقم أقرب منها(١).

وفي عجائب المخلوقات ـ من خواص جبل أبي قبيس ـ: أن من أكل فيه رأساً مشوياً يأمن من وجع الرأس، وكثير من الناس يفعله. وقال المُلاَّ علي: وأما ما اشتهر من أكل رأس الغنم يوم السبت، فلا أصل له. والله أعلم بحقيقته!(٢).



موقع جبل الخندمة وأبي قبيس

{٢٧٤} [جبل الخندمة]:

جبل الخندمة: وهو معروف خلف جبل أبي قبيس، و روى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: ما أمطرت مكة قط إلا كان للخندمة عزة؛ وذلك

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق نفسه.

أن فيه قبر سبعين نبياً، أخرجه الفاكهي[(١)]، قال العلامة بن ظهيرة بصحته[(٢)].

وفيه يقول القائل في فتح مكة:

إنك لو شهدتِ يوم الخَنْدمة   إذ مـرّ صـفـوان وفـرَّ عكرمة



جبل النور

{٢٧٣} [جبل حِراء]:

وحراء: ككتاب ممدود إن ذُكِّر صرف، وإن أُنث منع، ويسمى جبل النور[(٣)]؛ وكان ذلك لكثرة إقامة النبي صلى الله عليه وسلم به، وتعبد به فيه،

(١) أخبار مكة ٤/١٣٤، وجبل خندمة.

(٢) قال المؤلف: (قال العلامة ابن ظهيرة بصحته) بينما قال: «والله أعلم بصحته» تعليقاً على الرواية كما في الجامع اللطيف ص ٢٩٩، ومن ثم لا أرئ المطابقة، بين القول وبين المفهوم منه، ولعل السهو والتسرع أدىّ إلى هذا.

(٣) الجامع اللطيف ص ٢٩٩. حراء ـ غار حراء ـ: ويعرف الجبل (بجبل النور) والغار الذي

ولما خصه الله به من الإكرام بالرسالة ونزول الوحي عليه بالغار الذي بأعلاه، كما في صحيح البخاري حين فجأه الحق في غار حراء. كذا في الجامع اللطيف[(١)].



غار حراء

وفي المواهب: والصحيح أن أول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم من القرآن (اقرأ) كما صح ذلك عن عائشة، وروي عن أبي موسى الأشعري، وعبيد بن عمير، قال النووي: وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف[(٢)].

كان يتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم في الجبل مشهور بـ (غار حراء)، ومن ثم غلب على الجبل، ويقع جبل النور شمال شرقي المسجد الحرام، والغار عبارة عن فجوة بابها نحو الشمال يتوصل إليه بعد المرور من مدخل بين الحجرين سعته نحو ٦٠سم وطول الغار نحو ٣م، في مقدمته فتحة طبيعية، وعرض الغار متفاوت أقصاه ١,٣٠م وارتفاعه ٢م ويتسع لشخصين. انظر: تاريخ مكة قديماً وحديثاً ص ١٢٤.

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي، ص ١٥٦٨ (ابن حزم)؛ وتفسير ابن عطية ص ١٩٩١. (ابن حزم).

وأما ما روي عن جابر وغيره: أن أول ما نزلت (يا أيها المدثر)، فقال النووي: ضعيف بل باطل. وإنما نزلت بعد فترة الوحي، وأما حديث البيهقي أنه الفاتحة كقول بعض المفسرين، فقال البيهقي: هذا منقطع، فإن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعدما نزلت ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] و﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر]، وقال النووي بعد ذكر هذا القول: بطلانه أظهر من أن يذكر. انتهى. وهو مشهور معروف يأثره السلف عن الخلف.

وذكر الأزرقي والفاكهي: أن النبي صلى الله عليه وسلم اختبأ فيه من المشركين.

قال ابن ظهيرة: والمعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يختبئ من المشركين إلا في غار ثور، لكن يتأيد ما ذكر بما قاله القاضي عياض، والسهيلي في روضه: أن قريشاً حين طلبوا النبي صلى الله عليه وسلم كان على ظهر ثبير، فقال له: اهبط عني يا رسول الله، فإني أخاف أن تقتل وأنت على ظهري فيعذبني الله تعالىٰ، فناداه حِراء: إليَّ يا رسول الله!

وجمع القاضي تقي الدين فقال: إن صحّ اختفاؤه صلى الله عليه وسلم [بحراء فهو][1] غير اختفائه بثور والله أعلم، فيكون اختفاؤه بحراء أولاً، وفي ثور حين الهجرة. انتهى[2].

وفي تذكرة القرطبي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «(فلما تجلّىٰ ربه للجبل جعله دكاً)، صار بعظمته ستة أَجْبُل، فوقعت ثلاثة بمكة: ثور، وثبير، وحراء، وبالمدينة أحد، وورقان،

(١) ما بين المعكوفتين مزيدة من الجامع اللطيف، والعبارة مأخوذة منه، وبغيرها لا تستقيم العبارة.
(٢) الجامع اللطيف، ص ٢٩٩.

ورضوى[1]». والحاصل: أن فضله عظيم وشرفه جسيم، وهو أحد الجبال التي بُني منها البيت الشريف، ومحل ظهور السر المنيف، وقد أفرده ابن فهد الهاشمي بالتصنيف، وما أحسن ما قال العلامة المرجاني فيه شعراً:

تأمل حراء في جمال محياه ... فكم من أناس في حلا حسنه تاهو
فما حوى من جاء لعلياه زائراً ... يفرج عنه الهم في حين مرقاه
به خلوة الهادي الشفيع محمد ... وفيه له غار كان يرقاه
وقبلته للقدس كانت بغاره ... وفيه أتاه الوحي في حال مبداه
وفيه تجلىٰ الروح بالموقف الذي ... به الله في وقت البداءة سواه
وتحت تخوم الأرض في السبع أصله ... ومن بعد هذا اهتز بالسفل أعلاه
ولما تجلىٰ الله قدس ذكره ... لطورٍ، تشظى فهو إحدى شظاياه
ومنها ثبير ثم ثور بمكة ... كذا قد أتىٰ في فقل تاريخ مبداه
وفي طيبة أيضاً ثلاث فعدها ... فعيراً وورقاناً وأحداً رويناه
ويقبل في ساعة الظهر من دعا ... به ويُنادَىٰ من دعانا أجبناه
وفي إحدٰ الأقوال في عقبة حراء ... أتىٰ ثَمَّ قابيل لهابيل غشاه
ومما حوىٰ سراً حوته صخوره ... من التبر إكسيراً يقام بسكناه
سمعت به تسبيحها غير مرة ... وأسمعته غيري فقالوا سمعناه
وفيه مركز النور الالهي مثبتاً ... فلله ما أحلا مقاماً بأعلاه[2]

وقول الناظم: (فعيراً)، صوابه: فرضوىٰ؛ كما في الحديث السابق؛ ولأن (عيراً) مبغوض كما ورد، والحكمة في كونه صلى الله عليه وسلم لازم فيه

(١) رواه ابن شيبة في تاريخ المدينة ١/ ٧٩؛ والأزرقي ٢/ ٢٨٠؛ والفاكهي ٤/ ٨١.
(٢) بهجة النفوس والأسرار، للمرجاني، ١/ ١٣٣.

التعبد دون غيره ما فيه من السر الإلهي الذي أودعه فيه؛ لأن الله تعالىٰ في كل شيء أسراراً ربانية، ولطائف رحمانية يختص بها عن غيره، أو ما قيل من أنه مُخْتَلى أجداده الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام، أو غير ذلك والله أعلم بما هنالك[1].

{٢٧٤} [جبل ثور]:

وجبل ثَوْر[2]: وهو معروف بأسفل مكة، بينه وبينها ميلان، وقيل: ثلاثة، وارتفاعه نحو ميل، ويقال له: ثور أطحل، واسم الجبل أطحل نزله ثور بن عبد مناف، فنُسب إليه، كذا في القاموس[3].

وقال الشيخ إدريس: (ثَوْر) ـ بفتح المثلثة وسكون الواو ـ وهو ابن حجفل الهذلي، وقيل هو ثور بن آدم طابخة بن إلياس بن مضر، أبو القبيلة المشهورة: رهط.

ومنهم سفيان الثوري، وهذا الجبل فيه الغار المذكور في قوله تعالىٰ ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] الآية الذي اختفىٰ فيه النبي صلى الله عليه وسلم حين هاجر، وروىٰ رزين ابن أبي بكر لما رأى القافة، اشتد حزُنه علىٰ النبي صلى الله عليه

(١) انظر الجامع اللطيف ص ٢٩٩، ٣٠٠.

(٢) جبل ثَوْر ـ غار ثور ـ يقع الجبل في جنوب المسجد الحرام في جهة المسفلة بحي الهجرة على يمين السائر على الطريق الدائري باتجاه مزدلفة، ويبعد عن المسجد الحرام ثلاثة كيلومترات، ويبلغ ارتفاعه نحو ٧٥٩ متراً، والغار مساحته نحو مترين مربعين، وله فتحتان من الأمام والخلف، والغار عبارة عن صخرة مجوفة كبيرة، والدخول إليه يكون بانحناء، وقد غيرت عوامل التعرية فيه الكثير. وهذا الغار دون القمة، وصعب المرتقىٰ، ويستغرق الصعود إليه نحو ساعة ونصف.

(٣) القاموس المحيط (نور).

وسلم، وقال: إن قتلتُ فإنما أنا رجل واحد، وإن قتلتَ أنت هلكَتَ الأمة. فعندها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تحزن إن الله معنا، يعني: في المعونة، وفي النصر.

وفي الصحيح عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، قال أبو بكر: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه!! رآنا؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»؟[1].



غار ثور (بجبل ثور)

وروي أن أبا بكر رضي الله عنه قال: نظرت إلى قدمَي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وقد تفطرتا دما، فاستبكيت وعلمت أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن تعود الحفا والحفوة، وأنه رأى جُحْراً فيه فألقمه عقبه؛

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٣) ومسلم (٢٣٨١).



موقع جبلي النور والثور بالنسبة للكعبة المشرفة

{٢٧٥} [فضائل ثور]:

ومن فضائل ثور: ما يروى أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم، وقال له: إليَّ يا رسول الله فإني قد آويت قبلك سبعين نبياً[١]، وما قال المرجاني في بهجة النفوس: ذكر لي أن رجلاً كان معه مال وبنون، وأنه أصيب بذلك، فلم يحزن ولم يجزع على مصائبه بقوة صبره وتحمله، قال: فسألته عن قوة صبره وحسن تحمله؟ قال: إن مَنْ دخل غار ثور الذي آوى النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبا بكر رضي الله عنه، وسأل الله تعالىٰ أن يذهب عنه الحزن. لم يحزن على شيء، وقد فعلت ذلك فما وجدت قط حزناً، قال المرجاني: هذه الخاصة من تأثير قوله تعالىٰ ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وما نقل عن البكري ـ رحمه الله ـ أنه قال في جبل ثور: مِنْ كل نبات الحجاز، وفيه شجرة مَنْ حمل منها شيئا لم تلدغه هامة.

ونقل الفاسي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّ قَتْلَ قابيل أخاه هابيل كان في ثور[٢].

وفضل هذا الجبل عظيم، ولو لم يكن من ذلك إلا ذكر غاره في القرآن لكفىٰ؛ ولأجل ذلك فضله على حراء [جماعة]، منهم الفيروزآبادي، ولابن فهد فيه تأليف حسن سماه: «النور في فضائل جبل ثور» والغار الذي فيه بابان

(١) انظر: الجامع اللطيف ص ٣٠٠. هذا الحديث ورد في فضل (حراء) والقائل هو حراء، كما ذكر المرجاني في بهجة النفوس ، ١/ ١٣٢ وابن الضياء في البحر العميق، ٥/٢٦٥٤؛ وقال السهيلي في حديث الهجرة: وأحسب في الحديث أن ثوراً ناداه أيضاً لما قال له ثبير:اهبط عني» كما نقل صاحب البحر العميق، ٥/ ٢٦٥٤.

(٢) راجع المصدر السابق نفسه.

واسع وضيق، وكثير من الناس يدخله، أي الضيق؛ لِما يقال: إن من لم يدخل منه وتعوق فليس لأبيه: باطل لا أصل له، وقد وسع في عام ثمانمائة؛ لأن بعض الناس أراد الدخول فانحبس، فنحت منه وتخلص. كذا في الجامع اللطيف[1].

{٢٧٦} [جبل ثبير]:

وجبل ثبير وتقدم الكلام عليه في الكلام على منىٰ. والله أعلم.

فهذه المآثر الجلية يستحب زيارتها والتردد إليها للتبرك بآثار المصطفى صلى الله عليه وسلم، وللانتشاق من فضل ذوي الفضل والنور الوفاء، والتعفر بتراب نعل سيد ذوي الاصطفاء بسوائد القلوب، كشأن أهل الوفاء.

{٢٧٧} [بعض أحوال العارفين]:

يحكى أن الإمام السبكي - رحمه الله - لما دخل مدرسة النووي وقد أعطي تدريسه، صار يعفر جلده بالأرض حتى وصل إلى محله وهو ينشد:

وفي دار الحديث لطيف معنى ... إلى بسط لها أصبو وآوي
لعلي أن أنال بِحُرِّ وجهي ... مكاناً مسه قدم النواوي

وإذا كان هذا في حق بعض الأولياء من أمته الذين قاموا بخدمته، فكيف به وبأثره صلى الله عليه وسلم وشرَّفَ وكرمَ ومُجِّدَ وعظّم، وما أحسن قول الشيخ إدريس رحمه الله تعالىٰ:

إذا حلت ركابك سوح قوم ... وأنت مقصر عاصي الجليل

(١) ص ٣٠٠، ٣٠١.

فأيقن أنك الناجي وعفر ... بسوح حله قدم الرسول

وقال أيضاً:

إذا أفنيت عمرك في معاصٍ ... فتب واقلع من الذنب المسيء
تفوز مع الأكابر ثم عفر ... بسوح مسَّه نعل النبي

ويقول الفقير رحمه الله تعالىٰ:

وفي أثر الرسول لنا شفاءٌ ... لقلب ذاب من حر السقامِ
وروح دائماً ولطيف معنىً ... تطير إليه أرواح الغرامِ
فتعْفير القلوب لديه فضل ... من الرحمن فاشكر بالتزامِ
وعفر ديمة فيه خدوداً ... لتحظى بالسعادة والمرامِ
وأكثر دائماً فيه صلاة ... على المختار من بين الأنامِ

ولله ما أنسب بهذا المقام قول أبي اليمن بن عساكر في النعل الشريف وأثره، رضي الله عنه وأرضاه:

يا منشدا في رسم ربع خال ... ومناشداً لدوارس الأطلالِ
دع ندب آثارٍ وذكر مآثر ... لأحبة بانوا وعصرٍ خالِ
والثم ثرى الأثر الكريم فحبذاً ... إن فزدت عنه بلثم ذا التمثالِ
أثرٌ له بقلوبنا أثر لها ... شغل الخلي بحب ذات الخالِ
قبل لك الإقبال نعلي أخمص ... حل الهلال بها محل قبالِ
الصق بها قلباً يقلبه الهوى ... وجْلا على الأوصاب والأوجال

صافح بها خداً وعَفِّر وجْنةً   في تربها وجداً وفرط ثقالِ
وسبيل حرِّجوىً ثوى بجوانح   في الحب ما جنحت إلى الإبدالِ
يا شبه نعل المصطفىٰ روحي الفدا   لمحلك الأسما الشريف العالِ
هملت لمرآك العيون وقدنا   مرمى العيون بغير ما إرسالِ
وتذكرت عهد العقيق فناثرت   شوقاً عقيق المدمع الهطال
وصبت فواصلت الحنين إلى الذي   ما زال بالي منه في بِلْبَال
أذكرتني قدما لها قدم العلا   والجود والمعروف والأفضال
أذكرتني من لم يزل ذكري له   يعتاد في الأبكار والآصال
ولها المفاخر والمآثر في الدنا   والدين في الأقوال والأفعال
لو أن خدي يحتذى نعلا لها   لبلغت من نيل المنى آمالي
أو أن أجفاني لوطىء نعالها   أرض سمت عزاً بهم ندى الإذلالِ

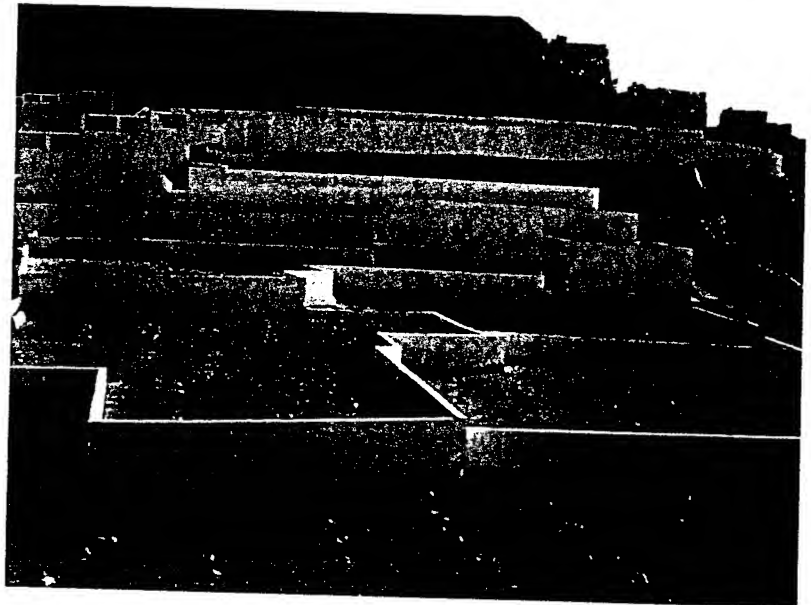
فتأمل يا أخي. حال أكابر السادات، واقتباس أهل العرفان والولايات، وانتشاق أهل المواهب والعنايات، فطوبىٰ لهم منحوا من الكرامات وبما أعطوا من صفو المشارب وأعلىٰ المرامات.

{٢٧٨} [مقبرة المعلا]:

وأما المقابر فأعظمها وأشرفها المعْلا(١)؛ لِما حوته من سادات الصحابة

(١) الأزرقي ٢/٢٠٩ ـ ٢١٠، الجامع اللطيف ص ٣٠٣، مقبرة المَعْلا: تقع في الحجون ملاصقة لسفح جبل البُرم (أبو دجانة) على يسار الذاهب إلى منىٰ، وتمتد المقبرة من الكمالية إلى الخرمانية ثم إلى ربع ذاخر، وهي من أكبر المقابر بمكة، وقد شق طريق من وسطها فصارت كأنها مقبرتان، وهي مسوّرة من جميع الجهات.

والتابعين وكبار العلماء والصالحين رضوان الله عليهم أجمعين، وهو ـ بفتح اللام ـ ضد المسفلة(١)، واشتهر بين العوام ـ بضم الميم وتشديد اللام المفتوحة ـ، وله وجه في العربية كذا قال الملا علي، وقال أيضاً: وهو أفضل مقابر المسلمين بعد البقيع، وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة، فمن ذلك ما في المدارك: عنه صلى الله عليه وسلم: «الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة(٢)». وهما مقبرتا مكة والمدينة.



جانب من مقبرة المعلا

(١) المسفلة ـ بفتح الميم وسكون المهملة ـ وتطلق على ما انحدر من المسجد الحرام، وقد أصبحت الآن علماً على حيّ من مكة، يمتد من المسجد الحرام جنوباً غرباً. انظر: معجم معالم الحجاز ٨/١٥٤.

(٢) ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (٣٩٢)، وقال الزيلعي: «غريب جداً» كما في تخريج الأحاديث الواقعة في الكشاف (٢٠٩)، وذكره الملا علي القارئ في الأسرار المزفوعة وقال: «لا يعرف له أصل» (١٦٩).

{٢٧٩} [فضل المعلا]:

وعنه صلى الله عليه وسلم: ﴿أنه سأل الله تعالىٰ عما لأهل البقيع الغرقد؟ فقال: لهم الجنة، فقال يا رب ما لأهل المعلا ؟ قال: يا محمد تسألني عن جوارك ولا تسألني عن جواري﴾.

وعن ابن مسعود رضي الله عنهما قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ثنية المقبرة وليس بها يومئذ مقبرة، فقال: ﴿يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم سبعين ألفاً، يدخلون الجنة بغير حساب، يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفاً، وجوههم كالقمر في ليلة البدر، فقال أبو بكر: من هم يا رسول الله؟ قال: من الغرباء[١]﴾، وهو يحتمل حمله على الحقيقة أو على من تحقق بقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿كن في الدنيا كأنك غريب[٢]﴾، وهم صالحوها، وهم غير محصورين؛ لأنها معدن الأولياء وبرزخ الأصفياء. ويقال عن أهل مكة: إن هذه البقعة هي الشعبة التي فيها الشيخ عبد الوهاب الكبير المشهور، ويسمونها شعبة النور وإنهم يُبعثون مُتَوَّجين. وقيل: هي التي فيها السيدة خديجة، والفُضَيل وغيرهما من الأكابر. والله أعلم بصحة ذلك.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه صلى الله عليه وسلم قال لِمَقبرة مكة: ﴿نعم المقبرة هذه[٣]﴾ وروى الفاكهي عن الزهري مرسلاً أن النبي صلى

(١) الحديث بطوله رواه الفاكهي في أخبار مكة ٤/٥١، وعزاه المتقي الهندي إلى الديلمي، كنز العمال (٣٤٩٦٠).
(٢) أخرجه البخاري (٦٠٥٣).
(٣) عزاه الهيثمي إلى أحمد والبزار والطبراني وقال: «وفيه إبراهيم بن أبي خداس حدث عن ابن جريج وابن عيينة كما قال أبو حاتم، ولم يضعفه أحمد وبقية رجاله رجال الصحيح» مجمع الزوائد ٣/٢٩٧.

الله عليه وسلم قال: ﴿من قبر بمكة جاء آمناً يوم القيامة، ومن قبر بالمدينة كنت عليه شهيداً وله شافعاً[١]﴾.

وروي أيضاً عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، ثم تنشق عن أبي بكر، وعمر، ثم تنشق عن الحرمين، ثم أُبعث بينهما هكذا، وجعل أصابعه السبابة والوسطىٰ[٢]﴾.

{٢٨٠} [حال أهل المعلا]:

وروى ابن أبي السمعاني في تاريخه عن بعض الأخيار: أنه رأى في المنام كأن إنساناً مدفوناً بالمعلا، استخرج ومروا به إلى موضع آخر. قال: فسألت عن حاله؟ فقالوا: هذه المقبرة منزهة عن أهل البدع لا تقبل أرضها مبتدعاً.

وقال بعض الصالحين: كشف لي عن أهل المعلاة، فقلت لهم: أتجدون نفعاً بما يهدىٰ إليكم من قراءة ونحوها؟ فقالوا: لسنا محتاجين إلى ذلك، فقلت لهم: ما منكم أحد واقف الحال؟ فقالوا: [وهل][٣] يقف حال أحد في هذا المكان!

والحاصل أنه محل شريف، وقد قال بعض العلماء: إن الدعاء يستجاب فيه في أماكن، فمنها: عند تربة السيدة خديجة رضي الله عنها، وليس قبرها معيناً بيقين، بل ولا يعرف قبر صحابي ولا صحابية إلا أن بعض الصالحين رأى في المنام: أن قبرها بقرب قبر الفضيل بن عياض وبنىٰ عليه قبة هنالك

(١) الفاكهي في أخبار مكة ٣/٦٨.
(٢) أخرج الترمذي نحوه (٣٦٩٢) وقال: «حديث غريب وعاصم بن عمر ليس بالحافظ»؛ وابن حبان في صحيحه ١٥/٣٢٤.
(٣) في الأصل (وهل) والمثبت من بهجة النفوس للمرجاني، (حيث نقل الخبر) ٢/ ٤٢٣.

معروفة الآن، ولا ينبغي تعيينه على الأمر المجهول، ولا شك أنها ماتت بمكة.

{٢٨١} [القبر المنسوب لابن عمر رضي الله عنهما]:

والقبر المنسوب لابن عمر غير صحيح، ولا يعرف قبره بعينه، مع الاتفاق أنه مات بمكة، إلا أن بعض الصالحين أشار إلى أنه بالجبل المقابل للمعلاة، على يمين الخارج من مكة المشرفة، والصحيح أنه ليس به.

وذكر الأزرقي: أن قبره بالمقبرة العليا بالخُرمانية ـ بين المعابدة وثنية ذاخر ـ عند قبور آل عبد الله بن خالد بن أسد؛ لأنه مات عندهم، وكان صديقاً له، فلما حضرته الوفاة أوصىٰ بأن لا يصلي عليه الحَجَّاج، فلما قُضي عليه، صلّى عليه عبد الله بن خالد ـ ودفنه عند باب داره ليلاً[1]؛ وفيه رد على القول الثاني، وقيل: بوادي سَرِف، وقيل غير ذلك.

{٢٨٢} [قبر عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما]:

وأما قبر سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، فلا يصح كونه في موضعه المعروف عند قبور السادة الصوفية، ولعله كان موضع صلبه، كذا قال المُلاَّ علي.

{٢٨٣} [قبر سفيان بن عيينة]:

ومنها: قبر سفيان بن عيينة، قال الشيخ إدريس: ومما اتفق لي أني كنت يوماً بعد العصر عند شجرة أراك قرب الحجون عند قبور بيت المرسي،

(١) أخرجه الأزرقي ٢/٢١٠ ـ ٢١١.

وكانوا وزراء مكة، وأرىٰ بعض انشراح ونور، فسألت الحفار هل أحد مدفون في هذه التربة من الصالحين؟ قال نعم: أصل هذه التربة كانت تعرف بقبر سفيان ابن عيينة.

{٢٨٤} [أسماء بعض من دُفنوا بالمعلا]:

ومنها: الحوطة التي قرب السيدة خديجة، المعروفة بحوطة: الفضيل بن عياض، فيها قبره وقبور كثير من أكابر الأولياء ـ كالشيخ الإمام أبي القاسم القشيري صاحب الرسالة، والشيخ اليافعي، وولده عبد الرحمن ـ شيخ سيدي عمر العرابي ـ والشيخ تقي الدين السبكي ـ والشيخ الكبير السبكي، ومشايخ بني الطواشي، وغيرهم من الأكابر.

ومنها: عند قبر الشيخ المناوي قرب الحوطة المذكورة، يقصده أهل مكة ليلة أربع في شهر ذي الحجة.

ونقل عن الشيخ المالكي: أن الدعاء يستجاب عند ثلاثة أماكن: عند قبور سماسرة الخير، وعند قبر الولي، وعند قبر إمام الحرمين عبد المحسن بن أبي عبد الحميد، وقبور سماسرة الخير عند الشيخ العرابي وبين البئر التي يغسلون منها الموتى وإليها أقرب، وكانت ثَمَّ قبة ولا أثر لها الآن.

وأما قبر الشولي وإمام الحرمين فمعروفان.

ومنها: بين ضريح الشيخ العرابي والشيخ الشولي وعند الشيخ الكرماني وقبور السادة بني زكريا، ومنها عند قبر الشيخ عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة في طريق الناس حذاء قبر الشيخ ابن حجر المكي.

ومنها: عند قرب الدلاصي بالقرب من الجبل.

قال المرجاني في بهجة النفوس يقال: إن الدعاء عند قبره مستجاب، والظاهر أن هذا الجبل قرب تربة بني الشيخ بن عراق، وقرب السادة: أولاد السيد عمر المصري، ومنها حوطة السادة آل علوي، ومنها قبور الأشراف سلاطين مكة القتاديين.

ومنها: عند قبر الشيخ النسفي عن يمين، وهو معروف مشهور في طرف المعلا، يقال إنه: يقرأ له ما تيسر ثم يستقبل القبلة، فيكون ابن عباس عن اليسار والنسفي عن اليمين، ثم يدعو، فهذا ما ذكر في المعلاة من أماكن الإجابة، فينبغي الحرص على الدعاء فيها رجاء القبول[1].

واعلم أن أهل مكة كانوا يدفنون موتاهم في جنبتي الوادي يمنة وشامة، ثم حول الناس جميعاً قبورهم في الشعب الأيسر، كذا قال الأزرقي، والمراد باليمن هو شعب أبي دب المعروف بشعب العفاريت، وفيه كان يدفن في الجاهلية وصدر الإسلام.

{٢٨٥} [قبر أم النبي صلى الله عليه وسلم]:

ويقال: إن قبر آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم فيه، وأنه جاء إليها وزارها، وهو لا ينافي أنه بالحجون؛ لأن العلماء اختلفوا فيه: فقيل: هو الجبل المحاذي لمسجد الحرس على يمينك وأنت مصعد، وعليه الأزرقي

---

(١) هكذا ذكره ابن ظهيره في الجامع اللطيف، ص ٣٠٤، ولم يُعرف عن القرون الفاضلة شيء من هذه الأمور، في زيارة القبور، وإنما كانوا يلتزمون بالمأثور عن المصطفى ﷺ من الدعاء للأموات، ثم الاتعاظ والاعتبار بالسابقين، ومواطن إجابة الدعاء حددها الشرع مكاناً وزماناً وحالاً كما سبق، ولا يجوز إدخال شيء في هذه المواطن مالم يرد عن المعصوم صلى الله عليه وسلم في ذلك خبر، فينبغي التحرز والمنع سداً لذريعة الشرك في هذا الباب، والاكتفاء بالوارد، حفظاً لجناب التوحيد.

والنووي والخزاعي والفاكهي والفاسي، وقيل: هو الجبل الذي فيه الثنية التي يدخل منها الحجاج الهابطة على المقبرة، وعرّفها الأزرقي ثنية المدنيين، وهو المشهور عند أهل مكة، وفي بعض كلام المحب الطبري ما يوافقه.

وقيل: قبرها في غير هذه الشعبة من المعلاة، ـ وقيل بالأبواء[1] وهو المشهور.

والمراد بالجانب الشامي شعب الصفيّ ـ بالتحتية المشددة ـ المسمّىٰ قديماً بصفي الشباب، وهو عند أذاخر والخرمانية: وهي المقبرة العليا[2] التي كان يدفن فيها في الجاهلية وصدر الإسلام، أيضاً فيه قبر عبد الله بن عمر كما تقدم[3].

والآن كلا المقبرتين ذهبتا، فينبغي التيقظ لزيرتهما لما فيهما من الأخيار.

{٢٨٦} [مقبرة المهاجرين]:

ومنها مقبرة المهاجرين[4] بالحصحاص وهي كما يقتضيه كلام الأزرقي ما

---

(١) الأبواء: «قرية من أعمال الفرع من المدينة، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً..». معجم معالم الحجاز، ١/ ٣٧.

(٢) ويعرف بـ (مقبرة الخرمانية) تقع بالمعابدة أمام مدخل شعب أذاخر (ربع ذاخر) وهي مقبرة صغيرة مثلثة الشكل على يمين الصاعد إلى منىٰ من الشارع العام، ويرجع عهدها إلى أيام الجاهلية.

(٣) قال الفاسي: ـ تعليقاً على قول الأزرقي ـ «من كون عبد الله بن عمر دفن بالمقبرة العليا، يدفع ما يقال إنه مدفون بالجبل الذي بالمعلاة، ولا أعلم في ذلك دليلاً، وهو بعيد من الصواب» شفاء الغرام ١/ ٤٥٧.

(٤) انظر: الأزرقي ٢/ ٨٣٣؛ شفاء الغرام ١/ ٤٥٧؛ الجامع اللطيف ص ٣٠٦، مقبرة المهاجرين: تقع على يمين الهابط مع ربع الكُحل (الزاهر) بأصل الجبل، وقد شق طريق من هذه المقبرة قسمها إلى قسمين.

بين فخ والجبل المسمى بالمقلع وبالبكائية، لبكائه على النبي صلى الله عليه وسلم حين هاجر على ما قيل، وهو مشهور بذلك إلى اليوم.

قال ابن ظهيرة: فتكون المقبرة في المحل المعروف بالمختلع، ثم قال: وسبب تسميتها بمقبرة المهاجرين أن جندع بجيم ونون ـ ابن أبي ضمرة ـ بمعجمة ـ بن أبي العاص اشتكىٰ وهو بمكة فخاف على نفسه، فخرج يريد الهجرة إلى المدينة المنورة، فأدركه الموت وهو بهذا المحل، فدفن فيه، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٠٠] الآية فسميت مقبرة المهاجرين، أخرجه الأزرقي[١].

وقد وقع مثل ذلك لغير جندع أيضاً، فدفن هنالك.

ودفن بهذا الموضع أيضاً جماعة من العلويين، قتلوا فيه في حرب وقعت بينهم وبين موسى الهادي في عام تسع وتسعين ومائة، وفيه أيضاً جماعة من الأنصار، ويسمى هذا المحل بإضاءة بني غفار، وهي التي في قوله صلى الله عليه وسلم: «أتاني جبريل وأنا بأضاءة بني غفار، فقال: يا محمد إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف، فقلت: أسأل الله المعافاة، فقال: إنه يأمرك أن تقرأه على حرفين، فقلت: أسأل الله المعافاة، فقال: إنه يأمرك أن تقرأه على ثلاثة أحرف، فقلت: أسأل الله المعافاة، قال: فإنه يأمرك أن تقرأه على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ[٢]»، واختلف ما المراد بسبعة أحرف؟ فقيل: سبع لغات، وقيل غير ذلك[٣].

---

(١) وقال محققه «إسناد صحيح». الأزرقي ٢/ ٨٣٣، وانظر: الجامع اللطيف ص ٣٠٦.
(٢) الأزرقي ٢/ ٢١٣؛ والفاكهي ٥/ ٩٨.
(٣) الجامع اللطيف ص ٣٠٦.

وفي القاموس: وذو الحَصْحَاص: جبل مشرف على طوىٰ، وفيه أيضاً في مادة: [الفخ] أن الفخ موضع بمكة، ودفن فيه ابن عمر رضي الله عنهما[١].

{٢٨٧} [مقبرة الشهداء]:

وقال بعض الأخيار: مما يستجاب فيه الدعاء عند قبور الشهداء أصل لسفح بطريق التنعيم. أقول: وهي مشهورة[٢] عند أهل مكة آخر الزاهر، وليس لي علم هل هو كذلك أو هي المقبرة المذكورة؟

{٢٨٨} [مقبرة الشبيكة]:

ومنها مقبرة الشبيكة[٣]: وهي مقبرة عظيمة لما حوته من أهل الخير والغرباء، لاسيما الطرحاء، فإنهم كانوا يدفنون غالباً فيها، وفيها من السادة قبور آل باعلوي، منهم: السيد الجليل العارف بالله تعالىٰ عبد الله بافقيه العيدروس، وتربة بني المساوىٰ، وتربة الشيخ الكبير ياسين بن عبد الكبير الحضرمي الأنصاري، وقبر الشيخ الغماري، وهو مشهور بتيسير قضاء الدين، فإن أهل مكة يكتبون ديونهم في شيء من الطين ويرمونه على قبره في عشر ذي الحجة، وبعضهم في أول أربعاء من ذي القعدة[٤].

وبقرب منها قبر السيد الشريف الولي المجذوب عبد الرحمن المغربي الإدريسي المعروف بالمحبوب.

---

(١) القاموس المحيط (حصص، فخّ).
(٢) وهي مشهورة ومعروفة (بالشهداء) على يمين الذاهب إلى الحرم والشارع العام.
(٣) مقبرة الشبيكة: تقع في حي الشبيكة أسفل جبل عمر ويمر من جانبها نفق أرضي للسيارات بني حديثاً، وهي محاطة بسور.
(٤) وبفضل الله تعالى ذهبت جميع تلك البدع والعادات التي لا أصل لها من الدين.

وقريب منه ضريح السيد الجليل المستتر بدنياه للإخلاص في معاملة مولاه، صاحب الكشف الكثير على ما أخبر الجم الغفير السيد جعفر بن ميره الأزبكي.

وفي أقصىٰ الشبيكة قبر الشيخ الولي محمود بن إبراهيم بن أدهم، وحوله قبور بعض أخيار أغراب وأعراب.

{٢٨٩} [شعب بني عامر]:

ومن الأماكن المأثورة المشهورة: شعب بني عامر المعروف، واشتهر بدون لفظ ابن، يقال إن الأولياء تجتمع فيه، ويشير إليه كلام سيدي العارف بالله تعالىٰ السيد باعلوي الحداد رحمه الله تعالىٰ في رؤيته حيث قال:

بعامرها للصادقين عمارة القلوب بفياض من الفضل غامر

وفيه قبر سيدي الشريف الولي والد سيدي أحمد البدوي، وبعض أولاده.

وفيه أيضاً قبر سيدي الشريف صاحب الكرامات[1] حياً وميتاً السيد نعمة الله عليه.

{٢٩٠} [الفَلَق]:

ومنها وادي شطىٰ ويسمى بالفلق: وهو وادٍ عظيم الفضل، ولكثير من الأولياء به استئناس وروح كشعب عامر، ولذا يذكرونهما في قصائدهم، وفيه

(١) إن الكرامات ثابتة لصالحي أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة، إلا أن هذه الكرامات تثبت في حال حياتهم، أما بعد الموت فلا يصحّ ولا يثبت شيء من ذلك لأحدٍ من البشر.

قبر الشيخ الولي المحبوب الولي لله أبي السعود ابن هبة الله، وبأعلىٰ جبله إلى جهة المعلا قبر الشيخ الولي البادي المعروف بالعبادي، وفي أقصىٰ سفله بالمكان المعروف بجبل ولي ضريح سيدي العارف بالله تعالىٰ تاج الدين، ويقرب منه ضريح الشيخ الولي العادلي رحم الله الجميع وأمدنا بمددهم الفائض الوسيع[1].

{٢٩١} [قبر السيدة ميمونة رضي الله عنها]:

وعن المقابر التي في الحرم[2]: قبر السيدة أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وخالة عبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وهو معروف بطريق وادي مرّ، بمحل يقال له سَرِف ـ بفتح سين مهملة وكسر راء ـ كذلك على سبعة أميال على الأقرب ويعرف الآن بالنوارية.

وقال الفاسي: ولا أعلم بمكة ولا فيما قرب منها قبر أحدٍ ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى هذا القبر؛ لأن الخلف يأثره عن السلف.

ومما يقرب من هذا المحل قبر على الجبل المشرف على البرقة بوادي مر، يزعم أهله أنه قبر مريم بنت عمران، ويقصدونه بالزيارة والنذور ويذبحون عنده[3]، ولا يعلم لهم في ذلك سند ولا سلف. والله أعلم بحقيقته.

(١) المدَدَ والعون لا يطلب إلا من الله عز وجل وحده مباشرة، إذ لا يملك النفع والضر إلا الله سبحانه وتعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ الأعراف: ١٨٨.

(٢) قبر السيدة ميمونة رضي الله عنها بخارج الحرم بعد التنعيم في طريق المدينة المنورة.

(٣) وبفضل الله عز وجل ثم بتضافر جهود العلماء مع ولاة الأمر اختفت جميع تلك المظاهر والعادات الشركية والبدعية الدخيلة على العقيدة الإسلامية، ولا زالت موجودة في بعض

{٢٩٢} [قبر ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف]:

ومما يقرب من الحرم من المقابر الشريفة: قبر سيدنا عبد الله بن عباس وترجمان القرآن رضي الله عنهما بالطائف، وحوله قبور مباركة، فينبغي زيارته وما حوله.

قال صاحب القاموس: والطائف العَسَس، وبلاد ثقيف في واد: أوّل قراها القيم، وآخرها الوهط، سميت بذلك؛ لأنها طافت على الماء في الطوفان؛ أو لأن جبريل طاف بها على البيت؛ ولأنها كانت بالشام فنقلها الله تعالىٰ إلى الحجاز بدعوة إبراهيم عليه السلام؛ أو لأن رجلاً من الصَّدِف أصاب دماً بحضرموت ففر إلى وَجّ وحَالف مسعود بن مُعَتّب، وكان له مال عظيم، فقال: هل لكم أن أبني طَوْفاً عليكم يكون لكم رِدْءاً من العرب؟ فقالوا: نعم فبناه، وهو الحائط المطيف به[1].أ هـ.

ومعنى القول الثاني: أن جبريل عليه السلام اقتلعها من محلها على ما ذكره بعض المفسرين.

الثالث: أنه اقتلعها من الشام وطاف بها سبعاً، إجابة لقول دعوة إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة:١٢٦].

وقال صاحب المطالع: الطائف هو وادي وجّ، هو ـ بفتح الواو والجيم المشددة ـ، سمي باسم وجّ بن عبد الحق من العمالقة.

وفي القاموس: و(وجّ) اسم وادٍ بالطائف، لا بلد به[2].

دول العالم الإسلامي، ردّ الله تعالىٰ هؤلاء المسلمين إلى رشدهم، ليعودوا إلى عقيدة التوحيد الصافية السليمة.

(١) القاموس المحيط (طوف).

(٢) المصدر السابق (وجّ)، «وهو وادي الطائف، وادٍ فحل يأخذ من شفا هذيل، حيث يقاسم

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن صيد وجّ وعِضَاهَه حرام محرم لله عز وجل[1]» قال النووي: وإسناده ضعيف، وذكر الطبري في تحريم صيده احتمالين: أن يكون على وجه الحمىٰ ـ. ثم قال: وعليه العمل عندنا، أو تكون حرمته في وقت ثم نسخ[2].

وقال النووي في الإيضاح: ويحرم صيد وجّ، لكن لا ضمان فيه[3].

وأما مذهبنا فلا يحرم فيه شيء، كالمدينة المنورة بخلاف مكة[4].

{٢٩٣} [فضل الطائف]:

ومن فضائل الطائف: ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ [الفتح:٢] أي بفتح مكة والطائف[5]، وقال المفسرون: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١] إنهما مكة والطائف، وفي الرجل قولان: هو عتبة بن عبد شمس، أو مسعود بن متعب الثقفي[6].

نعمان وضيم الماء فيتجه شرقاً فتأخذ عن يساره نخلة الشامية، وعن يمينه لِيّة فيمر من طرف مدينة الطائف من الجنوب الغربي ثم الجنوب ثم الشرق». معجم معالم الحجاز، ٩/ ١٢١.

(١) الفاكهي ٥/ ١٠٠؛ والبيهقي في السنن الصغرىٰ ٤/ ١٣٢؛ والتبريزي في المشكاة ٢/ ٨٣٩.

(٢) القرىٰ لقاصد أم القرىٰ ص ٦٦٦.

(٣) الإيضاح ص ٤٩٤.

(٤) واتفق جمهور الفقهاء القائلين بالتحريم على أنه ليس في مخالفته جزاء؛ لأنه موضع يجوز دخوله بغير إحرام، فلم يجب فيه جزاء، لكن عليه التوبة والاستغفار. انظر: هداية السالك ٣/ ١٣٩٩؛ البحر العميق ٥/ ٢٧١٣.

(٥) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ص ١٣١٩ (ط ابن حزم).

(٦) انظر بالتفصيل: زاد المسير في علم التفسير ص ١٢٧٧ (ط ابن حزم).

{٢٩٢} [قبر ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف]:

ومما يقرب من الحرم من المقابر الشريفة: قبر سيدنا عبد الله بن عباس وترجمان القرآن رضي الله عنهما بالطائف، وحوله قبور مباركة، فينبغي زيارته وما حوله.

قال صاحب القاموس: والطائف العَسَس، وبلاد ثقيف في واد: أوّل قراها القيم، وآخرها الوهط، سميت بذلك؛ لأنها طافت على الماء في الطوفان؛ أو لأن جبريل طاف بها على البيت؛ ولأنها كانت بالشام فنقلها الله تعالىٰ إلى الحجاز بدعوة إبراهيم عليه السلام؛ أو لأن رجلاً من الصَّدِف أصاب دماً بحضرموت ففر إلى وَجّ وحَالف مسعود بن مُعَتّب، وكان له مال عظيم، فقال: هل لكم أن أبني طَوْفاً عليكم يكون لكم رِدْءاً من العرب؟ فقالوا: نعم فبناه، وهو الحائط المطيف به(١).أ هـ.

ومعنى القول الثاني: أن جبريل عليه السلام اقتلعها من محلها على ما ذكره بعض المفسرين.

الثالث: أنه اقتلعها من الشام وطاف بها سبعاً، إجابة لقول دعوة إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة:١٢٦].

وقال صاحب المطالع: الطائف هو وادي وجّ، هو ـ بفتح الواو والجيم المشددة ـ، سمي باسم وجّ بن عبد الحق من العمالقة.

وفي القاموس: و(وجّ) اسم وادٍ بالطائف، لا بلد به(٢).

دول العالم الإسلامي، ردّ الله تعالىٰ هؤلاء المسلمين إلى رشدهم، ليعودوا إلى عقيدة التوحيد الصافية السليمة.

(١) القاموس المحيط (طوف).

(٢) المصدر السابق (وجّ)، «وهو وادي الطائف، وادٍ فحل يأخذ من شفا هذيل، حيث يقاسم

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن صيد وجّ وعِضَاهَه حرام محرم لله عز وجل(١)» قال النووي: وإسناده ضعيف، وذكر الطبري في تحريم صيده احتمالين: أن يكون على وجه الحمىٰ -، ثم قال: وعليه العمل عندنا، أو تكون حرمته في وقت ثم نسخ(٢).

وقال النووي في الإيضاح: ويحرم صيد وجّ، لكن لا ضمان فيه(٣).

وأما مذهبنا فلا يحرم فيه شيء، كالمدينة المنورة بخلاف مكة(٤).

{٢٩٣} [فضل الطائف]:

ومن فضائل الطائف: ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ [الفتح:٢] أي بفتح مكة والطائف(٥)، وقال المفسرون: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١] إنهما مكة والطائف، وفي الرجل قولان: هو عتبة بن عبد شمس، أو مسعود بن متعب الثقفي(٦).

نعمان وضيم الماء، فيتجه شرقاً فتأخذ عن يساره نخلة الشامية، وعن يمينه لِيّة فيمر من طرف مدينة الطائف من الجنوب الغربي ثم الجنوب ثم الشرق». معجم معالم الحجاز، ٩/ ١٢١.

(١) الفاكهي ٥/ ١٠٠؛ والبيهقي في السنن الصغرىٰ ٤/ ١٣٢؛ والتبريزي في المشكاة ٢/ ٨٣٩.

(٢) القرىٰ لقاصد أم القرىٰ ص ٦٦٦.

(٣) الإيضاح ص ٤٩٤.

(٤) واتفق جمهور الفقهاء القائلين بالتحريم على أنه ليس في مخالفته جزاء؛ لأنه موضع يجوز دخوله بغير إحرام، فلم يجب فيه جزاء، لكن عليه التوبة والاستغفار. انظر: هداية السالك ٣/ ١٣٩٩؛ البحر العميق ٥/ ٢٧١٣.

(٥) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ص ١٣١٩ (ط ابن حزم).

(٦) انظر بالتفصيل: زاد المسير في علم التفسير ص ١٢٧٧ (ط ابن حزم).

{٢٩٤} [أحكام وآداب زيارة القبور]:

تتمة: يستحب زيارة المقابر مطلقاً، وقيل في كل أسبوع من غير أن يطأ القبور، وأفضل الأيام لها: يوم الجمعة، والسبت، والاثنين، والخميس.

قال محمد بن واسع: بلغني أن الموتىٰ يعلمون بزوّارهم يوم الجمعة ويوماً قبله ويوماً بعده، ويستحب أن يمشي حافياً ذكره المشايخ.

وقال الملا عليّ وغيره: لم يثبت فيه شيء من السنة.

أقول: بل ثبت ذلك كما في أذكار النووي، وفي سنن أبي داود، والنسائي، وابن ماجه، بإسناد حسن عن بشر بن معبد ـ المعروف بالخصاصية ـ رضي الله عنهما قال: بينما أنا أماشي النبي صلى الله عليه وسلم نظر فإذا رجل يمشي بين القبور عليه نعلان، فقال: «يا صاحب السِّبتيتين الق سِبتيّتيك.... [١]»، وذكر تمام الحديث، وكما أشار إلى ذلك القرطبي في تذكرته بقوله: ويخلع نعليه كما جاء في الحديث.

قال الشيخ حسن الشرنبلالي: والسنة زيارتها قائماً، والدعاء عندها قائماً كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى البقيع.

{٢٩٥} [السلام على أهل القبور]:

وإذا أتىٰ القبر فالأولى أن يأتي من قبل رجليه لا رأسه؛ لأنه أتعب لبصره إن أمكن، وإلا فقد قرأ صلى الله عليه وسلم أول سورة البقرة عند رأس الميت وآخرها عند رجليه، كذا قال الملا علي، وليس فيه دليل على الإتيان

(١) أخرجه أبو داود في السنن (٣٢٣٠)؛ والنسائي ٩٦/٤. وأخرجه البيهقي في الكبرىٰ ٨٠/٤؛ الأذكار للنووي ص ٢٨٨.

من قبل الرأس، ويقف ويستقبله ويحترمه كما يحترمه في الحياة ويقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين. وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسأل الله لي ولكم العافية».

وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله كيف أقول إذا دخلت المقابر؟ قال: «قولي: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله... الخ[١]» وقيل: يقول: السلام عليكم، والصحيح الأول، ثم يدعو قائماً طويلاً، وإن جلس يجلس بعيداً منه، أو قريباً بحسب مراتبه في حال حياته، ويقرأ من القرآن ما تيسر له من الفاتحة، وأول البقرة إلى المفلحون، وآية الكرسي، و﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾[البقرة:٢٨٥]، ويس، وتبارك، وسورة القدر، وألهاكم، والكافرون، والإخلاص اثني عشر أو إحدى عشر، أو سبعاً، أو ثلاثاً، والمعوذتين، ثم يقول: اللهم أوصل ثواب ما قرأته إلى فلان أو إليهم، ولا يتساهل في قراءة ما تيسر وفي الدعاء، فإن أجر ذلك عظيم[٢]، وروى الدارقطني والسلفي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مرّ بالمقابر وقرأ قل هو الله أحد، إحدى عشر مرة، ثُمَّ وهب أجرها للأموات أُعطي من الأجر بعدد الأموات»، وفي تذكرة القرطبي: وروى من حديث أنس ـ خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ

(١) مسلم (٢٤٩، ٩٧٤)، وأصحاب السنن.

(٢) ولا بأس بقراءة القرآن على القبر، كما ذكر المرغيناني في التجنيس ٢٨٧/٢؛ وانظر ابن عابدين (بالتفصيل) في الحاشية ٣٦٩/٥ (ط دار الثقافة).

وقال ابن قدامة: «ولا بأس بالقراءة عند القبر»، وقد روي عن أحمد أنه قال: «إذا دخلتم المقابر، اقرؤوا آية الكرسي وثلاث مرات (قل هو الله أحد) ثم قل: اللهم إن فضله لأهل المقابر»، وروي عنه أنه قال: «القراءة عند القبر بدعة ...»، المغني ٥٦٦/٢، وقد استفاض العلماء في الموضوع، انظر بالتفصيل: الروح لابن قيم الجوزية ص ٢٩٧ وما بعدها.

أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قرأ المؤمن آية الكرسي وجعل ثوابها لأهل القبور، أدخل الله تعالىٰ في كل قبر من المشرق والمغرب أربعين نوراً، ووسع الله عليهم مضاجعهم، وأعطى الله للقارئ ثواب ستين نبياً، ورفع الله له بكل ميت عشر حسنات» وعن أنس أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دخل المقابر فقرأ سورة يٓس خفف الله عنهم، وكان له بعدد من فيها حسنات[(١)]».

وأخرج ابن أبي شيبة عن الحسن رضي الله عنه قال: «من دخل المقابر فقال: اللهم رب الأجسام البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة، أدخل عليها روحاً من عندك، وسلاماً مني، أستغفر له كل مؤمن مات منذ خلق الله آدم[(٢)]» أخرجه ابن أبي الدنيا بلفظ: «كتب له بعدد من مات من ولد آدم إلى يوم القيامة الساعة حسنات».

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: من دخل المقابر واستغفر لأهل القبور وترحم على الأموات، فكأنما شهد جنازتهم والصلاة عليهم.

{٢٩٦} [الجلوس على القبر]:

ويكره الجلوس على القبر إلا للقراءة وهو المختار، ويكره وطؤه.

قال الكمال: وحينئذ فما يصنعه الناس من دفن أقاربه وقد دفن حواليهم خلق، من وطء تلك القبور إلى أن يصل إلى قبر قريبه مكروه.[(٣)] انتهىٰ.

---

(١) أورده الملا علي القارئ في المرقاة ٤/ ١٧٤.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ١٨٨.

(٣) فتح القدير ٢/ ١٠٢. ونقل ابن عابدين عن خزانة الفتاوى: «وعن أبي حنيفة: لا يوطأ القبر إلا لضرورة، ويزار من بعيد، ولا يقعد، وإن فعل يُكره، وقال بعضهم: لا بأس بأن يطأ القبور وهو يقرأ أو يسبح أو يدعو لهم». حاشية ابن عابدين، ٥/ ٣٧٥ (ط دار الثقافة والتراث).

وقال قاضيخان: ولو وجد طريقاً وهو يظن أنه طريق أحدثوه لا يمشي في ذلك، وإن لم يقع في ضميره لا بأس بأن يمشي فيه. انتهىٰ.

{٢٩٧} [النوم على القبر]:

ويكره النوم عليها، وقضاء الحاجة، وقلع الحشيش النابت فيها إذا كان رطباً؛ لأنه يسبح الله تعالىٰ فيؤنس الميت، وتنزل الرحمة[(١)].

{٢٩٨} [الاتعاظ والتذكر لزائر القبور]:

وينبغي لمن زار مقابر مكة: أن ينوي زيارة من دفن فيها من الصحابة والتابعين وأفاضل التابعين الأولياء والسلف الصالح، فيزورهم ويتبرك بهم[(٢)].

وينبغي التردد إلى المقابر؛ لأن فيه نفعاً عظيماً، وخيراً جسيماً، أخرج ابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة[(٣)]».

---

(١) انظر حاشية ابن عابدين ٥/ ٣٧٧.

(٢) شرعت زيارة القبور للاتعاظ والاعتبار والتذكر بالآخرة كما ورد في الحديث الآتي ثم الدعاء لأهل القبور لرفع درجاتهم والتخفيف عنهم، ومن ثَمَّ ينبغي التقيد بالمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، والخير كل الخير في اتباع السلف، وأما ما يفعله بعض العوام عند القبور من البدع فليس له أصل من الدين، هداهم الله تعالىٰ إلى الصراط المستقيم.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٣/ ٢٦١؛ والترمذي (١٠٥٤)، وقال: «حديث حسن صحيح»؛ ابن ماجه (١٥٧١).

{٢٩٩} [رقة القلوب في زيارة القبور]:

وفي رواية الحاكم عن أنس: «فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة، لا تقولوا هجرا[١]» يعني سوءاً، قال القرطبي: قال العلماء رحمهم الله تعالىٰ: ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور، وخاصة إن كانت قاسية. انتهى.

فينبغي لمن عزم على الزيارة: أن يتأدب بآدابها، ويحضر قلبه في إتيانها، ولا يكون حظه منها التطواف على الأجداث فقط، فإن هذه حالة تشاركه فيها بهيمة، ونعوذ بالله من ذلك، بل يقصد بزيارته وجه الله تعالىٰ، وإصلاح فساد قلبه، أو نفع الميت بما يتلو عنده من القرآن.

{٣٠٠} [النية في الزيارة]:

ويزور كما تقدم، ثم يعتبر بمن صار تحت التراب، وانقطع عن الأهل والأحباب، بعد أن قاد الجيوش والعساكر ونافس الأصحاب والعشائر، وجمع الأموال والذخائر، فَجَاءه الموت في وقت لم يحتسبه، وهولٍ لم يرتقبه، فليتأمل الزائر حال من مضىٰ من إخوانه، ودرج من أقرانه الذين بلغوا الآمال، وجمعوا الأموال، كيف انقطعت آمالهم، ولم تغن عنهم أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوههم، وافترقت في القبور أجزاؤهم، وترمَّل بعدهم نساؤُهم، وشمل الذل أولادهم، واقتسم غيرهم طريقهم وقلادهم، وليتذكر ترددهم في المآرب، وحرصهم على نيل المطالب واتجارهم لمواتات الأسباب، وركونهم إلى الصحة والشباب.

(١) المستدرك، ٤/ ٣٣٠.

وليعلم ميله إلى اللهو واللعب، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع، والهلاك السريع كغفلتهم، وأنه لابد صائر إلى مصائرهم، وليحضر بقلبه ذكر من كان متردداً في اعراضه، وقد سالت عيناه، وتصول ببلاغة نطقه، وقد أكل الدود لسانه، وتضحك المواتات دهره، وقد أبلىٰ التراب أسنانه، وليتحقق أن حاله كحاله، ومآله كمآله.

{٣٠١} [خصائص الحرم]:

وأما خصائصه فكثيرة: منها: أنه لا يدخله أحد إلا بإحرام، وذلك واجب عندنا.

ومنها: تحريم صيده على سائر الناس، حتى يجب إرساله ولو أدخل من الحل، ويضمن بإتلافه، ولا يحل أكله.

ومنها: تحريم قطع شجره وحشيشه عندنا.

ومنها: أن المشرك لا يدخله ولو ماراً عند الشافعي وجمهور الفقهاء ما عدا أبا حنيفة، فإنه يجوز[١].

{٣٠٢} [ما يحرم فعله في الحرم]:

ومنها: تحريم دفن المشرك، ولو دفن ينبش. كذا قال ابن ظهيرة[٢].

ومنها: تحريم إخراج أحجاره وترابه إلى الحِلّ سواء كثر أو قلّ عند الشافعي رحمه الله، وعندنا إنما يحرم إخراج الكثير المؤدي إلى التخريب،

(١) انظر الحكم بالتفصيل في تفسير (آية ٢٨ من التوبة): تفسير ابن عطية، ص ٨٣٥ (ط ابن حزم).

(٢) الجامع اللطيف، ص ١٥٦، ١٥٧.

وأما القليل فلا بأس به، ولا يدخل من تراب الحل وأحجاره شيء في الحرم، قال الملا علي: كذا أطلقه في الكبير، ولعله مذهب الشافعي اشتبه عليه، وإلا فإذا جاز الإخراج مع احتمال وقوع شيء من الضرر، فالأولىٰ جواز إدخال شيء فيه مما ينتفع به.

ومنه: إدخال الأسطوانات في المسجد الشريف من نحو الاسكندرية وغير ذلك.

ومنها: لا يجوز ذبح شيء من الهدايا إلا فيه جبراً كان أو شكراً، وأما إخراج اللحم منه والتصدق به على غير فقير به، فجائز.

{٣٠٣} [لقطة الحرم]:

ومنها: أن لقطته لا تملك عند الشافعي، وعندنا هي كغيرها لا تحل لآخذها إلا بعد سنة.

ومنها: تغليظ الدية بالقتل عنده أيضاً.

ومنها: النافلة التي لا سبب لها لا تكره في أوقات الكراهة عند الشافعي، ومذهبنا والمالكية: تكره فيه كغيره.

ومنها: أنه إذا نذر قصده لزمه الذهاب إليه بحج أو عمرة[١].

{٣٠٤} [مضاعفة الأجر والسيئة في الحرم]:

ومنها: تضعيف الأجر بالصلاة فيه، كما رجحه جماعة من أهل العلم،

(١) انظر هذه المسائل بالتفصيل في كتب المناسك، (باب الجنايات): المسالك في المناسك، ٢/ ٦٨٩ وما بعدها.

وكذا غيرها من الطاعات، وكذا السيئات على قول بعض، كما تقدم[١].

{٣٠٥} [مَنْ هَمَّ بسيئة في الحرم]:

ومنها: أن الإنسان إذا همّ بسيئة فيه يؤاخذ بها، وإن كان بعيداً كما يروىٰ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الآية [الحج: ٢٥] أنه قال: «لو أن رجلاً همّ فيه بإلحاد وهو بعدن أبين، أذاقه الله عذاباً أليماً»[٢] وبه خصّ حديث الصحيحين: «وإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة، وإن همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة[٣]»، فيكون هذا في غير الحرم.

ومنها: وجوب قصده على طائفة من الناس في كل سنة لإقامة فريضة.

{٣٠٦} [أمن الحيوانات بالحرم]:

ومنها ائتلاف الظباء والسباع فيها، ذكره المحب الطبري، بل قيل: إن الخارج يتبع الصيد فإذا دخل الحرم تركه، كذا نقله ابن الحاج عن بعض المفسرين.

أقول وقد رُوي عن أبي سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، أنهما رأيا ذئباً يطلب ظبياً، فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا لذلك! فقال الذئب: أعْجَب من ذلك: محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار.

(١) وقد سبق تفصيل ذلك، فراجعه.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ٢/ ٤٢٠.
(٣) جزء من حديث مسلم (١٣٠، ١٣١).

ومنها: أنه جرىٰ مثل ذلك لأبي جهل وأصحابه.

{٣٠٧} [حصول الأمن في الحرم]:

ومنها: حصول الأمن لمن التجأ إليه عندنا، وتقدم معناه في الكلام على الكعبة.

ومنها: لا يحل حمل السلاح فيه لغير ضرورة عند مالك والشافعي رحمهما الله تعالىٰ.

ومنها: سيل الحل لا يدخله، وإن انتهىٰ إليه وقف. قاله في الجامع اللطيف[١].

{٣٠٨} [فضل أهل مكة]:

وأما فضل أهله فعظيم.

عن عبد الله بن عمر بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على أهل مكة، قال: «أتدري إلىٰ من أبعثك؟ إلى أهل الله تعالىٰ[٢]»، زاد الأزرقي: «فاستوصِ بهم خيراً» يقولها ثلاثاً.

{٣٠٩} [تكريم أهل مكة]:

وعن وهب بن منبه يروي: أن الله تعالىٰ يقول «من أمَّنَ أهل الحرم استوجب بذلك أماني، ومن أخافهم فقد أخفرني في ذمتي، ولكل ملك حيازة مما حواليه، وبطن مكة حوزتي، [التي اخترت لنفسي دون خلقي أنا

(١) الجامع اللطيف، ص ١٥٩، ١٦٠.

(٢) الفاكهي. وقال محققه (إسناده مرسل) ٢/ ٧٢٦ (ط تحقيق د/ عبد الملك بن دهيش).

الله ذو بكة، أهلها خيرتي وجيران بيتي] وعُمّارها وزوارها وفدي وأضيافي، وفي كنفي وأماني، ضامنون عليَّ في ذمتي وجواري[١]».

وروىٰ الفاكهي عن عبد الملك بن عباس بن جعفر: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أول من أشفع له أهل المدينة وأهل مكة والطائف».

{٣١٠} [فضل الموت بمكة]

وأخرج أبو حاتم من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي، ثم أنتظر أهل مكة حتى نُحشر بين الحرمين[٢]».

وجاء في حديث: «إن سفهاء مكة حشو الجنة»، كذا نقل عن أبي العباس الميورقي، قال القسطلاني: لم أقف عليه.

ووقع بين عالمين منازعة في الحرم المكي في تأويل الحديث وسنده، فطعن أحدهما في سنده ومعناه، فأصبح وقد طعن أنفه واعوج، وقيل له: إي والله، سفهاء مكة من أهل الجنة سفهاء مكة من أهل الجنة ثلاثاً. فحصل له روع وخرج إلى الذي ينازعه وأقرّ على نفسه، لتكلّمه فيما لا يعنيه ولم يحط به خبراً. قال الفاسي: بلغني أن الرجل المنكر للحديث: هو الإمام تقي الدين

(١) الفاكهي وقال محققه (إسناد ضعيف) ٢/ ٧٣٠؛ والبزار في كشف الأستار ٤/ ١٧٢؛ والطبراني في الأوائل (٧٦) والزيادة من الفاكهي.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٩٢) وقال: «حديث غريب وعاصم بن عمر ليس بالحافظ»؛ وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٣٢٤.

محمد ابن إسماعيل بن الصيف اليمني الشافعي، نزيل مكة ومفتيها، وأنه كان يقول: إنما الحديث أسفاء مكة، أي المحزونون فيها على التقصير.أهـ.

{٣١١} [العبد بين الرجاء والخوف]:

واعلم يا أخي أن فضل الله وعظمته ورحمته واسعة، ولكن ذلك لمن ختم الله له بالسعادة، وهي أمر مغيب لا يعلمه إلا الله تعالىٰ، فتنبه لذلك ولا تغتر! فإنه ما عظم الرجاء في الله، إلا ولازمه كمال الخوف من الله، كما هو طريق العارفين أهل الله.

قال سيدي عبد القادر الجيلاني قدس الله سره الرباني: «أعطاني الله ثلاثين عهداً وميثاقاً أن لا يمكر بي، فقيل له: فهل أمنت بعد ذلك؟، قال: لا بل حالي بعد العهد كقبله».

وقد صلّى عليه الصلاة والسلام بعد نزول آية الغفران حتى تورمت قدماه، فقالت عائشة رضي الله عنها: فداك أبي وأمي! أما نزلت في حقك ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الفتح:٢]. قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً[1]». فينبغي يا أخي إن صح ذلك أن تقابله بالشكر على ما هنالك، وتسلك لطلبه أحسن المسالك، ولا تتجرأ فتهوي في المهالك.

{٣١٢} [تميز أهل مكة بالطواف]:

ومن فضائلهم لكونهم أكثر طوافاً من غيرهم، ما ذكره الدميري في كتابه الديباجة في شرح ابن ماجه عن الشيخ فخر الدين النووي قال: كنت يوماً بمكة بين المغرب والعشاء مسند الظهر إلى مقام المالكية، مستقبل القبلة،

(١) أخرجه الشيخان: البخاري (١٠٧٨)، ومسلم (٢٨١٩).

وإذا بفقير رَثِّ الهيئة جلس إليّ، مما يلي كتفه الأيسر، وقال: سلام عليك، فرددت السلام عليه، وكنت منشغلاً بالذكر، فقال لي: أنت مجاور هنا؟ قلت: نعم. قال: كم لك هنا؟ فوجدت عليه في نفسي، وقلت: ما حملك على السؤال؟ ورجعت إلى ما كنت عليه من الذكر، فسكتَ، ثم قال: ما رأيتَ ها هنا من الآيات منذ أقامك الله؟ فانزعجت منه، وقلت: أي آية أعجب من هذا البيت! لا يخلو من طائف في ليل ولا نهار مع ما الناس فيه من الاشتغال، وكان الطواف إذ ذاك عاطماً بالبيت، فسكتَ، وعدتُ على ما كنت عليه من الذكر، ثم قال: أتعجب من الطائفين بالبيت، إنما العجب ممن يطوف به البيت[1]، فنهض قائماً وانصرف عني في صورة المنزعج، وقلت في نفسي: إن هذا الرجل أحمق، سمع هذا القول مما تقدم فذكره على لساني، فجلست متفكراً فيه، وذهب ما كنت فيه من الذكر. فرفعت رأسي وإذا بالبيت يدور بالطائفين دَوَراناً بأشد ما يكون من الدَوَران، فقمت يومئذٍ باكياً مستغفراً ودخلت الطواف لأجل الرجل، فلم أجد له خبراً.

وروي عن بعض الأخيار: أنه كان في الطواف، وإذا بصبي قد أقبل واستلم الحجر يطوف، فلما حاذى البيت أرخى البيت رأسه وقَبّل رأس الصبي، فعجب من ذلك! وقال لي: منذ سنين أكثر الطواف بك ولم تفعل بي ذلك، فقالت الكعبة: هذا من أولادي أو كما قيل.

والحاصل: أن فضلهم عظيم، وقد تقدم منه كثير في فضل الحرم بمكة وغيرها.

(١) هذه من عبارات أهل الإشارة ومصطلحاتهم في التعبير عن الحب الإلٰهي، وقد شدد النكير ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية على مثل هذا القول: «وكذا من يقول: بأن الكعبة تطوف برجال منهم حيث كانوا فهلّا خرجت الكعبة إلى الحديبية فطافت برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أحصر عنها، وهو يود منها نظرة ... ». ص ٥١٣.

إلى بابك الأعلىٰ نمد يدا الرجا ومن جاء هذا الباب لا يخشىٰ الردا

أ.هـ. كلامه.

وهو ترجيح لمذهب الإمام الأعظم، وهو الأكمل والأسلم، فأين من يقوم بحرمة هذا الحرم المحترم؛ ويتأدب لمكانته وحقه الأعظم، فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يقضي حاجته، ركب ناقته إلى المغمس، وبلغ من تعظيم بعض التابعين أنه كان لا يقضي حاجته فيه، وقد تقدم.

وممن بالغ في تفضيل الحرم: الماوردي صاحب الحاوي الكبير من الشافعية، فقال: يحرم الاستنجاء بأحجار الحرم، وهو وإن كان ضعيفاً، ففيه إشعار بتعظيمه، وإيذان بتبجيله وتكريمه. وهذا حكم المجاورة بمكة.

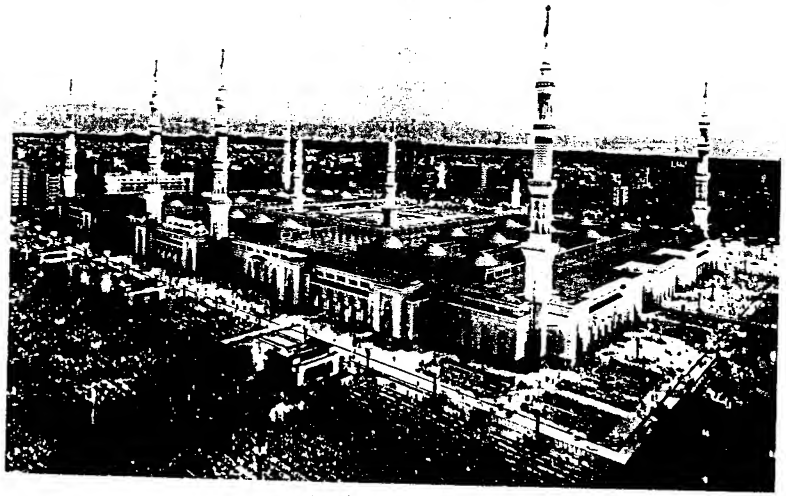
{٣١٤} [مجاورة المدينة المنورة]:

وحكمها بالمدينة الشريفة كذلك، إلا أنها بمكة أفضل عند جمهور الأئمة خلافاً لمالك وبعض الشافعية، قال المُلاَّ علي: الإجماع على أن الموت أفضل بالمدينة، والمجاورة سبب الموت فيها، فتكون أفضل من هذه الحيثية، وإلا فمن المعلوم أن تضاعف الحسنة في المسجد الحرام أكثر من مسجد المدينة، وأن نفس المدينة لا تضاعف فيها، بخلاف حرم مكة[١]. انتهىٰ.

وذهب كثير من العلماء: إلى أن المجاورة بها أفضل منها بمكة، وإن قلنا لكثرة ثواب العمل بمكة؛ لِما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها

(١) انظر: منسك الكرماني، ٢/١٠٩٢ وما بعدها.

أحدٌ من أمتي إلا كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة[١]﴾. واللأواء بالمد: الشدة والجوع، والويت: الشك على الأظهر؛ لأن هذا الحديث رواه جمع من الصحابة، ويمتنع أن شك الكل أو رواتهم، بل الأظهر أنها للتعتيم، فيكون المعنى: شهيداً لبعض، وشفيعاً لآخرين منهم، أو شهيداً للمطيعين، وشفيعاً للعاصين، أو شهيداً لمن مات في حياته، وشفعياً لمن مات بعد وفاته، أو غير ذلك كما في المواهب اللدنية.



المسجد النبوي الشريف

وفي الصحيحين: ﴿اللهم حَبِّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومُدِّها، وانقل حماها إلى الجُحفة[٢]﴾، وفي رواية: ﴿بل أشد﴾، وقد أجيبت دعوته حتى كان يحرك دابته إذا رآها من جهته.

(١) أخرجه مسلم في الحج (١٣٧٤) بلفظ (لا يصبر أحد لأوائها فيموت، إلا كنت له شفيعاً، أو شهيداً يوم القيامة إذا كان مسلماً).

(٢) أخرجه مسلم في الحج (١٣٧٦).

وروى الترمذي، وابن ماجه، ولبن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها[1]﴾. ولا يخفىٰ أن هذه الاستطاعة إنما تحصل غالباً لمن اتخذ المدينة الشريفة مسكناً وموطناً إلى الممات.

ورویٰ مسلم من حديث سعد: ﴿يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه! هلم إلى الرخاء! والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله خيراً منه[2]﴾.

ورویٰ البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إن الإيمان ليأرز إلى المدينة، كما تأرز الحية إلى جحرها[3]﴾ أي: ينقبض وينضم ويلتجئ، مع أنها أصل في انتشاره، فكل مؤمن له من نفسه سائق إليها في جميع الأزمان؛ لحبه في ساكنها عليه أفضل الصلاة وأزكىٰ السلام. في قوله وأكرم بسكانها، ولو قيل في بعضهم فقد حظوا بشرف المجاورة بهذا الحبيب الخليل، وقد ثبت لهم حق الجوار، وإن عظمت إساءتهم فلا يسلب عنهم اسم الجار، ولم يخص جاراً دون جار، وكل ما احتج به محتج من رمي الجمار بعض عوامّهم السنة بالابتداع وترك الإتباع، فإنه إذا ثبت ذلك في شخص منهم، فلا يترك إكرامه، ولا ينقص احترامه، فإنه لا يخرج عن حكم الجار ولو جار، ولا يزول عنه بشرف

(١) أخرجه الترمذي (٣٩١٧) وقال: «حديث حسن غريب من حديث أيوب السختياني»؛ سنن النسائي الكبرىٰ، ١/٦٠٣. ابن ماجه (٣١١٢). وابن حبان في صحيحه ٩/٥٧ .

(٢) أخرجه مسلم (١٣٨١) وتكملة الحديث: « ... ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبيث، لا تقوم الساعة حتىٰ تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبيث الحديد».

(٣) أخرجه البخاري (١٧٧٧). ومسلم (١٤٧).

مساكنته في الدار كيفما دار، بل يرجىٰ له أن يختم له بالحسنى، ويمنح بهذا القرب الصوري قرب المعنىٰ، ولله در ابن جابر رضي الله عنه حيث قال يمدح أهل المدينة:

هناؤكـم يا أهـل طيبة قـد حـقا ... فبالقرب من خير الورىٰ حزتم السبقا
فلا يتحـرك سـاكن منكـم إلـىٰ ... سواها وإن جار الزمـان ولو شـقا
فكم ملك رام الوصول لمثل ما ... وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا
فبشـراكم نلتـم عنايـة ربكـم ... فها أنتـم في بحـر نعمتـه غرقا
ترون رسول الله في كل ساعة ... ومـن يـره فهو السعيد به حقا
متى جئتم لا يغلق الباب دونكم ... وباب ذوي الإحسان لا يقبل الغلقا
فيسمع شكواكم ويكشف ضركم ... ولا يـمنع الإحسان حراً ولا رقا
بطيبة مثواكم وأكـرم مرسـل ... يلاحظكم فالدهر يجري لكم وفقاً
وكـم نعمة لله فيـها عليكم ... فشكراً ونَعْمُ اللهِ بالشكر تستبقا
أمنتم من الدجال فيها فحولها ... ملائكة يحمون من دونها الطُرْقا
كذاك من الطاعون أنتم بمأمن ... فوجه الليالي لا يزال لكم طلقا
فلا تنظروا إلا لوجه حبيبكم ... وإن جاءت الدنيا ومرت فلا فرقا
حياة وموت تحت رحماه أنتم ... وحشر فستر الجاه فوقكم ملقى
فيا راحـلاً عنها لدنيا تصيبها ... أتطلب ما يفنى وتترك ما يبقىٰ؟
أتخرج من حوز النبي وحرزه ... إلى غيره سفِّيه مثلك قد حُقا
لئن سرت تبغي من كريم إعانة ... فأكرم من خير البرية مـن تلقى؟
هو الـرزق مقسوم فليس بزائد ... ولو سرت حتى كدت تخترق الأُفْقا

فكم قاعد قد وسع الله رزقه ... ومرتحل قد ضاق بين الورىٰ رزقا
فعش في حمى خير الأنام ومت به ... إذا كنت في الدارين تطلب أن ترقى
إذا قمت فيما بين قبر ومنبر ... بطيبة فاعرف أين منزلك الأرقا
لقد أسعد الرحمٰن جار محمد ... ومن جار في ترحاله فهو لا يشقى

أجابوا عن مزيد المضاعفة: بأن أسباب التفضيل لا تنحصر في ذلك، فإن الصلوات الخمس بمنى للمتوجه لعرفة أفضل منها بمسجد مكة، انتفت عنها المضاعفة، إذْ في الاتباع ما يربو عليها؛ ولذا قال عمر ـ رضي الله عنه ـ بمزيد المضاعفة لمسجد مكة، مع قوله بتفضيل المدينة، وعن الحج بما جاء في فضل الزيارة، والمسجد، والإقامة بعد النبوة بالمدينة، وكانت أقل من مكة، على القول به، فقد كانت سبباً لإعزاز الدين وإظهاره، ونزول أكثر الفرائض وإكمال الدين، حتى تردد بها جبريل عليه السلام، ثم استقر بها صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، ولهذا قيل لمالك أيها أحب إليك المقام هنا يعني المدينة أو بمكة؟ فقال: ها هنا، وكيف لا أختار المدينة وما بها طريق إلا سلك عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجبريل ينزل عليه من عند رب العالمين في أقل من ساعة. انتهى.

وأكثر هذه الكلام من المواهب اللدنية، وإنما أطلت الكلام في ذلك وإن كان مذهب إمامنا أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ تفضيل المجاورة بمكة على المدينة؛ لأن ميل كل نفس حيث حبيبها، وما أحسن قول أبي نواس رحمه الله:

عليّ لربع العامرية وقفة ... ليملي عليّ الشوق والدمع كاتب
ومن مذهبي حب الديار لأهلها ... وللناس فيما يعشقون مذاهب

هذا... وكلا الحرمين فضلهما عظيم، والمجاورة بهما خير جسيم، لمن هو على طريق مستقيم، فينبغي للمجاور أن يجتهد في الخيرات، ويمتنع عن المنكرات، ويترك كثيراً من المباحات التي لا تليق بأشرف الأمكنات، ويتأدب بأدب السادات؛ ليفوز بالخير والسعادات.

{٣١٥} [المحروم بمكة]:

قيل من كان بمكة وَفَاتَه ثلاثة أشياء فهو محروم: من مضىٰ عليه يوم ولم يطف بالكعبة، ومن حلق رأسه من غير عمرة، ومن صام ولم يجعل فطره على زمزم.

فائدة متممة وليست زائدة: حد الحرم الشريف من طريق المدينة دون التنعيم، على ثلاثة أميال من مكة، ومن الطائف والعراق على سبعة أميال، ومن طريق جدة عشرة، ومن الجعرانة تسعة[1]، وقد نظمها العلامة ابن الملقن رحمه الله:

وللحَرَم التحديد من أرض طيبة ... ثلاثة أميال إذا رُمْتَ إتقانَهْ
وسبعة أميال عراق وطائف ... وجدة عشر ثم تسع بجعرانَهْ
ومن يمن سبع بتقديم سينها ... وقد كملت فاشكر لربك إحسانَهْ

هذا... وقد كمل الكلام على أماكن الإجابة، فأسأل الله تعالىٰ كمال الإنابة، وأن يجعل شغلي به عين الإثابة، وأن يمتعني بحبه قبل يوم الإيابة،

(١) المسافة التقريبية بين المسجد الحرام، وبعض حدود الحرم:
التنعيم: ٧,٥ كم.
الجعرانة: ٢٢ كم.
الحديبية: ٢٢ كم.

وأن يغفر لي ولوالدي ولمشايخي والمسلمين، وأن يرزقنا حسن الخاتمة مع النظر إلى وجهه الكريم بمَنّه وكرمه.

وكان الفراغ من كتابتها على يد الفقير عبد الله المنصوري يوم الجمعة المبارك شهر رمضان عام أربعة وثمانين ومائتين وألف من هجرته [١٢٨٤هـ] صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين.

{٣١٦} [فضل جُدة]:

فائدة في الكلام على فضل جده: روى الفاكهي عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مكة رباط، وجدة جهاد[١]».

وعن ابن جريج قال سمعت عطاء يقول: «إنما جدة خزانة مكة، إن ما يؤتى به إلى مكة فلا يُخْرَجُ به منها»[٢]، ثم قال: ـ أعني ابن جريج ـ: «[إني لأرجو] أن يكون فضل مرابطي جدة على سائر المرابطين كفضل مكة على سائر البلدان»[٣].

وعن عباد بن كثير، أنه قال: «الصلاة بجدة سبعة عشر ألف ألف صلاة، والدرهم فيها بمائة ألف، وأعمالها بقدر ذلك، يغفر للناظر فيها مدّ بصره مما يلي البحر»[٤].

وعن فَرقَد السبحي أنه قال: إني رجل أقرأ هذه الكتب، وإني لأجد فيما

(١) الفاكهي ٣/٥٢ ـ ٥٣، وقال السخاوي: «وسنده ضعيف جداً ...» البلدانيات ١/٤٤.
(٢) أخبار مكة للفاكهي: ١/٥٣.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) المصدر السابق نفسه.

أنزل الله من كتبه: «جُدة أو [جدَيدة] يكون بها قتلى وشهداء، لا شهداء يومئذ على وجه الأرض أفضل منهم»[١].

وعن بعض المكيين: أن الحبشة جاءت إلى جدة غزاة في البحر، وأميرهم عبد الله بن محمد بن إبراهيم المخزومي. انتهى.

قال [الفاسي] رحمه الله: عبد الله بن محمد [هذا] والي مكة للرشيد العباسي، فيكون المراد سنة ثلاث وثمانين ومائة[٢].

وأول من جعل جدة ساحلا لمكة: عثمان بن عفان في سنة ست وعشرين من الهجرة، وكانت الشُّعَيْبَة ساحل مكة قبل ذلك.

وعن ابن جبير: أنه رأى بجدة أثر سور محدق، وأن بها مسجدين ينسبان إلى عمر بن الخطاب، أحدهما: يقال له مسجد الآبُنُو، وهو معروف إلى الآن، والآخر غير معروف، ولعله ـ والله أعلم ـ المسجد الذي تقام فيه الجمعة وهو من عمارة المظفر صاحب اليمن[٣]. انتهى.

ويروى أن قبر حوا بجدة، والله أعلم، انتهى من الجامع اللطيف[٤].

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه

وسلم

(١) المصدر السابق ٣/٥٥.
(٢) شفاء الغرام ١/١٤١.
(٣) رحلة ابن جبير ص ٥٠.
(٤) الجامع اللطيف ص ٧٨، ٧٩.

ب ـ المؤلفون الذين لم يصرح بأسماء كتبهم ونقل عنهم :

- ابن أبي الدنيا.
- ابن الجوزي.
- ابن حجر المكي.
- ابن عبد البر
- ابن عساكر.
- ابن مردويه.
- البكري
- البيهقي.
- الثعلبي.
- الجندي
- الحافظ العراقي.
- حسن الشرنبلالي
- الخطابي.
- الخطيب في التاريخ.
- السروجي.
- السهيلي.
- الشربيني.
- الشهاب الرملي.
- شيخ الإسلام .
- الضياء المقدسي
- الطبري.
- الطرابلسي.
- العز بن عبد السلام.
- الغزالي.
- القاضي تقي الدين
- قاضيخان
- القطب الحنفي.
- الماوردي.
- مكي.
- المنذري.
- النقاش
- الواقدي.

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأماكن

فهرس الصور واللوحات

فهرس المحتويات